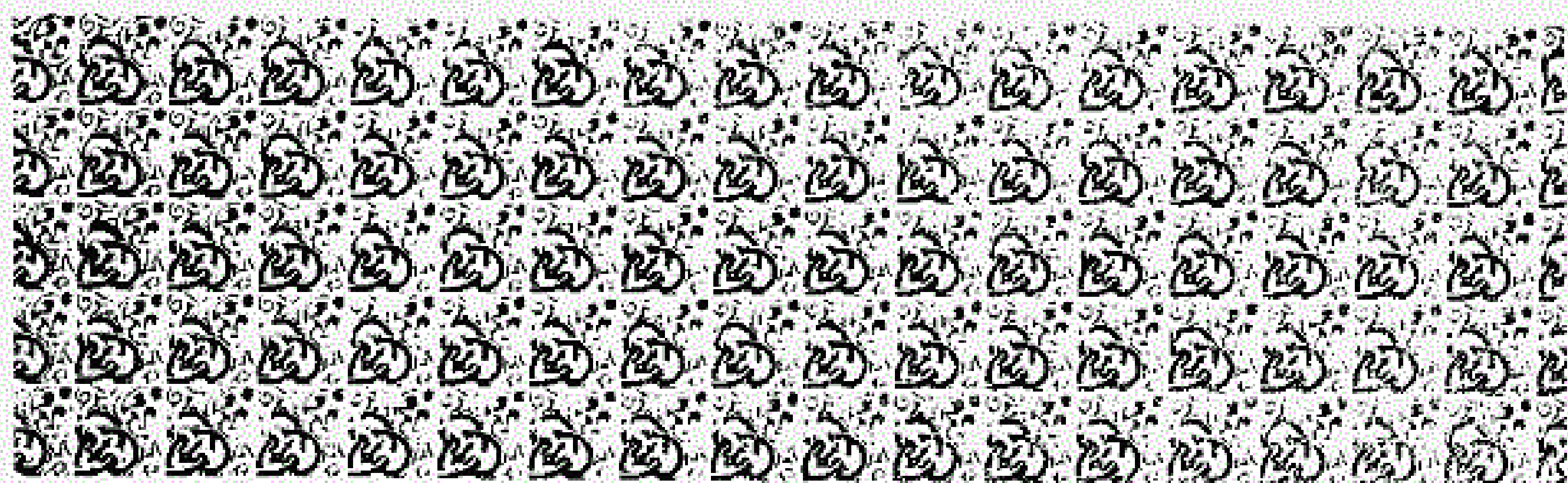




مجلة مجمع اللغة العربية الأردني



العدد ٥٠ — السنة العشرون

جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - شوال ١٤١٦ — كانون الثاني - حزيران ١٩٩٦

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وأن تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن خمسة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الأردنية الهاشمية ـ عمان ـ ص.ب ١٣٢٦٨ هاتف ٨٤٣٥٠٠ ـ تلكس MAGMA - JO. 23441

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN 0258 - 1094



مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٥٠
جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - شوال ١٤١٦

السنة العشرون
كانون الثاني - حزيران ١٩٩٦

هيئة تحرير المجلة

الفهـــرس

رقم الصفحة

أولاً : البحوث

الإدغام والإبدال في أبنية الفعل
(من دروس لغة التنزيل)

الدكتور
إبراهيم السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

للفعل في لغة التنزيل العزيز مكان خاص من حيث مبانيه ، ثم من حيث دلالته على الزمن ، ثم من حيث انصرافه إلى ما يتصل بالإسلام .

وقد كان لي في هذا الدرس مشاركة عرضتها في جملة من تصانيف ، وأخرى كانت في ندوات علمية ولقاءات متخصصة نشرت في مقرّرات هذه الندوات واللقاءات .

وإني اليوم لأعرض إلى باب الإدغام في شيء من أبنية الفعل في هذه اللغة الكريمة ، وسأبدأ درسي هذا مستقرياً مادته الخاصة بحسب حروف المعجم فأقول :

١ ـ أَتَى :[1]

أقف من هذا الفعل على صيغة الأمر فأجدها في « ائْتِ » فأقول :

إن الألف الأولى في الرسم همزة كسرت لمحاً للوصول إلى همزة الفعل الأصلية ، وهي ساكنة في الفعل الثلاثي الأمر عامة . وهذه الهمزة الأولى تحرّك لمحاً بحركة عين

---

١ ـ دلالة الفعل « أتى » على المجيء معروفة ، والفعل متعدٍ ولازم ، وقد يتوسع في دلالة الإتيان فيكون كقولك : أتيت بالشيء ، ثم ذهب الاستعمال إلى « الإتيان » بالمنكر أو الفاحشة كقوله تعالى : « أتأتون الفاحشة » و« أتأتون الذكران من العالمين » . ووصول الفعل إلى مدخوله يتم في الأصل =

الفعل الثلاثي ، وهي من هنا صوت طارئ جيء لبناء صيغة الأمر الثلاثي الساكن الفاء ، كما في المثل المذكور .

أقول : لا بدّ لي أن أشير إلى أن « الإدغام » هو في حقيقتة دخول صوت في صوت آخر ، وقد يحصل في هذا الدخول تشديد هذا الصوت المشتمل على صوتين بينهما قرابة ما من غير أن أذهب إلى هذا التحديد في هذه القرابة ، إن هذا الذي أدعوه قرابة سمع في العربية وكان لنا منه ظهور واضح كما سنرى .

ثم إن الإدغام يصار به إلى الخفة التي جرت عليها العربية ، وهي ما نراه في كثير من الأبنية ، وسنرى ذلك .

وأعود إلى فعل الأمر « إئتِ » فأقول إن وجود الهمزتين مظنة ثقل في العربية فأنت تذهب بالهمزة الثانية التماساً للخفة إلى الكسرة الطويلة تلي الهمزة الأولى التي اجتلبت للأمر ، فأنت تطلب من مخاطبك كتاباً مثلا فتقول :

« إيتِ بالكتاب » .

= بالباء ، أي أتأتون بالفاحشة ، غير أن هذه الباء سقطت فوصل الفعل بمدخوله ، وهذا جاء في العربية كثيراً .

ويذهب المزيد بالهمزة من هذا الفعل وهو « آتى » إلى معنى « العطاء » وأقول :

كأن هذا الفعل الرباعي لا صلة له بالثلاثي « أتى » ، وإنه من « أعطى » ، ثم حصل إبدال العين بالهمزة الثانية في « أأتى » ، وإبدال التاء بالطاء فيكون من ذلك « آتى » بمدّ الهمزة وهي همزتان في الأصل كالهمزة في « آمنَ » .

أقول : ذهبت إلى هذا لأني أرى البعد بين حقيقة « الأتي » أو « الإتيان » وبين دلالته على العطاء ، وليس في هذا مجاز أو توسع ، وأنت تدرك هذا البعد وتتلو قوله تعالى : « وآتى المال على حبّه ذوي القربى .. » وقوله تعالى : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » وأنت تبصر هذا حتى في قوله تعالى : « وآتيناه الحِكْمَةَ ..» وفي قوله تعالى : « لعلّي آتيكم منها بقبس » . وأنت بيسر تدرك « أنطى » بمعنى « أعطى » ، والنون فيه تولّدت من فك الإدغام للتاء من الفعل « أتّى » وتبدل النون من التاء الأولى .=

أقول : وهذا الإبدال قد يطلق عليه مصطلح « التسهيل » للهمزة ، وهذا يعني أن الهمزة ثقيلة ولذلك قالوا : « إن قريشاً لا تنبر » أي لا تهمز ، ومثل قريش قبائل أخرى من غير شك . فأنت قد تسمع من يقول : « ريم وراس وشوم » كلها بغير همز ، وهذا في فصيح العربية إلى جانب المهموز في كل منها بله العامي الدراج .

إن « التسهيل » في هذه الكلمات الثلاث وفي كثير من نظائرها كان من غير شك التماساً للخفة . ومن أجل هذا كثر وروده في الشعر مع أن الهمز قد يحتمله الوزن كما في قول شوقي :

« رِيمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ » .

قد يقول القارىء : وهل هذا يندرج في الإدغام ؟

أقول : إن مصطلح « الإدغام » يقتضي التشديد لأنه صوتان تحوّلا إلى صوت واحد في المنطق والرسم . ولما كان الإدغام في حقيقة الأمر التماساً للخفة وابتعاداً عن التقارب بين الأصوات ، وإن اللسان قد يذهب إلى أحدهما الذي يألفه فيكون الفعل نطقاً « يطّجع » والأصل « يضطجع » ، ذهبت الى جعل « إيتِ » بالمد ، من هذا الباب من حيث هو التماس للخفة .

وكأني وسّعت من دلالة مصطلح « الإدغام » فأدخلت فيه ما لم يجر عليه اللغويون .

= وهذا معروف في المضاعف من الأفعال والأسماء ولا سيما في الألسن الدارجة نحو : قَطَّر وقَنْطر وخَصَّر وخنصَر ، ودبوس ودنبوس . وقد يكون الأول من الصوت المشدّد ياءً أو راء ، ألا ترى أن « سيطَرَ » من « سَطَّر » و « أيْما » من « « أمّا » كما في الشاهد القديم « أيْما إلى جنةٍ ، أيْما إلى نار » ، ومن هذا من ذهب الى أن حَرْجَمَ من المضاعف « حجَّم » و « فَرقَعَ » من المضاعف « فَقَّع » ، وغير هذا.

وإذا عدنا إلى ورود هذا الفعل الأمر في لغة التنزيل وجدنا أن الثقل فيه قد ابتعد باعتماد الفعل على حركة الفتحة قبلها كما في قوله تعالى :

« فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق « فأتِ » بها من المغرب »[1] ٢٥٨ سورة البقرة . ألا ترى أن الهمزة الأولى وهي همزة بناء الأمر قد طويت نطقاً ورسماً .

ومثل هذا الأمر للواحد الأمر للاثنين كقوله تعالى :

« فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين » ١٦ سورة الشعراء .

وأنت لا تنطق بالهمزة الأولى وإن ثبتت رسماً . ومثلهما الأمر للجماعة ، كقوله تعالى :

« وقال الملكُ ائتوني به » ٥٠ سورة يوسف .

أقول : والهمزة الأولى للأمر قد طويت لوقوعها في الوصل بعد الضمة بعد كاف « المَلكُ » . وهكذا في كل فعل أمر يأتي موصولاً بعد حركة في الكلمة التي تسبقه . وقد طويت الهمزة الأولى وإن ظهرت الألف في الرسم .

إن « الخفة » المطلوبة للابتعاد عن توالي همزتين قد تحققت في الوصل .

أقول : ومثل هذه الخفة التي تتحقق في الوصل قوله تعالى :

« فإنْ أمِنَ بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي « اوتُمِن » أمانته » ٢٨٣ سورة البقرة .

فالفعل « اوتُمِنَ » مبني للمفعول ، وقد أسكنت همزته للوصل فلصقت بالمدّ في « الذي » بعد قصر الكسرة بعد الذال ، وكأنها « الّذِ » .

ومن هنا جاء في القراءات :

« ومن أهل الكتاب من إن « تِيمَنْهُ » بقنطار يُؤدِّهِ إليك » ٧٥ آل عمران .

والقراءة المثبتة في المصحف « تأمَنْه » .

---

١ - وقد تلتمس الخفة في هذا الفعل فتطوى همزة بناء الأمر إن سُبِق الفعل بأيّة حركة كالكسرة أو الضمة كما في قوله تعالى : « وإذ نادى ربّك موسى أنِ ائت القومَ الظالمين » .

والقراءة الأولى الخاصة بتسهيل الهمزة « تِيمَنُهُ » كانت التماساً للخفة .

إن التماس الخفة في هذه المواد شيء يتطلبه حسن الأداء في التلاوة والإعراب الحَسَن .

ولنتحول إلى الإدغام الذي يؤدي إلى تشديد الصوت ، وهذا وإن كان تشديداً ، فقد صير إليه التماساً للخفة فننظر في الفعل « اتخذ » ونحن نستقري ورود هذا الأمر في لغة التنزيل حسب حروف المعجم .

٢ ـ أخذ[1] .

وقد بُني هذا الفعل على « افتَعَلَ » فكان « اتّخَذَ ويَتَّخِذُ » كما في قوله تعالى :

« وقالوا اتّخَذَ الله ولداً سبحانه » ١١٦ سورة البقرة .

« ومن الناس من يَتّخذ من دون الله أنداداً » ١٦٥ سورة البقرة .

أقول : وبناء « افتعل » من الفعل « أخذ » المهموز الأول يؤدي الى إدغام همزة الفعل وهي فاؤه في تاء « افتَعَل » فتُطوَى الهمزة من غير قرب صوتي بين الهمزة الحلقية والتاء من الأحرف النطعية كالدال والطاء .

إن هذا الإدغام الذي حصل في العربية وليس من قرابة صوتية كان التماساً للخفة التي لا تتوافر في الأصل « ائتَخَذَ »[2] .

وهذه الخفة المقتضاة غالباً هي التي دفعت المعربين إلى التخلص من همزتي فعل الأمر « خُذ » والأصل « اؤخُذ » . وإني لأستطرد فأذكر هذا لذكر السبب وهو « التماس الخفة » .

---

١ ـ إن انصراف الفعل « أخذ » في دلالته في استعمالاته الكثيرة يظهر سعة العربية في الوصول إلى المعاني الدقيقة . ولو أنك استقريت ما ورد من ذلك في « لسان العرب » وفي غيره من كتب الأدب والتاريخ لوجدت عجباً .

٢ ـ قال الليث [وهذه عبارة الخليل في كتاب « العين »] : يقال : اتّخَذَ فلان مالاً يتّخذه اتّخاذاً ، و« تَخِذَ » يَتخَذُ تَخْذاً ، وتَخِذْتُ مالاً أي كسبتُه .
قال تعالى : « لو شئتَ لتخذْتَ عليه أجراً » .
قال الفرّاء : وقرأ مجاهد « لتخِذتَ » . =

٣ ـ أمن

أقـول : وقـد ذكـرت الفعـل بالبنـاء للمفعـول « اؤتمن » فـي آخر الفعـل « أتـى » وفـي ذلك كفاية .

٤ ـ تبع :

وبناء « افتَعَلَ » مـن هـذا الفعـل يؤدّي إلـى إدغـام تاء الافتعـال في التـاء وهـي فاء الفعل « تَبِعَ » ، كما في قوله تعالى :

« ثم أوحينا إليك أن اتّبِعْ ملّةَ إبراهيم حنيفاً » ١٢٣ سورة النحل .

وقد أدرجت هذا الفعل ، وهو كسابقه « أخذ » جرياً على استقرائي مسألة الإدغام في الأفعال التي اشتملت عليها لغة التنزيل .

٥ ـ ثقل

قال تعالى : « ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقَلْتُم إلى الأرض » ٣٨ سورة التوبة .

أقول : أدرك اللغويون ومعهم المفسرون وأهل القراءات أن الفعل « اثّاقَل » في هذه الآية بمعنى « تثاقَلَ » . ولم يعرض أيّ من هؤلاء لصيغة هذا الفعل ، وكأنهم اكتفوا بمعناه ، وأنه مثل « تثاقَلَ » مبنىً ومعنىً .

= وقال أبو منصور [أي الأزهري] : وصحّت هذه القراءة عن ابن عبّاس ، وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء ، وكذلك قرأ أبو زيد ، وقال : وكذلك مكتوب هو في الإمام وبـه يقـرأ القُرّاء ، ومـن قـرأ « لاتّخَذتَ » ، بفتح الخاء وبالألف ، فإنه يخالف الكتاب . وقال الليث : من قرأ « لاتّخَذْتَ » فقد أدغم التاء في الياء فاجتمعت همزتان فصُيِّرت إحداهما ياءً ، وأدغمت كراهة التقائهما .

أقول : أراد الليث [وهو الخليل] : أن التاء أدغمت في همزة « أخذ » التي هي فاء الفعل التي رسمت على الياء في « إئتَخَذَ » ، ثم حصل الإدغام .

وذهبوا إلى أن فيه معنى « ملتم » على النظر في « التضمين » .

حكى النضر بن شميل : ثَقَلَ إلى الأرض بمعنى أخلَدَ إليها واطمأن فيها .

جاء في « لسان العرب » : فإذا صحّ ذلك تعدّى « اثاقَلتُم » في قوله - عزّوجلّ - : « اثّاقلْتمُ إلى الأرض » بـ « إلى » بغير تأويل يخرجه عن بابه .

وتثاقل القومُ : استُنهضوا لنجدة فلم ينهضوا إليها . والتثاقل : التباطؤ من التحامل في الوطء .

قلت : كأن بناء الفعل في الآية لم يستوقف اللغويين الصرفيين ولا المفسرين ، وقد عدّوه مثل « تثاقَلَ » .

أقول : ليس لي أن اكتفي بما جاء عن هذا الفعل ، وكأني أبصر فيه الأصل وهو : « اتثاقلتم » . وهذا يعني أن في العربية الفصيحة بناء « إتفاعلَ » وهو غير « تفاعَل » .

وأعود إلى التماس الخفة الذي كان سبباً في الإدغام وهو في هذا الفعل أدّى إلى إدغام التاء الزائدة في الثاء فصار لنا « إثّاقَلَ » ، وسنجد نظير هذا في لغة التنزيل .

أقول : إن هذا البناء من الأبنية العربية النادرة ، وندرتها تأتي من ثقلها وإن كان المعرب القديم قد سعى إلى التماس الخفة فكان له هذا الإدغام . وهي مع ذلك تشتمل على الثقل الذي لا تجري فيه طبيعة العربية ، وقلة ورودها تؤيد ما ذهبت إليه .

لقد كان مثل هذا بناء « افعالّ » وهو يرد في الألوان سماعاً نحو : احمارّ واسوادّ ونحو ذلك . إنه ثقيل ، ولذلك لم يكن له مكان في الكلم المنظوم . لقد أشار الى هذا المبرّد في « الكامل »[1] في كلامه على « حمارّة القيظ » التي وردت في خطبة أمير المؤمنين

---

١ - الكامل في اللغة والأدب ١/١٦-١٧ (طبعة المكتبة التجارية الكبرى) .

علي بن أبي طالب وقد بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسان ابن حسان فخرج مغضباً ....

وقد جاء في كلام المبرّد على هذه العبارة :

« وحمارّة القيظ اشتداد حرّه واحتدامه . و « حمارّة » مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شعر لأن كلّ ما كان فيه الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضرب منه يقال له المتقارب ، فإنه جُوِّز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القِصاص وكان التَقا ... صُّ فرضاً وحتماً على المسلمينا

ولو قال : وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض »[1] .

أقول : ذكرت هذا لأشير إلى ما في هذه الأبنية من ثقل على سعي المعربين التخلص منه بالتماس الخفة في الإدغام . ومن أجل هذا كان هذا العارض الصوتي سبباً في قلة ورود مثل هذه الأبنية .

وأنت تجد من هذا القليل قوله تعالى « مُدْهامّتان » والوصف « مدهامّ » من الفعل « ادهامّ » ودلالته على اللون معروفة .

وأعود إلى الفعل « اثّاقَلَ » الذي ورد في الآية الكريمة فأقول إنه بناء « اتْفاعَلَ » ، وليس هذا في أبنية المزيد من الأفعال في العربية . ولا أدري كيف أغفل أمره وهو شيء من أفعال قليلة جاءت مثله . وليس لأهل اللغة أن يلحقوه بـ « تفاعَلَ » .

٦ ـ حادد

أقول : إن بناء « فاعَلَ » من الفعل الثلاثي المضعف « حدّ » هو « حادّ » بإدغام الدال في الدال . وكأن في هذا الإدغام طلباً للخفة ذلك أن « حادد » بفك الإدغام مما لم يسغه المعربون إلا في ضرورة تقتضي الفكّ .

---

١ ـ المرجع السابق نفسه .

وأود أن أقول : إن ما ذهب إليه المبرّد في مسألة « التقاء الساكنين » في « حمارّة » ، ومثله عامّة أهل العربية هو من تقصير النظر القديم فالتشديد في « حمارّة » ليس التقاء ساكنين بل إنه مقطع صوتي طويل تجاوز طوله المعروف من المقاطع في الكلمة العربية .

قال تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله » ٢٢ سورة المجادلة .

والفعل « حادّ » بناء « فاعَلَ » وهو « حـادَدَ » ، و« حـادّه » بمعنى غاضبَه مثل « شاقَّه » وكأن اشتقاقه من « الحدّ » الذي هو الحيّز والناحية ، كأنه صار في الحدّ الذي فيه عدوّه ، كما أن « شاقّ » صار في الشقّ الذي فيه عدوه . و « حادّ » الله » في الآية أي خالف الله وعاداه وسيأتي الكلام على الفعل « يُوادّون » في هذه الآية في موضعه .

وقال تعالى : « ألم يعلموا أنه مـن يحُادِدِ اللـه ورسولـه فـأنَّ لـه نـار جهنمّ خالداً فيها » ٦٣ التوبة .

أقول : الفعل في هـذه الآية « يُحادّ » بالإدغام وهو مجزوم لأنه فعل شرط ، وحركة الجزم هي السكون ، فكيف يظهر السكون على هـذا الفعل الـذي عرض له الإدغام ؟

هنا تأتي الضرورة التي تقتضي فك الإدغام وذلك لأن التقاء الساكنين(١) كما قالوا يقتضي أن يحرّك الساكن الأول وهو الفعل « يحادّ » بحركة اجتناباً لهذه العلة الطارئة ، وقد شاع أن تكون هـذه الحـركة كبيرة تلحق آخر الفعل ، فقد فكّوا الإدغام وكسروا الدال الثانية في هذا الفعل وكـان لهـم ألا يفكّوا الإدغام ويبقوه ويحركوا الفعل المجزوم بفتحة ، ولكنهم ذهبوا إلى الوجه الأول ، وفي بعـض القراءات جاء هذا الوجه الثاني .

ومن المفيد أن أشير إلى أن جواب الشرط في هذه الآية هو قوله تعالى : « فأن له نارَ جهنمّ .... » . وقد ثبتت هذه القراءة بفتح همزة « أن » ولا وجه لفتحها ، ولكنها

---

١ - أقول : وهذا مما قصّر فيه اللغويون القدامى فحسبوا الألف في « حَمارّة » ساكناً ، فقالوا التقى هذا الساكن بالراء الأولى الساكنة . ان وجه الخطأ في قولهم هذا يكون في جعلهم الألف التي هي فتحة طويلة ، ساكنة ، والألف حركة لا سكون ، فكيف يلتقي الساكنان .

قراءة . والوجه هو كسر الهمزة الذي ورد في كثير من لغة التنزيل في مثل هذا الموضع وهو مجيء « إن » صدراً لجواب الشرط كما في قوله تعالى :

« إنه من يتقِ ويصبرْ « فإنّ » الله لا يضيع أجر المحسنين » ٩٠سورة يوسف .

ونعود إلى الفعل « يُحادّ » فنجد الإدغام فيه لعدم العلة الطارئة التي أشرنا إليها كما في قوله تعالى :

إن الذين يُحادّون الله ورسوله كُبِتوا .... » ٥ سورة المجادلة .

٧ ـ درأ

وقد ورد الفعل « إدّارأ » ، وهو « إتْفاعَلَ » في قوله تعالى :

« وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها » ٧٢سورة البقرة .

وكأن اللغويين والصرفيين والمفسرين جعلوا هذا الفعل مثل تدارأ معنىً وبنية .

أقول : إن الفعل في الآية معناه « تدارأتم » أي اختلفتم وتدافعتُم .

وأما بناؤه فهو « اتفاعلتم » الذي أنكره اللغويون على أنه من أبنية الفعل المزيد في العربية ، وهو « تفاعلتُم » لديهم .

وقالوا : وأصله « تدارأتم » فأدغِمت التاء في الدال واجتُلبت الألف ليصبح الابتداء بها . وذكروا أن الأصل وقع في الحديث الشريف : « إذا « تدارأتم » في الطريق ......» أي تدافعتم واختلفتم .

أقول : وكأن اللغويين صرفوا « إتفاعَلَ » كما في « اثّاقَلَ وادّاراً »[1] إلى بناء « تفاعَلَ » لقلّة ما جاء من نظائر هذين الفعلين . وكأنهم لم يريدوا استحداث هذا البناء فذهبوا إلى قولهم : « باجتلاب الألف » ولم يتوقّفوا في سبب اجتلاب الألف هذه ، وهل جاء مثل « الاجتلاب » في العربية .

٨ ـ درك

وقد جاء من هذا الفعل المزيد « ادّارَكَ » كما في قوله تعالى :

« بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة بل هم في شكّ منها » ٦٦ سورة النمل .

أقول : جعل اللغويون هذا الفعل في هذه الآية بمعنى « تدارَكَ » وهو الأصل عندهم ، وقالوا : رُوي عن الحسن أنه قال : جهلوا علم الآخرة ، أي لا علم عندهم في أمر الآخرة .

وجاء في « التهذيب » وقوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله وما يشعرون أيّان يُبعثون بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة » قرأ شيبة ونافع « بل ادّارَكَ » ، وقرأ أبو عمرو « بل أدْرَكَ » ، وهي في قراءة مجاهد وأبي جعفر المدني .

ورُويَ عن ابن عباس أنه قرأ : « بل آأدرَكَ علمُهم » يستفهم ولا يُشدّد .

فأمّا من قرأ « بل ادّارَك » فإن الفرّاء قال : معناه لغة « تدارَك » أي تتابَعَ علمهم في الآخرة ، يريد بعلم الآخرة تكون أو لا تكون ، ولذلك قال : بل هم في شكّ منها بل هم منها عَمون ،

١ ـ أقول : إن تشديد الثاء والدال في الفعلين متأتّ من إدغام تاء « اتفاعَلَ » في فاء كل من الفعلين وهذا حاصل في طائفة من الأبنية القديمة ، ومنه ما ورد في قوله تعالى :
« ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم « يَخِصّمون » ٤٩ سورة يس .
الفعل « يخِصّمون » بتشديد الصاد أصل « يختصمون » ، وتبعت الخاء الصاد فكُسرت .

قال : وهي في قراءة أُبَي « أم تَدارَك » والعرب تجعل « بل » مكان « أم » ، و« أم » مكـان « بل » إذا كان في أول الكلمة استفهام مثل قول الشاعر :

فوالله ما أدري ، أسَلمى تَغَوَّلَتْ   أم اليوم أم كلٌّ إليَّ حبيبُ

معنى « أم » بل .

وقال أبو معاذ النحوي : ومن قرأ « بل أدرك » ومن قرأ « بل ادّارك » فمعناهما واحد .

٩ ـ ذخر

وقال تعالى : « وما تَدّخرون في بيوتكم » ٤٩ سورة آل عمران .

أقول : أصل « تدَّخرون » هو الفعل « ذَخَرَ » بالذال ، وقد بُني هذا على « افتَعَلَ » فكان بحسب ما هو مطَّرد أن يكون « تذدخرون » وتاء الافتعال تبدل دالاً . وقد ورد هذا في بعض القراءات في هذه الآية . والذال من الحروف المهجورة والحروف اللثوية وهي الثاء والذال والظاء . والدال من الحروف المهجورة والحروف النَّطعية وهي الطاء والتاء . وكأن اللسان يذهب إلى الدال هذه ، وهي أقوى من الذال ، وهذه القوة أو الشدّة تعرض لفاء الفعل وهي الذال فتبدل « دالاً » . وكأن الأصل « دخر » وليس لنا « دخر» في هذا المعنى . وقد شاع الفعل مع إبدال الذال الأصلية دالاً واستعمل الفعل « ادَّخَرَ » وكأنه بعيد عن « اذدَخَرَ » ، ومثل هذا المصدر « الادّخار » ولا يقال : « الاذدخار » .

ولنا أن نأتي بنظير هذا الإبدال الطارئ مع تجنّب الأصل في الفعل « ذَكَرَ » ، ويُبنى على « افتعَلَ » فيكون منه « اذدكر » والدال هنا إبدال من تاء « افتَعَل » . غير أن شدة الدال ظهرت فأُبدلت الذال الأصلية دالاً وأُدغمت في الدال التي هي تاء « افتعل » بعد الإبدال فكان لنا من هذا « أدّكَرَ » كما في قوله تعالى :

« وقال الذي نجا منهما و« ادَّكَرَ » بعد أمّة أنا أُنَبِّئكُم بتأويله » ٤٥ سورة يوسف .

وأنت تدرك في كل هذا الإبدال ، وما يكون بعده من الإدغام طلب الخفّة التي درجت عليها العربية .

١٠ - زمل

قال تعالى : يا أيّها المزَّمِّل ، قُم الليل إلا قليلاً » ١ سورة المزمل .

وأصل « المُزَّمِل » هو « المُتزمِّل » وقد أدغمت التاء في الزاي لقربها منها ، ذكر ذلك الزجّاج في « معاني القرآن » .

أقول : وهذا الإدغام جرى التماساً للخفّة ، وهو ما درجت عليها العربية الفصيحة ، فأما العربية المعاصرة فقد رجعت إلى الأصل وهو « المتزمِّل »(١) .

١١ - زجر

قال تعالى : « فكذَّبوا عبدَنا وقالوا مجنون وازدُجِر » ٩ سورة القمر .

أقول : والزّجْر هو المنع والنهي والانتهار . وزَجَرَه يزجُرُه زَجْراً وازدَجَرَه فانزَجَرَ وازدَجَرَ .

وجاء « الازدجار » في الآية في موضع الانزجار . وأصل « ازدَجَرَ » ازتَجَرَ وهو على « افتَعَلَ » . وقد قرئ : « أزُّجِر » بإدغام التاء في « ازتُجِرَ » بالزاي قبله ، وهذا من غرائب شواذ القراءات(٢) .

ومثل الفعل « ازدُجِر » في هذه الآية قوله تعالى أيضاً :

« ولـقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزدَجَر » ٤ سورة القمر .

---

١ - ومثل « المزَّمِّل » المُدَّثِّر في قوله تعالى : « يا أيّها المُدَّثِّر ، قم فأنذِر » ١ سورة المدثر . والأصل هو « المتدثِّر » .

أقول : والعربية المعاصرة تميل إلى الأصل فلا تدغم التاء في الدال . وعجيب أن نرى في الألسن الدارجة هذا الإدغام الفصيح إذ يقال : المُدّثر والمزّمِّل وغيرهما كذلك .

٢ - إدغام الدال في الزاي لم نجده في فصيح العربية ، ولعله مما وُقِف عليه في بعض لغات القبائل التي تحمل على النوادر والغريب ، ويؤيد هذا أنا نجده في بعض الألسن الدارجة في عصرنا ، ذلك أن من العرب في عصرنا من يقول : يزّي وأصله يجزي ، وبالزّاف وأصله بالجزاف .

١٢ ـ زكو

قال تعالى : « فقل هل لكَ إلى أن تزكّى » ١٨ سورة النازعات .

« وما يُدريك لعلّه يَزَّكّى » ٣ سورة عبس .

أقول : الفعل « تَزَكّى » في سورة « النازعات » أصله « تَتَزَكّى » وقد أدغمت التاء الثانية في الزاي فكان من ذلك « تَزَّكّى » .

والفعل « يَزَّكَى » في سورة « عبس » أصله « يَتَزَكّى » .

١٣ ـ سقط

قال تعالى : « وهُزّي إليك بجذع النخلة يَسّاقَطْ عليك رُطَباً جنيّاً » ٢٥ سورة مريم .

أقول : وقرئ « تَساقَطْ وتَسّاقَطْ ، فمن قرأه بالياء فهو الجذع ، ومن قرأه بالتاء فهي النخلة ، وانتصاب قوله « رطباً جنيّاً » على التمييز المحوّل ، أراد : يَسّاقط رُطَبُ الجذع ، فلما حُوِّل الفعل إلى الجذع خَرَجَ الرطب مفسِّراً .

قال الأزهري : هذا قول الفرّاء . قال : ولو قرأ قارئ تُسقِط عليك رُطَباً يذهب إلى النخلة ، أو قرأ : يُسقِط عليك ، يذهب إلى الجذع ، كان صواباً .

أقول : وقوله : « يَسّاقَط » بتشديد السين أصله يتساقط ، بالتاء فالسين ثم كان إدغام الأول في الثاني التماساً للخفّة .

وأعود فأكرّر : أن « التماس الخفة » يتحقق في القليل من الأصوات والحركات .

١٤ ـ سمع

قال تعالى : « لا يَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى » ٨سورة الصافات .

أقول : أصل « يَسَّمَّعون » هو « يتَسَمَّعون » وقد طُويت التاء في السين .

١٥ ـ شقق

قال تعالى : ذلك بأنّهم شاقُّوا اللهَ ورسوله » ١٣ سورة الأنفال .

أقول : هو « فاعَلَ » من الـمُشاقَّة أو الشِّقاق أي العداوة . والفعل « شاقَّ » هذا بإدغام العين في اللام ، والإدغام واجب ، ولم يسمع فكّ الإدغام « شاقَقَ » .

وهو كذلك في قوله تعالى :

« ويقول أين شركائي الذين كنتم تُشاقُّون فيهم » ٢٧ سورة النحل .

ثم نأتي إلى ما ندعوه المضارع في قوله تعالى :

« ومن يُشاقِّ اللهَ فإن الله شديد العقاب » ٤ سورة الحشر .

« ومَن يُشاقِقِ الرسول من بعد ما تَبَيَّن له الهدى » ١١٥ سورة النساء .

أقول : وكأنّ الإدغام وفكّه سواء في هذا الفعل المسند إلى الواحد ، وكلاهما حُرِّك بالكسر الطارئ لتجنب التقاء الساكنين .

١٦ ـ صدق

قال تعالى : « إنّ المصَّدِّقين والمُصَّدِّقات وأقرضوا الله قرْضاً حسناً يُضاعَفُ لهم » (١٨ سورة الحديد) . أقول : « المصَّدِّقين والمصَّدِّقات » في الآية أصلهما « المتَصدِّقين والمُتَصَدِّقات » بالتاء والمفرد هو « مُصَّدِّق » و « مُصَّدِّقة » كما ورد الأصل في قوله تعالى :

« والمتصدِّقين والمتصدِّقات والصائمين والصائمات » ٣٥ سورة الأحزاب .

١٧ ـ صيطر

قال تعالى : « لستَ عليهم بمُصَيطِر » ٢٢ سورة الغاشية .

أقول : لو عدت إلى الأصل لكان لي أن أدرج الآية في موضعها معتبراً أن الأصل في « مصيطر » هو « مسيطر » بالسين وموضعها في باب السين كما فعل صاحب « المعجم المفهرس » غير أني آثرت ما هو مثبت في المصحف الشريف وجعلت الأصل بالسين والصاد سواء بسواء .

أعود إلى الفعل « صَيْطَر » الذي عدّه الصرفيون رباعياً مجرّداً وأقول هو أيضاً « سَيْطَرَ » ومعناهما معروف مشهور وهو « التسلّط » . وكأنّي ألمح « السين واللام والطاء » الأصل للرباعي « سَيْطَرَ » والياء فيه زائدة ، وقد صير إلى هذا الرباعي بزيادة الياء وبالقلب بين عين الفعل وهو اللام في « سَلَط » ولام الفعل وهو الطاء .

وأعود إلى غلبة الصاد في هذا الفعل في لغة التنزيل ، وكأن هذه الغلبة للصاد على السين لا تكون إلا حيث يوجد الطاء في بناء الكلمة كما في « الصراط » في قوله تعالى « الصراط المستقيم » وفي آيات كثيرة أخرى ، ولم يرد بالسين إلا في القراءات .

وكأن لغة التنزيل قد غلّبت الصاد على السين في « صراط » و « مصيطر » وقد قرئا بالسين في قراءات عدّة ، وذلك لوجود الطاء على أن السين والصاد من الأصوات المهموسة الأَسَلية ، وأن الطاء من الأصوات المجهورة وهي نِطعية مبدؤها نِطع الغار الأعلى [1] .

١٨ ـ ضرر

قال تعالى : « لا تُضارَّ والدةٌ بولدها » ٢٣٣ سورة البقرة .

أقول : والفعل « تُضارّ » مسبوق بـ « لا » الناهية ، وهو مجزوم ، والفتحة على الراء حركة مجتلبة والأمر معروف . وبناؤه على « فاعَلَ » ، والإدغام فيه واجب ، ولم يسمع فكّ الإدغام .

---

١ ـ ومن غريب البدل ونوادره ما كان من قراءة أحدهم : « لستَ عليهم بمُضَيطر » بالضاد .
أقول : والضاد من الأصوات المجهورة ، وهي تسعة عشر صوتاً ، والجيم والشين والضاد في حيّز واحد وهي الأصوات الشجرية .
وقد نستقري البدل بين الصاد والضاد فنجد أثره في الصبر والضبر والصدّ والضد . وإذا عدنا إلى شيء من اللغات السامية فوجدنا الضاد في بعض الكلمات العربية يقابله الصاد في العبرانية في الدلالة عينها .

والثلاثي هو « ضرَّ » المضعف ويبنى علـى « افتَعَلَ » فتبدل تـاء « افتعـل »طـاء فيكـون « اضطرَّ » كمـا في قوله تعالى :

« ثم أَضْطَرُّهُ إلى عذاب النار » ١٢٦ سورة البقرة .

١٩ ـ طهر

وقال تعالى : « وإن كنتم جنُباً فاطَّهَروا » ٦ سورة المائدة .

: « والله يحبّ المُطَّهِّرين » ١٠٨ التوبة .

أقول : والأصل فيهما هو : « فتطهَّروا » و « المتطهِرين » ، وقد اجتُلبت الألف في الفعل الأمر بعد إدغام التاء في الطاء .

وهذا الأصل يرد في قوله تعالى :

« إنهم أناس يَتَطَهَّرون » ٨٢سورة الأعراف

« إن الله يُحبّ التّوابين ويُحبّ المتطهِّرين » ٢٢٢ سورة البقرة

٢٠ ـ طوع

وقال تعالى : « الذين يلمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين ... » ٧٩ التوبة .

أقول : والأصل هو « المتطوِّعين » .

٢١ ـ طوف

وقال تعالى : « وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق » ٢٩ سورة الحج .

أقول : والأصل : « وليَتَطَوَّفوا » .

وأنت ترى أن في الذهـاب إلـى الإدغام حساباً في الجهد الصـوتي ، وهـو من هنا أخفّ من الأصل .

٢٢ ـ طير

وقال تعالى : « قالوا اطَّيَّرنا بك وبمن معك » ٤٧ سورة النمل .

أقول : والأصل : « تطَيَّرنا » وقد أدغمت التاء في الطاء فاجتلبت الألف وصلاً للطاء المشدّدة[1] .

٢٣ ـ ودد

قال تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادَّ الله ورسوله » ٢٢ سورة المجادلة .

أقول : عرضنا لهذه الآية في « حادَّ » ونأتي هنا الى « يُوادّون » وهو المضارع لـ « وادَّ » بناء « فاعَلَ » .

خاتمـــــة :

عرضنا في هذا الدرس لطائفة من الأفعال المزيدة اشتملت على ظاهرة الإدغام ، وشيء من الإبدال ، وكان الغرض أن نشير إلى أن العربية جرت إلى خفة البناء فكان من ذلك هذا الذي بسطناه .

---

١ ـ إن « الخفّة » التي سعت إليها العربية حكمت بحذف التاء من « استطاع » فصار « اسطاعَ » كما في قوله تعالى : « فما اسطاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً » ٩٧ سورة الكهف ، وورود الفعل بحذف التاء وإثباتها إشعار بالجواز .

رياضة « الطبلة » في الشعر الأندلسي

في عصر بني الأحمر

الدكتور صلاح جرّار / الجامعة الأردنية

مقدمـــة :

دعاني إلى إعداد هذه الدراسة داعيان : أولهما : الكشف عن رياضة أندلسية شاعت في غرناطة في عصر بني الأحمر (٦٣٥ هـ - ٨٩٧ هـ/١٢٣٨ م - ١٤٩٢ م) لم يرد لها وصفٌ إلا في عددٍ من قصائد الشعراء الأندلسيين ، ولم يصفها أيٌّ من المؤرخين القدماء ، ولم يدرُسْها أيٌّ من الدارسين المحدثين .

وثانيهما : أن الدارسين الذين درسوا الشعر في زمن بني الأحمر ، أو درسوا شعر أي من الشعراء الذين وصفوا هذه الرياضة ، تجنبوا التعرّض للأبيات التي تصف تلك الرياضة ، لأن أحداً من هؤلاء الدارسين لا يستطيع أن يعرف صفات تلك الرياضة من خلال قصيدة بمفردها ، إذ لابد من جمع مختلف القصائد التي وصفت الرياضة وإخضاعها للمقارنة من أجل استجلاء صورة هذه الرياضة ، وهو ما تهدف إليه هذه الدراسة . وأما من استوقفته هذه الرياضة من الباحثين فقد وقف حائراً بين يديها ، كما فعل إميليوغارسيا غومس في كتابه « مع شعراء الأندلس والمتنبي »[1] حين قال « إن هذه اللعبة غامضة » ؛ وكما فعل محقق « أزهار الرياض » في تعريفه « الطبلة » بأنها بعض آلات الحرب[2] ، معتمداً في ذلك على معجم دوزي .

---

١ ـ غارسيا غومس ، إميليو ، مع شعراء الأندلس والمتنبي ، تعريب د . الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٢ ـ المقّري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض (٥ ج) ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات ، الرباط ، ١٣٩٨ م هـ / ١٩٧٨ م ، (٢/ ٦٠ الحاشية) .

وقد عثرتُ على ثماني مقطوعات شعرية متفرّقة في وصف هذه الرياضة ، وردت كل مقطوعة منها ضمن قصيدة مطوّلة في وصف الاحتفالات التي كان يقيمها ملوك بني الأحمر في المناسبات الوطنية والاجتماعية والدينية المختلفة في غرناطة ، وهذه القصائد لخمسة من شعراء غرناطة في عصر بني الأحمر . وقد جعلتُ هذه المقطوعات الثماني في ملحق في آخر هذه الدراسة ، وجعلتُ لكل مقطوعة رقماً ، وأشرتُ في أثناء الدراسة إلى كل مقطوعة برقمها .

وقد اختلفت المصادر الأدبية في اسم هذه الرياضة فبعضهم أطلق عليها اسم « الطّلبْة » وبعضهم سماها « الطَّبْلة » بتقديم الباء على اللام ، وقد آثرتُ إرجاء البحث في اسمها إلى حين الانتهاء من التعرف على ملامحها وأصولها ومبادئها كما وردت في المقطوعات المذكورة ، لأن معرفة مبادئ هذه الرياضة تساعد على معرفة سبب تسميتها . وتتناول هذه الدراسة ، فضلاً عن ذلك صلة هذه الرياضة بغيرها من أنواع الرياضة السابقة واللاحقة .

مبادئ اللعب :

العناصر الأساسية في هذه الرياضة هي : الهدف ، والرامي ، ومايُقْذَف به الهدف . ويستطيع الباحث من خلال تأمل المقطوعات الشعرية التي تصف هذه الرياضة ومقارنتها بعضها ببعض ، أن يستخلص صورة للهدف وطريقة نصبه في الهواء ، وصفات العصيّ أو السهام التي كان يُقْذَفُ بها ، وهيئة اللاعب الذي كان يقذف الهدف بالعصيّ ، وشروط الفوز والخسارة ، إلى غير ذلك مما يتصل بمبادئ اللعب وأصوله .

الهــدف :

يشكل الهدف أساس هذه الرياضة ، وتتجه أكثر الأبيات التي تصف هذه الرياضة إلى وصف الهدف ، فمثلما كان هذا الهدف محط أنظار الرماة والمتفرجين

ومحط رحال العصيّ التي تُقْذَفُ نحوه ، فكذلك نال النصيب الأوفر من اهتمام الشعراء الذين وصفوا هذه اللعبة ؛ فأشاروا إلى المادة التي صُنع منها هذا الهدف ، وطريقة إعداده ، ثم الصورة التي يصبح عليها بعد إطلاقه في الفضاء .

وتتفق القصائد التي تصف هذا الهدف ، على أنه هدفٌ خشبيٌ يُجعل في مكان مرتفع جداً من الفضاء ، وهذا ما نصّ عليه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة ونقله عنه المقري في نفح الطيب ، حيث يقول ابن الخطيب في التقديم لإحدى قصائده : « وقولي في امتداح سلطاني لما احتفل لإعذار ولده ، واستركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجو المسمى بالطبلة ... »[1] .

ويشير ابن الخطيب إلى أنها مصنوعة من الخشب حيث يقول[2] :

وطاعنـــةِ نحْـــرَ السُّكاكِ أعانهـــا ... على الكونِ عِرْقٌ واشجٌ ولحيً سَبْطُ

(والسُّكاك : الجوّ ، والعرق الواشج : المتداخلُ المتشابك الملتفّ ، والسَّبْط : نقيض الجعد)[3] .

فالهدف ، على ذلك ، مأخوذٌ من الشجر من ساقٍ قوية ملتفّة ذات لحاء أملس ، ليساعدها ذلك على الانطلاق في الفضاء عند إرسالها فيه .

---

١ ـ لســان الدين بن الخطيب ، أبو عبدالله محمد بــن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة (٤ ج) ، حققه محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ـ ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ٤٧٩/٤ ؛ المقّري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٨ ج) ، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ٤٥٩/٦ .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (١) .

٣ ـ ابن منظور : لسان العرب .

ويشير ابن زمرك الصريحيّ إلى هذا الأصل الخشبيّ للهدف ، حيث يقول[١] :

وقد أُرْضِعَتْ ثَدْيَ الغمائم قبلها بحجر رياض كنَّ فيه نواشيا

فلمّا أُبينَتْ عن قرارة أصلها أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا

ويقول في قصيدة أخرى مشيراً إلى صلة الرحم بين الهدف والسهام التي تطلق عليه[٢] :

تراوغها طوْراً وطوْراً تضيفها فسامٍ لأعلى مرتقاها ونازلُ

وبالأمس كانت بعض أغصان دوحها فنقّلها عنها على الرغم ناقِلُ

فحنَّت إلى أوطانها وتسابقت تعاود مسراها بها وتواصِلُ

ويقول ابن زمرك في المعنى ذاته في مخمسة له[٣] :

وقد قذفَتْها للعصيّ حواصِبُ قد انتشرَتْ في الجوّ منها ذوائبُ

تزاورَ منها في الفضاء حبائبُ فبينهما من قَبْل ذاكَ مَناسِبُ

لأنّهما في الروض قبلُ تولَّدا

بناتٌ لأمٍ قد حيينَ بروْحها دعاها الهوى من بعد كتْم لبَوْحِها

فأقلامها تهوي لخطٍ بلَوْحها فبالأمس كانت بعْضَ أغصانِ دوْحِها

فعادت إليها اليوم من بَعْدُ عُوَّدا

---

١ ـ المقطوعة رقم (٣) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٥) .

وهذه الصلة بين الهدف الخشبي وبين السهام التي تطلق عليه ، كما يبينها الشعراء تؤكد أن الهدف كان يؤخذ من ساق الشجرة بينما كانت السهام تؤخذ من الفروع الصغيرة ، فالعلاقة بين الهدف والسهام علاقة الأصل بالفرع وعلاقة الأم بأبنائها ، فلذلك صوّر الشعراء إقبال السهام على الهدف بأنه كإقبال الأبناء على أمهم ، ولذلك يصف ابن فركون هذه العلاقة بقوله[1] :

تحـنُّ إليهـــا الذابــلات فترتمـــي فروعـاً يرينا الأصل كيف اجتذابُها

وبعد أن يُستأصَلُ الهدفُ من سيقان الشجر محكمة الالتفاف والتماسك ملساء اللحاء ، كانت تجعل على شكل أسطوانة ذات طول مناسب ، فيُدَبَّبُ رأسُها ليساعدها على الانطلاق عالياً في الفضاء ، وكانت تجوَّفُ بحيث تبقى كالأسطوانة الفارغة أو كالطبلة ، وكانت الغاية من تجويفها أولاً لتخفَّ حركتها في الفضاء فتنطلق سريعاً ، وثانياً لكي تحطّ السهامُ في جوفها عندما تصيبها . ولعلّ وصف لسان الدين بن الخطيب لهذا الهدف بقوله « وطاعنةِ نحر السُّكاك »[2] يشير إلى كونها مدببة الرأس ، أما تجويفها فتدلُّ عليه أبياتٌ كثيرة منها قول لسان الدين بن الخطيب[3] :

تلقَّـفُ حيّـات العصيّ إذا هـــوت فثعبانُهـــا لا يسـتتمُّ لـــه ســـرْطُ

ولا يستطيع هذا الهدف أن يتلقف العصيّ الصغيرة لولا أنه مجّوف ومفتوحٌ من بعض جوانبه ، ولعلنا نستطيع من هذا البيت ومن خلال العلاقة النسبية بين الثعبان والحيات الصغيرة التي يبتلعها أو يسرطها أن نتصور العلاقة النسبية في حجم الهدف الخشبي والعصيّ (السهام) التي تطلق عليه ، وأطوالها .

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٦) .

٢ ـ المقطوعة رقم (١) .

٣ ـ المقطوعة رقم (١) .

ويستطيع الدارس أن يتصور حجم ذلك الهدف قياساً على ما يستطيع تجويفه من استيعاب للعصي التي تطلق عليه ، ويظهر مدى استيعاب الهدف للعصي من خلال البيت السابق :

تلقّفُ حيّات العصيّ إذا هوت ... فثعبانُها لا يستتمُّ له سَرْطُ

ومعنى ذلك أنه مهما دخل إلى جوف ذلك الهدف من العصي فإنه لا يكاد يمتلئ[*] ويقول ابن زمرك[1] :

فخفَّتْ إليها الذابلاتُ كأنها ... طيورٌ إلى وكْرٍ أطلْنَ تهاويا

حكت شبهاً للنحل والنحلُ حوله ... عصيٌّ إلى مثواه تهوي عواليا

فهو يشبّه الهدف تارة بوكر الطيور الذي تُتابعُ الطيورُ الدخولَ فيه ، وتارة بخليّة النحل ، والعصيّ حوله كالنحل حول خليّته .

ويقول ابن زمرك من مقطوعة أخرى مصوراً دخول العصيّ في الهدف[2] :

وتنتابها هيفُ العصيّ كأنها ... سهامٌ وعاها للرميّة نابلُ

تراوغها طوراً وطوراً تضيفُها ... فسامٍ لأعلى مرتقاها ونازِلُ

ويقول ابن فركون يصف الهدف وهو يتلقف العصيّ[3] :

كأن طيوراً في ذرى الجو حوَّمَتْ ... وثابَتْ لأوكارٍ بهن وثابها

تقيم إذا لاقى الأمانَ ارتياعها ... ورتبما عنها ثناها ارتيابُها

---

* ربما كان القصد أيضاً أن السهام تنغرس في جسد الهدف دون أن تدخل فيه . فتبدو كالثعبان الذي يحاول ابتلاع الأفاعي فلا يستتم له ذلك .

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٣) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٦) .

أما فتحات ذلك التجويف فيخيل لي أنها كانت جانبية ، وهذا ينسجم مع تشبيه الهدف بوكر الطيور وخلّية النحل والثعبان ، ويساعد هذا أيضاً على بقاء العصيّ أو السهام داخل الهدف في حالة إصابته ، فأما إن كانت الفتحة في طرف الأسطوانة الخشبية لما تمكن الرماة من إطلاق سهامهم عليه ، ولما استقرت داخل الهدف بل ترجع إلى الأرض بفعل الجاذبية . ويستفاد من تصوير الشعراء للهدف أن هذه الفتحات صغيرة كالثقوب .

ويفهم من المقطوعات التي بين أيدينا أنّ الهدفَ كان يُدبّبُ من رأسه وتثقب حول الرأس المدبّب ثقوبٌ تجعله أشبه بالبرج الصاعد إلى السماء ، ويصفُ ابن زمرك هذا الرأس المدبّب بقوله(1) :

وحصنٍ منيعٍ في ذراه قد ارتقى ... فأبعد في الجوّ الفضاءِ المراقيا

كأنّ بروج الأفق غارت وقد رأت ... بروج قصور شيدْتهنّ سواميا

فأنشأتَ بُرْجاً صاعداً متنزلاً ... يكون رسولاً بينهنّ مُداريا

ويقول من مقطوعة أخرى(2) :

وبرج منيف في ذراها قد ارتقى ... لتُرْفَعَ منه للبروج الرسائلُ

ويقول من مقطوعة ثالثة(3) :

---

1 - انظر المقطوعة رقم (3) .

2 - انظر المقطوعة رقم (4) .

3 - انظر المقطوعة رقم (5) .

ويا رُبَّ حصنٍ في ذراها قد اعتلى … أنارَتْ بُروجَ الأفْق في مظهر العُلا
بـروج قصـور شِيدتْها متطـوّلا … فأنشأتَ برجاً صاعداً متنـزلا

يكـون رسـولاً بينها متـردّدا

ولعلّ جعل الهدف على صورة البرج كان المقصود منه أن ينسجم وبعض الأهداف المتوخاة من هذه الرياضة ، وهي التدريبات العسكرية ، لأنّ إصابة هذا الهدف وهو على شكل البرج يسهل على الفرسان إصابة أبراج الأعداء في أثناء الغزوات والمعارك[1] .

ويظهر أن الثقوب التي كانت تحيط برأس الهدف كانت مصدراً لذلك الزمر الذي كان ينبعث من الهدف أثناء صعوده في الفضاء ، ولذلك يصف ابن زمرك هذا الزمر بقوله[2] :

فلمّا أُبينَتْ عن قـرارةِ أصلها … أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
وعدَّتْ لقاءَ السُّحْبِ عيداً وموسماً … لذاك اغتدت بالزمر تلهي الغواديا
فأضحكت البرقَ الطروبَ خلالها … وبـاتَ لأكواس الدراري مُعاطيا

١ - يصف الشعراء هذا البرج وكأنه ليس من أصل الهدف ، بل يضاف إليه بعد ذلك ، ولا أستبعد أن يركب البرج على الهدف بعد إعداده للإطلاق .

٢ - انظر المقطوعة رقم (٣) .

ويظهر أيضاً أنّ الهدف كان يضيّقُ من وسطه بحيث يبدو وكأنّ له خصراً . وقبل إطلاق الهدف إلى الفضاء كان يزيّن بالحلْي والقماش الملوّن ، فيجعل له عند رأسه شبه التاج ، وفي موضع العنق منه قماش ، وفي موضع الخصر منه وشاح ، وفي موضع القاعدة حليٌ كالخلخال ، وبذلك فإنه كيفما تقلّب في الجوّ نتيجة ضربات السهام فإنه يظلّ رائق المنظر ، وفي زينة الهدف يقول ابن زمرك[1] :

تطـــوّر حالاتٍ أتى في ضروبهــا   بأنـــواع حَلْـي تســـتفزُّ الغوانـــيا

فحِجْلٌ[*] برجْلَيْها ، وشاحٌ بخصرها   وتـــاجٌ إذا ما حـــلَّ منهـا الأعاليـا

ويقول في مقطوعة أخرى[2] :

تطـــور حـــالاتٍ أتى في جميعهـــا   بأوضـــاع حلْـي وصفُـهُ متغافـــلُ

فتـــاجٌ بأعلاهـــا وشـــاحٌ بخصـــرها   وفي الساق منـه قد أديرت خلاخِلُ

ويقول في مقطع من مخمسةٍ له[3] :

وهـــل هي إلا هالـــةٌ حول بَدْرهـــا   يصـــوغ لها حَلْيـــاً يليـــق بنحرهـــا

تطـــوّر أنواعـــاً تشـــيدُ بفخرهـــا   فحِجْـــلٌ برجلَيْها وشاحٌ بخصرها

وتـــاجٌ بأعلى رأســـها قـد تنضّـــدا

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٣) .

* الحِجْل (بكسر الحاء وفتحها) : الخلخال (لسان العرب) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٤)

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٥) .

وقد أشار الشاعر ابن فركون إلى الحلي والقماش الذي يزين به الهدف فقال[1]:

وصاعــدة في الجو ألقت ذيولهــا　　　فــراق بآفاق السحابِ انســحابها

إذا ثبتــت راق العيــونَ ثباتُهــا　　　أو انقلبــت راقَ النفوسَ انقلابُهــا

فهي إذن بهذا الحلي وهذه الزينة تظلّ جميلة رائقة المنظر سواءً أكانت بوضعها الطبيعي أم انقلبت نتيجة ضربات السهام ؛ وأن القماش يتبعها كالذيول .

إطلاق الهدف إلى الفضاء :

بعد أن كان الهدفُ يعدُّ على الصورة التي وصفناها ويُزَيَّن ، كان يجري إطلاقه إلى الفضاء بحضور السلطان والمتفرجين والفرسان الذين يستعدون لإطلاق سهامهم نحوه . غير أننا لم نقف في الشعر أو غيره على وصفٍ للطريقة أو الأداة التي كان يطلق بها الهدف ، أهو بالمنجنيق أم بآلة قذف خاصّة أم بالحبال والبكرات ، إلا أنّ ما تقدّمه المقطوعات التي بين أيدينا من وصفٍ لإطلاق الهدف يقتصر على وصف السرعة الخاطفة لانطلاقه وإلى شقّه لعنان السماء إلى الدرجة التي يكاد معها يغيب عن الأبصــار ؛ فهذا ابن زمرك يصف انطلاق الهدف قائلاً[2] :

ومســافرٍ في الجوّ تحســبُ أنّــه　　　يــرقى إلى أوج الســماءِ بسُــلَّم

ويقول[3] :

وطامحةٍ في الجوّ غير مطالةٍ　　　يــردُّ مداها الطرفَ أحْسَرَ عانيــا

تمــدُّ الها الجوزاء كــفٌّ مصافــح　　　ويدنــو لهـا بدرُ السـماء مناجيــا

---

١ ــ انظر المقطوعة رقم (٦) .

٢ ــ انظر المقطوعة رقم (٢) .

٣ ــ انظر المقطوعة رقم (٣) .

ولا عَجَبٌ أنْ فاتت الشهب بالعلا   وأنْ جاوزَتْ منها المدى المتناهيا

فبيْنَ يديْ مثْواكَ قامت لخدمةٍ   ومَنْ خَدَم الأعلى استفادَ المعاليا

ويقول[1] :

وصاعدة في الجوّ ملءَ عنانها   تُسامتُ أعنانَ السَّما وتُطاولُ

طلعْتَ تحيّي البدْرَ منها بصعدةٍ   عليها لواءُ الصُبْح في الأفْق ماثِلُ

ويقول[2] :

وذاهبةٍ في الجوّ ملءَ عنانها   وقد لفّعَتْها السُّحْبُ بُرْدَ عِنَانها

يفوتُ ارتدادَ الطرْف لمحُ عيانها   وختّمت الجوزاء سَبْط بنانِها

وصاغت لها حليُ النجوم مقيّدا

أراها عمودُ الصُبْح عُلْوَ المصاعدِ   وأوهمها قُرْبَ المدى المتباعِدِ

ويقول ابن فركون[3] :

وصاعدةٍ في الجوّ ألقتْ ذيولها   فراقَ بآفاقِ السحاب أنسحابُها

ويقول ابن الحاجّ النميري[4] :

وقد صَعَدَتْ في الجوّ آيةُ طبلةٍ   تحاكي عمود الفجر أسْفَرَ للسَّفرْ

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٥) .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٦) .

٤ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

ويظهر أنّه بعد انطلاق الهدف في الفضاء بهذه السرعة وهذا العلوّ الذي يصفه الشعراء ، تعود فتسبح في الفضاء بشكل منساب ، ولهذا وصفها عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب بقوله[1] :

وســاقيةِ العمــادِ إذا أطلّــت   إلــى الأدواح تنســابُ انســيابا

ونجد إشارة في تخميس ابن زمرك قد تشير إلى ما يمكن أن يكون وسيلة لإطلاق الهدف إلى الفضاء ، إذ يقول في وصف الهدف[2] :

أراها عمــودُ الصبْح علْوَ المصاعِـدِ   وأوهمها قــرب المــدى المتباعِــدِ

ففاتتــه سبقاً في مجــال الرواعــد   ......

فهل توحي كلمة الرواعد في هذا السياق ، باستخدام المتفجرات أو الأسهم النارية في إطلاق الهدف ؟! لا سيما أنّ بني الأحمر قد عرفوا البارود واستخدموا المدافع منذ سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م في فتح حصن أشكر[3] .

أما انسياب الهدف في الفضاء بعد نفاد حدّة انطلاقه ، فربّما يكون مردّه إلى قطع القماش التي يزيّن بها ، والتي قد تشكل له ما يشبه المظلّة أو المنطاد ، ولذلك نجد لسان الدين بن الخطيب يشبه هذا الهدف بسفينة الفضاء حيث يقول في وصفها مخاطباً سلطانه[4] :

أزرْتَ بهــا بحــر الفضــاءِ سـفينةً   على الجوّ لا الجوديّ كان لها حطٌّ

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٨) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٥) .

٣ ـ لسان الدين بن الخطيب ، الكتيبــة الكامنة في من لقيتـه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، أعدهــا وحققها : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ٧٨ (من قصيدة للشاعر محمد بن شقرال) .

٤ ـ انظر مقطوعة رقم (١) .

ومما مر من الأبيات التي تصف صعود الهدف إلى الفضاء يتبين أنه كان يثبت أحياناً في الفضاء أي يمشي بطريقة مستقرة منسابة ، مما يدلّ على أن طريقة صناعة هذا الهدف مع الإضافات التي تلحق به كانت تمكنه من الاستقرار في الفضاء ، مما يسهل مهمة الرماة الذين يطلقون الأسهم نحوه .

الرُّماة / اللاعبون :

بعد أن كان الهدف يندفع إلى الفضاء كان الفرسان والرماة تتبعه بالعصيّ (السهام) بكثرة ، بحيث تنهمر عليه العصيّ بكثافة تريد إصابته والدخول إلى جوفه ، فبعض العصيّ تخترقه وتنزل في جوفه من فتحاته المختلفة وبعضها يخطئه فيعود إلى الأرض ، وكلما رام ذلك الهدفُ هبوطاً حالت السهام دون الإذن له بذلك ، وأبقته قائماً في الجو . وفي ذلك يقول ابن زمرك في وصف الهدف عندما يحاول الهبوط إلى الأرض[1] :

رامَ اسْتراقَ السَّمْع وهو مُمَنّع	فأصيبَ من قضب العصيّ بأسْهُم
رجمتْهُ من شهبِ النصال حواصبٌ	لولا تعرّضُهُ لها لم يُرْجَم

ويقول[2] :

وقد أعْرَبَتْ بالرَّفْع عن طيبِ فخرِها	متى نصبتها في الفضاءِ العواملُ

(والشاعر يستخدم هنا المصطلحات النحوية بقصد التورية في وصف ارتفاع الهدف في الجو وحيلولة السهام دون هبوطه إلى الأرض ، فالعوامل في هذا البيت هي من جهة العوامل النحوية ومن جهة أخرى السهام) .

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٢) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

ومثلما كانت بعض الرماة تصيب الهدف كان بعضها الآخر يخطئه ، يقول ابن زمرك في وصف السهام[1] :

فمـــن مثبتٍ منهـــا الرميّة مـــدركٍ ومـــن طائشٍ في الجـــوّ حلّقَ وانيـــا

ويقول في وصف السهام[2] :

تراوغهـــا طوْراً وطـــوْراً تضيفُهـــا فســـامٍ لأعلى مرتقاهـــا ونـــازلُ

ويفهم من المقطوعات التي تصف هذه اللعبة أن الرماة كان يطلقون الأسهم على الهدف وهم ركوبٌ على الخيل ، يدلُّ على ذلك قول عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب[3] :

تحـــفُّ بهـــا خيولُ القـــوم منّـــا فتُرْسِـــلُ نحوهـــا الجُرْدَ العِرابـــا

ويقول ابن الحاج النميري[4] :

وقد جـــالَ نقْعُ الخيل في جنباتهـــا كما جالَ في الأفكار معنىً من الشِعْرِ

ولكنّ ذلك لا ينفي وجود رماةٍ غير ركوب يطلقون العصيّ على الهدف ، غير أن ستعمال الخيل في هذه الرياضة قد يكون لكون هذه الرياضة لوناً من ألوان الفروسية، وربما للتمكن من إصابة الهدف الذي ينطلق بسرعة كبيرة لا تدركها إلا الخيل .

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٣) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٨) .

٤ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

العصيّ / السّهام :

أما العصيُّ أو السهام التي كان يطلقها الفرسان على الهدف ، فقد ورد وصفها في عدة أبيات ، ويستطيع الدارس من مجمل هذه الصفات أن يتبين أنها عصيّ رقيقة قصيرة ذات رأس معدني مدبب ؛ فمما قاله لسان الدين بن الخطيب في وصف الهدف وهو يتلقف العصيّ[1] :

تلقّــف حيّاتِ العصيّ إذا هــوت فثعبانهــا لا يســتتمُّ لــه سـرْط

ويفهم من هذه الصورة أن العصيّ قريبة الشبه بالحيّات الصغيرة من جهة الطول والسمك والرأس المدبّب ، وأن الهدف قريب الشبه بالثعبان الضخم الذي يبتلع الحيّات. وفي لسان العرب الثعبان : الحيّة الضخم الطويل ، الذكر خاصة ، وهو من أعظم الحيّات[2] . ويبدو أنّ الشاعر قد تمثل عصا سيّدنا موسى وهي تتلقف الأفاعي ، وذلك في قولــه تعالى ﴿ **وأوحَيْنا إلى موسى أنْ ألْق عصاكَ فإذا هي تلقَفُ ما يأفِكون** ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ **قال لهم موسى ألقوا ما أنتُم مُلْقون ، فألقواْ حبالهم وعصيَّهم وقالوا بعزّة فرعونَ إنّا لنحنُ الغالبون ، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقَفُ ما يأفِكون** ﴾[4] .

ولعــل لهذا البيت صلــة بقول بعضهم في الرمــاح « خُلِقَتْ كالأراقم ، لتغــر الحلاقم »[5] .

---

١ – انظر المقطوعة رقم (١) .

٢ – ابن منطور ، لسان العرب ، مادة : ثعب .

٣ – الأعراف : آية (١١٧) .

٤ – الشعراء : آية (٤٣ ـ ٤٥) .

٥ – ابن هذيل ، عليّ بن عبدالرحمن الأندلسي (ق ٨ هـ / ق ١٤ م)، حلية الفرسان وشعار الشجعان تحقيق وتعليق : محمد عبدالغني حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ ص ٢٠٢ .

ومما قاله ابن زمرك في وصف الهدف والعصيّ معاً[1] :

رام استراقَ السمْع وهو مُمَنَّعٌ ... فأُصيبَ من قُضْبِ العصيّ بأسْهُمِ

رجمته من شُهْبِ النصالِ حواصبٌ ... لولا تعرُّضُهُ لها لم يُرْجَمِ

وصفة العصيّ في البيت الأول أنها قضبان خشبية ولكنها مدببة الرأس كالأسهم ، وفي البيت الثاني أنها نصال ، والنصال لا تكون إلا معدنية ، والعصيُّ إذا كانت ذات نصال في رأسها ، فإنها تصبح رماحاً ، وشبّهها في البيت الثاني بالشهب لأن نصالها لامعة .

وفي موضع آخر يصف ابن زمرك هذه العصيّ بالذابلات حيث يقول[2] :

فخفّت إليها الذابلاتُ كأنّها ... طيورٌ إلى وكْرٍ أطلْنَ تهاويا

والذابلاتُ جمع ذابل وهو الرمح ذو العصا الليّنة . وقد استعملت صفة الذبلات للعصيّ في أكثر من موضع من المقطوعات التي بين أيدينا[3] . وهي من أفضل صفات الرمح[4] .

وفي مقطوعة أخرى يصف ابن زمرك العصيّ بالصَّعْدة ، حيث يقول[5] :

طلعْتَ تحيّي البدْرَ منها بصعدةٍ ... عليها لواءُ الصُّبْح في الأفُق ماثلُ

وقد أعربَتْ بالرفع عن طيبِ فخرها ... متى نصبتها في الفَضاء العوامِلُ

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٢) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٣) .

٣ ـ انظر المقطوعتين ٥ ، ٦ .

٤ ـ ابن هذيل ، حلية الفرسان ص ٢٠٣ .

٥ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

والصعدة في البيت الأول هي عصا الرمح إذا نبتت مستوية ولم تحتج إلى تثقيف[1]. وفي البيت الثاني استخدم كلمة « عوامل » في وصف العصيّ التي أبقت على الهدف منتصباً في الجو ، والعوامل جمع عامل وهو رأس الرمح إلى قدْر الثلث منه[2].

ويقول ابن زمرك أيضاً[3] :

وتنتابهـا هيـفُ العصـيّ كأنّـها   سِـهامٌ وعاهـا للرميّـة نابـلُ

ويفهم من هذا البيت ، في صفة تلك العصيّ أنها ليست من النوع الغليظ ، بل من النوع الرقيق وأنها رقيقة رقة السهام التي يقذفها الرماة بالقوس .

وعلى ذلك فان هذه العصيّ المستخدمة في قذف الهدف هي قضبان رشيقة رقيقة شبيهة بالسهام لها رؤوس مدببة تساعدها على اختراق الهدف . ولعلّ النوع المستخدم في هذه الرياضة هو ما يُعْرَف بالمزراق الذي « يُرمى به للطافة عصاه ، وقد يكون سنانه مربعاً لطيفاً لخرْق الدروع وشبه ذلك »[4] . وعندما يصف لسان الدين بن الخطيب سلاح الجمهور الغرناطي في كتابيه « الإحاطة » و « اللمحة البدرية » يقول : وسلاحُ جمهورهم العصيُّ الطويلة المثنّاةُ بعصيّ صغار ذوات عُرىً في أوساطها ، تدفَعُ بالأنامل عند قذفها ، تسمى بالأمداس »[5] . وربما تكون هنالك صلة بين هذه العصي الصغار والعصي المستخدمة في رياضة الطبلة .

---

١ ـ ابن هذيل ، حلية الفرسان ص ٢٠٣ .

٢ ـ المصدر نفسه .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٤) .

٤ ـ ابن هذيل ، حلية الفرسان ص ٢٠٢ .

٥ ـ لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ١/١٣٦ ـ ١٣٧ ؛ اللمحة البدْرية في الدولة النصرية ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م ، ص ٣٩ .

ورقة هذه العصيّ وقصرها وحدّة رؤوسها ولمعانها هو الذي كان يساعدها على الانطلاق بسرعة البرق في الجوّ واختراق هدفها ، ولذلك يصفها ابن الحاج النميري بقوله[١] :

وأنحـــوْا عليهـا بالعصـــيّ كأنّهـــا بـــروقٌ ولكنْ بالبروق غَدَتْ تُزْري

ولكثافة هذه العصيّ حول الهدف ، ممّا يدلّ على كثرة اللاعبين ، فقد شبّهها الشعراء بتشبيهات عدة ، فتارة شبهوها بالطيور وتارة بالنحل وتارة بالأفاعي ، وهاهو عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب يشبهها بالفراش حول المصباح ، قائلاً[٢] :

تحـــومُ بهـــا العصيُّ فـــراشَ ليـــل تـــــروم بســـــمعه منـــه اقترابـــا

الفوز والخسارة :

أما أسس الفوز والخسارة في هذه اللعبة ، فيمكنُ أن نستأنس في معرفتها بالتصور العام لهذه اللعبة فضلاً عن بعض الإشارات الواردة في مقطوعة ابن الحاج النميري[٣] في وصف هذه اللعبة . ولعلّ إصابة الهدف بالسهام ودخولها في جوفه تعدّ مقياساً للفوز وأنّ عدم إصابة الهدف وابتعاد العصيّ عنه يعدُّ مقياساً لخسران جولة اللعب . ونجد ابن الحاجّ النميري في أبياته يقسم النتيجة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : إصابة الهدف وكسره ، وبكسره تدخل العصا إلى جوف الهدف ، ويعدّ ذلك فوزاً عظيماً ، فيقول في وصف الهدف[٤] :

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٨) .

٣ ـ المقطوعة رقم (٧) .

٤ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

من الطبلات اللاءِ ما زال كسـرها لدى البطل الأحمى يعدُّ من الجبْـر

والثاني : إصابة الهدف دون كسره ودون دخول السهم في جوفه ، ويعدُّ ذلك نقطة لصالح الرامي ، لكنها ليست في المستوى الأول ، حيث يقول[1] :

وضاربُهـا يومَ الوفـودِ عقوقـه وإنْ كان لا يخفى يُعَـدُّ من البسـر

وأما الثالث : فهو عدم كسر الهدف وعدم إصابته ، وفي هذه الحالة يبدو الهدف وكأنه يزري بالعصيّ التي ترمى عليه ، فيقول ابن الحاجّ[2] :

وأنحـوْا عليهـا بالعصـيّ كأنّهـا بروقٌ ولكنْ بالبروق غَدَتْ تُزْري

ولا شك أن إخفاق الرامي في إصابة الهدف هو دليلٌ على خسرانه الجولة ، فقد اتضح لنا من خلال الأوصاف المذكوة لهذه اللعبة أن السبيل إلى إبقاء الهدف سابحاً في الفضاء دون هبوطه على الأرض هو الاستمرار في إصابته بالسهام ، ومتى أخفقت السهام في إصابته هبط على الأرض ليعلن خسارة الرماة في تلك الجولة .

اسم هذه الرياضة :

اختلفت المصادر في اسم هذه الرياضة ، فبعضها تسميها « الطّلبة » ، وبعضها الآخر يسميها « الطّبلة » ؛ فقد أطلق إسماعيل بن يوسف بن الأحمر على الهدف الذي يقذَفُ بالعصيّ اسم « الطلبة » ، وذلك في تقديمه لقصيدة لسان الدين بن الخطيب[3] ، حيث يقول عن تلك القصيدة « وتشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التي أرسلها ،

---

١ ـ المصدر السابق نفسه .

٢ ـ المصدر السابق نفسه .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (١) .

والطلبة التي نصبها في الهواء للفرسان يرسلون العصيّ إليها ... »[1] وفي تقديمه لقصيدة ابن زمرك[2] يقول إسماعيل بن الأحمر إنّ الشاعر قد « أجاد في وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الأوضاع »[3] .

أما لسان الدين بن الخطيب فإنه يطلق عليها اسم الطبلة ، وذلك في تقديمه لقصيدته السابقة[4] حيث يقول مشيراً إلى سلطانه إنه « استركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجوّ المسمى بالطبلة »[5] .

وفي رأيي أنّ الاسم الصحيح لها هو « الطّبْلة » وذلك لورودها في الشعر على هذه الصورة ، فقد ذكرها ابن الحاجّ النميري في مقطوعته حيث يقول[6] :

وقــد صعدت فـي الجوّ آيــة طبلةٍ ... إلـــخ

ويقول[7] :

من الطبلات اللاء ما زال كسـرها ... لـدى البطل الأحمى يُعَدُّ من الجَبْرِ

ولعلّ سبب الخلط في التسمية هو تقارب صورة الاسمين ، واحتمال وقوع التصحيف عند إسماعيل بن يوسف بن الأحمر أو عند المقّري الذي نقل رواية إسماعيل بن الأحمر . وربما يكون سببُ الاختلاف في الاسم أنّ كلا الاسمين ينطبق

---

١ ـ نفسه ، وانظر : المقري ، نفح الطيب ٤٥٩/٦ ـ ٤٦٠ .

٢ ـ انظر مقطوعة رقم (٢) .

٣ ـ المقري ، نفح الطيب ١٨٤/٧ ؛ أزهار الرياض ٦٠/٢ .

٤ ـ مقطوعة رقم (١) .

٥ ـ ابن الخطيب ، الإحاطة ٤٧٩/٤ .

٦ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

٧ ـ نفسه .

على هذه الرياضة ؛ فتسميتها بالطلبة منبثق من المعنى اللغوي للطلبة ، وهو : ما طلبتَهُ من شيء[1] . والهدفُ في هذه اللعبة كان يَطلبُ بالعصيّ . وأما تسميتها بالطبلة فمنبثقٌ من صفتها ، فهي كالطبلة في كونها قطعة خشبية مجوفة يخرج لها صوت كصوت الطبل حين تظفر بها العصيّ ، ولستُ استبعد شيوع الاسمين معاً بين أهل غرناطة ، وأن يكون أحدهما قد أصابه القلب فتقدم أحد الحرفين (الباء واللام) على الآخر ، كما يحدث كثيراً عند عوام الناس في كثير من الأسماء ، وشاع الاسمان على هذا النحو ، وساعد في شيوعهما مناسبة الاسمين للمسمى دون إخلال بصفته في الحالين .

التأثر والتأثير :

لم تتعرّض المصادر الأندلسية التي أُلفت قبل عصر بني الأحمر إلى هذه الرياضة، على الرغم من أن ألعاب الخيل والفروسية كانت الرياضة المفضلة لدى المسلمين في الأندلس وغيرها عبر عصور التاريخ الإسلامي لغايات الحرب ، كما هو الحال عند الرومان الذين وقف الأندلسيون على تراثهم في الأندلس ، فقد كانت الرياضة العسكرية تشكل جانباً أساسياً من برنامج تربية الشباب وكانت تتضمن تدريبه على الجري والوثب والسباحة ورمي الرمح والمبارزة ، وكانت الفرسان تتدرب على القوس والنشّاب والركوب[2] .

وفي رأيي أن هذه الرياضة عند الأندلسيين كانت نتيجة طبيعية لانتشار ألعاب الفروسية وتطورها والتعرف إلى قوانين الفروسية عند الاوروبيين ، والمتتبع لتاريخ

---

١ – لسان العرب ، مادة : طلب .

٢ – ديوبولد ب . فان دالين ، إلمر ، د . ميشل ، بروس ل . بنيت ، تاريخ التربية البدنية ، ترجمة الدكتور محمد عبدالخالق علام والدكتور محمد محمود فضالي ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٦ .

الرياضة عند المسلمين يجد صوراً مشابهة لرياضة الطبلة عند المماليك ، ومن ذلك رياضـة « القبق » ، وهي عبارة عن خشبة ينصـب في أعلاها جسـمٌ أشبه بالقرعة العسلية ، وكان المماليك يجعلون في وسطها طير حمام ، ويسوقون ويرمونها في أيام المواسم والأعياد[1] .

والذي يبدو لي أن رياضة « الطبلة » عند الأندلسيين ورياضة « القبق » عند المماليك هما من الأشكال المتقدمة لرياضة كرة السلة .

ملاحظات ختامية :

رياضة « الطبلة » عند الأندلسيين هي إحدى ألعاب الفروسية ، كان من غاياتها التدرّب على الرماية من أجل الاستعداد للجهاد ، شأنها في ذلك شأن رياضة الفروسية بمختلف أشكالها ، وقد أشار ابن الحاجّ النميري إلى هذه الغاية من رياضة الطبلة وعناية سلطانه بها حيث يقول[2] :

فذلـك منـه للجهـاد تـدرُّبٌ سيسقي به الحزْبَ الذي دان بالكُفْرْ

ويقول ابن زمرك إن سلطانه قد كلّف الأدباء وصف هذه الرياضة وغيرها من الألعاب التي جرت في أحد احتفالات السلطان[3] :

لمولىً تـولّاه وأحكـم رصفـه وكلَّـف أربابَ البلاغـةِ وَصْفَـهُ

غير أن سلاطين غرناطة كانوا يرون أن وصف هذه الرياضة يليق بشعراء دون شعراء آخرين ، فيحدثنا لسان الدين بن الخطيب أنّ سلطانه نهاه عن الهبوط إلى درجة

١ ـ عبدالعزيز ، دكتـور نبيل محمد ، الخيـل ورياضتها في عصـر سلاطين المماليك ، مكتبة الأنجلـو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٦٦ .

٢ ـ انظر المقطوعة رقم (٧) .

٣ ـ انظر المقطوعة رقم (٥) .

وصف المناسبات التي وصف بها لعبة الطبلة ، فعندما أورد قصيدته التي تتضمن وصفاً لهذه اللعبة قال : « وهي آخر الشعر في هذا الغرض ، لخجل السلطان من تنزّلي إلى ذلك وتنزيهي[1] عنه تجلّة ، أجلّه الله وكرّمه »[2] .

وفي ظني أنه لولا تحرّج السلطان من استمرار ابن الخطيب في وصف هذه الرياضة لربما قدّم لنا ابن الخطيب تفصيلات أكثر عنها . غير أنّ القصائد التي عرضت لهذه الرياضة استطاعت أن تقدّم لنا مجتمعة بعض ملامح هذه الرياضة .

ويلاحظ في جميع المقطوعات التي وصفت هذه الرياضة أنّ أيّاً منها لم يكن مستقلاً منفرداً بوصف هذه الرياضة بل جاءت كلّ منها ضمن قصيدة مطوّلة في وصف جملة ألعاب احتفالية . ولم يستطع أيّ شاعر أن يعطي وصفاً دقيقاً لهذه الرياضة بل انصرف هؤلاء الشعراء إلى المبالغات والتشبيهات المختلفة التي تجعل التمييز بين الحقيقة والخيـــال أمراً عسيراً ، ولذلك جاءت كلّ مقطوعة من هـــذه المقطوعات - على حدة - وكأنها لغز . ويلاحظ أيضاً أنّ جميع هذه المقطوعات جاءت متشابهة ومتأثراً بعضها ببعض في الألفاظ والصور والتشبيهات ، مما لا يعطي لأي منها خصوصية بارزة في توضيح صورة هذه الرياضة أو حتى في تمييز أسلوب شاعر عن غيره ، هذا فضلاً عن أن هذه المقطوعات تتسم بالتكلّف والخلّو من الحرارة والعاطفة والطبع كما يلاحظ أن جميع المقطوعات التي تصف هذه الرياضة تنتمي إلى عصر واحد وهو عصر بني الأحمر ولاسيما بعد النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

---

١ - في الإحاطة : وترفيهي ، وربما كانت مصحفة .

٢ - لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ٤/٤٧٩ .

بقي أن أقول إنّ هذه الرياضة ووصف الشعراء الأندلسيين لها تؤكد أن حلم أهل الأندلس باختراق الفضاء لم يبرح الخيال الأندلسي منذ أيام عباس بن فرناس الذي خاطر بمحاولة الطيران في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، حتى عصر بني الأحمر حيث يتبارى الشعراء في وصف المسافات التي أوغلت بها الطبلة في مدارج السماء ، وحيث جهز الأندلسيون هذه « الطبلة » بكل ما يمكّنها من اختراق الفضاء لكي[1] :

تمـــدّ لها الجـــوزاءُ كفّاً مصافـــحٍ ويدنـــو لها بـَـدرُ السماءِ مناجيـــا

---

١ ـ انظر المقطوعة رقم (٣) .

ملحق

المقطوعات الشعرية التي وصفت الطبلة

(١)

يقدّم لسانُ الدين بن الخطيب[1] لإحدى قصائده بقوله : « وقولي في امتداح سلطاني لما احتفل لإعذار ولده ، واستركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجوّ المسمى بالطّبلة .... وهي آخر الشعر في هذا الغرض لخجل السلطان من تنزّلي إلى ذلك ، وترفيهي عنه تجلّة ، أجلّه الله وكرمه لديه :

شَحَطَتْ وفودُ الليل بانَ بـه الوخْطُ وعسـكَرُهُ الزنجيُّ هـمَّ به القبط[2]

---

١ - هـو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني اللوشي المعروف بابن الخطيـب (٧١٣ هـ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٥ م) وزير بني الأحمر في غرناطة وكاتبهم وشاعرهم الذي وصفه إسماعيل بن الأحمر بأنه « كاتب الأرض إلى يوم العرض » . تولّى الكتابة عن السلطان أبي الحجّاج يوسف الأول والسلطان الغني بالله محمد الخامس بن الأحمر ، وتولى الوزارة لهما ، وعندما خلع سلطانه الغني بالله سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ظل لسانُ الدين معه إلى أن عاد إلى ملكه بعد سنتين من خلعه ، وصار لابن الخطيب شأن عظيم ، حسده له خصومه ، فأوقعوا به لدى السلطان ، فقتله سلطانه في المغرب سنة ٧٧٦ هـ . ولابن الخطيب مؤلفات ورسائل وأشعار زادت على الستين مؤلفاً .

(ابن الخطيب ، الإحاطة ٤٣٨/٤ - ٦٤٠ ؛ المقري ، نفح الطيب (الأجزاء الخامس والسادس والسابع) ، ابن الأحمر ، إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٢ - ٢٩٢ ؛ ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ودار الكتاب المصري - القاهرة ، ١٩٧٩ ص ١٦٧ - ٢٣١) .

٢ - ابـن الخطيب ، الإحاطة ٤٧٩/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ٤٥٩/٦ - ٤٦٠ (وفي نفـح الطيـب : الطلبة) .

إلى أن يصل إلى وصف الطبلة فيقول[1] :

وطاعنةٍ نَحْـــرَ السُّكاكِ[2] أعانهــا ... على الكوْنِ عرْقٌ واشجٌ ولحيً سَبْطُ

تَلَقَّـفُ حيّاتِ العصـيِّ إذا هَـوَتْ ... فثعبانُهـا لا يَسـتتمُّ[3] له سَـرْطُ

أزَرْتَ بهـا بحر الهـواء سفينـةً ... على الجو[4] لا الجوديّ كان لها حطُّ

(٢)

قدّم الأمير إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في كتابه « البقية والمدرك من كلام ابن زمرك »[5] لإحدى قصائد ابن زمرك[6] بقوله : « ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني المختص بعمّينا السيدين الأميرين سعد ونصر ، رحمة الله عليهما ، وأجاد في وصف الجُنْد والجُرْد والطّلبة وغرائب الأوضاع[7] :

---

١ ـ ابن الخطيب ، الإحاطة ٤٨٢/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ٤٦٢/٦ .

٢ ـ الجوّ (لسان العرب) .

٣ ـ النفح : يستقيم .

٤ ـ الإحاطة : الجود .

٥ ـ ما زال هذا الكتاب في عداد الكتب المفقودة ، وقد نقل المقري في أزهار الرياض أجزاء كبيرة منه .

٦ ـ أبـو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي ، ولد بغرناطة وتعلّم على شيوخها ومنهم ابن الخطيب سنة ٧٣٣ هـ ، وتولّى الكتابة لسلاطين غرناطة ولاسيّما محمد الخامس الغني بالله المتوفى سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، وابنه يوسف الثاني ، وكتب عن السلطان أبي سالم المريني في المغرب ، برع في النظم وخاصة في شعر الأعياد والمناسبات ، ويقال إنه وشى بأستاذه لسان الدين بن الخطيب ، وتوفي ابن زمرك قتيلاً بعد سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م (انظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ٣٠٠/٢ ـ ٣١٤ ؛ الكتيبة الكامنة ٢٨٢ ـ ٢٨٨ ؛ ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ٧٥/٦ ـ ٨٠ ، ١٤٥/٧ ـ ٢٨٠ ؛ أزهار الرياض ٧/٢ ـ ٢٠٦ ؛ وخصه الدكتور أحمد سليم الحمصي بكتاب عنوانه : ابن زمرك الغرناطي سيرته وأدبه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار الإيمان ـ طرابلس لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ ؛ وخصه إميليو غارسيا غومس بفصل خاص من كتابه مع شعراء الأندلس والمتنبي بعنــوان : ابن زمرك شاعر الحمراء ، ص ٢١٩ ـ ٣٤١) .

٧ ـ المقري ، أزهار الرياض ٦٠/٢ ؛ نفح الطيب ١٨٤/٧ .

أللمحــةِ مــن بــارقٍ متبسّــمِ أرســلْتَهُ دمعــاً تضــرَّجَ بالــدمِ

ويقول في وصف « الطّلبة »[1] :

ومســافرٍ في الجــوِّ تحسبُ أنــه يــرقى إلى أوجِ الســماءِ بسُــلَّمِ

رام اســتراقَ السَّــمْعِ وهو ممنَّــعٌ فأصيــبَ من قُضْبِ العصيِّ بأسهمِ

رَجَمَتْهُ من شُهبِ النصَال حواصبٌ[2] لولا تعرّضُــهُ لهــا لــم يُرْجَــمِ

(٣)

يقول ابن زمرك من قصيدة مطوّلة في وصف بعض الاحتفالات ، مطلعها[3] :

ســلْ الأفق بالزُّهْرِ الكواكبِ حاليا فإنّــي قــد أودعتُهُ شــرْحَ حاليــا

يقول منها في وصف الطّبلة[4] :

وطامحــةٍ في الجوّ غيــرِ مُطالــةٍ يــردُّ مداها الطرْفَ أحْسَرَ عانيــا

تمدُّ لهــا الجوزاءُ كــفَّ مُصافــحٍ[5] ويدنــو لهــا بدْرُ الســماءِ مُناجيــا

ولا عَجَبٌ أنْ فاتت الشُّهْبَ بالعُلا وأنْ جــاوَزَتْ منها المدى المتناهيــا

فبيْــنَ يديْ مثْــواك قامت لخدمــةٍ ومَــنْ خدَمَ الأعلى استفادَ المعاليــا

وشــاهدُ ذا أنّي ببابــك واقــفٌ وقد حَسَــدَتْ زُهْرُ النجوم مكانيــا

---

١ ـ المقري ، أزهار الرياض ٦٥/٢ ؛ نفح الطيب ١٨٧/٧ .

٢ ـ يذكر محقق النفح أن هذه الكلمة وردت في إحدى النسخ « قواضب » ويعلّق قائلاً : « ولها وجه، لأنه يتحدث عن الجواد ، فالقواضب السيوف وهي ترجمه أي تتعرض له » .

٣ ـ المقرى ، أزهار الرياض ٦٥/٢ ؛ نفح الطيب ١٨٨/٧ .

٤ ـ المقري ، أزهار الرياض ٧٢/٢ ؛ نفح الطيب ١٩٣/٧ ـ ١٩٤ .

٥ ـ في النفح : مُسارع .

وقَدْ أُرْضعَتْ ثدْيَ الغمائم قبلها	بحجر رياض كنَّ فيه نواشيا
فلما أُبينَتْ عن قرارة أصلها	أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
وعدَّتْ لقاءَ السُّحْبِ عيداً وموسماً	لذاك اغتدتْ بالزمْر تُلهي الغواديا
فأضحكت البرْقَ الطروبَ خلالها	وبات(1) لأكواس الدراريَ مُعاطيا
رأتْ نفَسها طالت فظنَّتْ بأنّها	تفوتُ على رغم اللحاق المراميا
فخفَّتْ إليها الذابلاتُ كأنّها	طيورٌ إلى وكر أطلْنَ تهاويا
حكت شبَهاً للنحل والنحلُ حوله	عصيٌّ إلى مثواه تهوي عواليا
فمن مُثْبتٍ منها الرمِّية مُدْرِكٍ	ومِنْ طائش في الجّو حلّقَ وانيا
وحصنٍ منيعٍ في ذراه قد ارتقى	فأبْعَدَ في الجّو الفضاءِ المراقيا
كأنَّ بروجَ الأفق غارت وقد رأتْ	بروجَ قصور شدتهنّ سواميا
فأنشأتَ بُرْجاً صاعداً متنزّلاً	يكون رسولاً بينهنّ مُداريا
تطوّرَ حالاتٍ أتى في ضروبها	بأنواع حلْي تستفزُّ الغوانيا
فحِجْلٌ برجليْها ، وشاحٌ بخصرها	وتاجٌ إذا ما حلَّ منها الأعاليا
وما هو إلا طيْرُ سَعْدٍ بذِرْوَةٍ	غدا زاجراً من أشهب الصبْح بازيا

---

1 - في النفح : وباتت .

(٤)

من قصيدة لابن زمرك في وصف إحدى الاحتفالات التي في عهد السلطان يوسف الثاني ، ومطلعها[١] :

نجـــومٌ أمدَّتهـــا بـــدورٌ كوامِـــلُ ... لهـــا النور من شمس الخلافةِ شاملُ

ومنها (في وصف الطلبة)[٢] :

وصاعــدةٌ في الجّو مـــلء عنانهـــا ... تُســـامِتُ أعْنانَ الســّـما وتُطـــاولُ

طلعْتَ تحيّي البدْرَ منهـــا بصعدةٍ[٣] ... عليْها لواءُ الصبْح في الأفْق ماثِـــلُ

وقد أعْرَبَتْ بالرفع عن طيبِ فخرها ... متى نصبتْهـــا في الفضاء العَوامِـــلُ

يمـــدُّ لها الكفُّ الخضيـــبُ بســـاعدٍ ... ويشكي السماكَ الأعْزَلَ الرمح عاملُ

وتنتابُهـــا هيـــف العصـــيّ كأنّهـــا ... ســـهامٌ وعـــاها للرميّـــةِ نابـــلُ

تراوغهـــا طـــوْراً وطـــوْراً تضيفُها ... فســـام لأعلى مرتقـــاها ونـــازلُ

وبالأمْس كانت بعْضَ أغصانِ دَوْحِها ... فنقّلهـــا عنها على الرغـــم ناقـــلُ

فحنَّـــتْ إلى أوطانهـــا وتســـابقَتْ ... تعـــاودُ مســـراها بهـــا وتواصِـــلُ

وبُـــرْجٌ مُنيفٌ في ذراها قـــد ارتقى ... لتُرْفَـــعَ منـــه للبـــروج الرســـائِلُ

تطـــوَّرَ حـــالاتٍ أتى في جميعهـــا ... بأوضـــاع حلْي وصفُـــه متغافِـــلُ

فتاجٌ بأعلاها ، وشاحٌ بخصـــرها ... وفي الســـاقِ منه قد أديرت خلاخِلُ

ومـــا هـــو إلا قائـــمٌ مـــدَّ مُلْكَـــهُ ... إلى اللّـــه في البقيـــا لما صدَّ ســـائلُ

---

١ ــ المقّري ، أزهار الرياض ٢/٧٤ .

٢ ــ نفسه ٢/٧٧ .

٣ ــ الصَّعْدة : الرمح إذا كانت عصاه قد نبتت مستوية ولم تحتج إلى تثقيف (ابن هذيل ، حلية الفرسان ص ٢٠٣) .

(٥)

يقول ابن زمرك في تخميس له يصف فيه صنيعاً لبعض أمراء بني الأحمر ، مطلعه[1] :

أرقتُ لبرقٍ مثل جفني ساهرا ينظّم من قطر الغمام جواهرا

فأضحك زهرُ الروض منه أزاهرا وصبح حكى وجه الخليفة باهرا

تجسّم من نور الهدى وتجسّدا

ويقول منه في وصف الطلبة[2] :

وذاهبةٍ في الجوّ ملء عنانها وقد لفّعتْها السُّحْبُ بُرْدَ عَنانها

يفوتُ ارتدادَ الطرْفِ لمحُ عَيانها وختَّمَتِ الجوزاءُ سَبْطَ بنانها

وصاغتْ لها حلْيُ النجوم مُقَيَّدا

أراها عمودُ الصبْح عُلْوَ المصاعِدِ وأوهمها قربَ المدى المتباعِدِ

ففاتتْهُ سبقاً في مجال الرواعِدِ وأتحفتِ الكفُّ الخضيبَ بساعِدِ

فطوّقتِ الزُّهْرَ النجومَ بها يدا

وقد قذفتْها للعصيّ حواصِبُ قد انتشَرَتْ في الجّو منها ذوائبُ

تزاور منها في الفضاء حبائبُ فبينهما من قبل ذاكَ مَنَاسِبُ

لأنهما في الروض قبلُ تولّدا

---

١ ـ المقّري ، أزهار الرياض ٢/٨١ ـ ٨٢ ؛ نفح الطيب ٧/١٩٥ ـ ١٩٦ .

٢ ـ المقّري ، أزهار الرياض ٢/٨٩ ـ ٩٠ ؛ نفح الطيب ٧/٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

بنـاتٌ لأمٍ قد حيين بِرَوْحـها(١) دعاها الهوى من بعد كتْم لبوْحـها

فأقلامُهـا تهـوي لخـطِ بلوْحِهـا فبالأمْس كانت بعضَ أغصانِ دوْحِها

فعـادت إليها اليومَ من بعْدُ عُـودًا

ويا رُبَّ حِصْنٍ في ذراها قد اعتلى أنارت بروجَ الأفق في مَظْهَر العُلا

بـروجُ قصـورٍ شِـدتَها متطـوّلا فأنشـأتَ برجـاً صاعـداً متنـزّلا

يكـون رسـولاً بينهـا متـردّدا

وهـل هي إلا هالـةٌ حول بدرهـا يصـوغ لها حَلْيـاً يليق بنحرهـا

تطـوَّرُ أنواعـاً تشيد بفخرهـا فحجـلٌ برجليها وشاحٌ بخصرهـا

وتـاجٌ بأعلى رأسـها قد تنضّـدا

أرادَ اسـتراقَ السَّمْع وهـو ممنّـعُ فقـام بأذيـال الـدجى يتلفَّـعُ

وأصـغى لأخبـار السَّما يتسـمَّعُ فأتبعـه منهـا ذوابـلُ شـرَّعُ

لتقذفـه بالرجْـم(٢) مثنىً وموْحَدا

ومـا هـو إلا قائـمٌ مـدَّ كفَّـهُ ليسـألَ منْ ربّ السموات لُطْفَـهُ

لمـولى تـولاه وأحكـم رَصْفَـهُ وكلَّـفَ أربابَ البلاغـةِ وَصْفَـهُ

وأكـرمَ منـه القانـتَ المتهجّـدا

ملاقي ركْـبٍ من وفودِ النواسِـمِ مقبّـل ثغـر للبـروقِ البواسِـمِ

مختّـم كـفٍ بالنجـوم العواتـمِ مبلّغ قصـدٍ من حضور المواسِـمِ

تجـدّده مهمـا صنيـعٌ تجـدّدا

---

١ - في النفح : قد حُيين لروحها .

٢ - في النفح : بالرعب .

(٦)

أنشد أبو الحسين بن فركون[1] السلطان يوسف الثالث قصيدة في سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥م بمناسبة ولادة ابن للسلطان وإعذار أخوين لذلك المولود ، ومطلع القصيدة[2] :

سل البان عنها أين بانت ركابها ... ولم رُفعَتْ فوقَ المطيّ قبابُها

ومن أبيات هذه القصيدة في وصف رياضة الطبلة[3] :

وصاعدةٍ في الجّو ألقت ذيولها ... فراقَ بآفاق السحاب انسحابُها

تحنُّ إليها الذابلاتُ فترتمي ... فروعاً يرينا الأصل كيف اجتذابُها

إذا ثبتت راقَ العيونَ ثباتُها ... أو انقلبت راقَ النفوسَ انقلابُها

كأنّ طيوراً في ذرى الجوّ حوّمَتْ ... وثابتْ لأوكار بهنّ وثابُها

تقيمُ إذا لاقى الأمانَ ارتياعُها ... وربّما عنها ثناها ارتيابُها

إذا أخطأ الخطيُّ يهديه خطُّها ... وما كان يأبى أنْ يُصيبَ صوابُها

إذا اعتمدتْ قوسُ السماءِ عمودَها ... لرمْي فسَهْمُ السَّعْدِ يدنيه قابُها

---

١ ـ أبو الحسين بن أحمد بن سليمان القرشي ، أصله من المريّة ، وانتقل جده إلى غرناطة ، كان أبوه قاضياً فقيهاً وأديباً شاعراً . أدرك أبو الحسين مكانة كبيرة في عهد السلطان يوسف الثالث ملك غرناطة ؛ فكان كاتب سره وشاعر دولته ، وولد أبو الحسين حوالي سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، وارتسم في الكتابة سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ، وتدرّج في المناصب حتى وفاة يوسف الثالث سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م . ولم تعرف تاريخ وفاة ابن فركون . (انظر تقديم الدكتور محمد بن شريفة لكتاب مظهر النور من جمع أبي الحسين بن فركون ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٩١م ص ٥ - ١٢ ؛ وتقديم الدكتور محمد شريفة لديوان ابن فركون (ص ٧ - ١٩) .

٢ ـ ابن فركون ، أبو الحسين بن أحمد بن سليمان القرشي ، ديوان ابن فركون ، تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص (٣٣٨ - ٣٣٩) .

٣ ـ نفسه ص ٣٤٣ .

(٧)

من قصيدة لابن الحاجّ النميري[1] ، مطلعها[2] :

أتتك وقد هزّ الدجى مضجع الفجرِ بكأسين من ريق بَرُودٍ ومن خَمْــرِ

يصفُ جانباً من إحدى احتفالات الغني بالله محمد الخامس ، قائلاً[3] :

وقــد صعدت في الجــوّ آيةُ طبلــةٍ تحاكــي عمودَ الفجْر أسفَرَ للسَّفْر

وأنحـواْ عليهــا بالعصيّ كأنّهــا بُــروقٌ ولكنْ بالبروقِ غدت تُزْري

مــن الطبلاتِ اللاءِ ما زال كسرُها لــدى البطل الأحمى يعدُّ من الجبْر

وضاربهــا يومَ الوفــودِ عقوقــه وإنْ كــان لا يخفى يُعَدُّ من البــرِّ

فذلــك منــه للجهــاد تــدرّبٌ سيسقي بـه الحزبَ الذي دانَ بالكفرِ

وقــد جال نقعُ الخيْل في جنباتِهــا كما جال في الأفكار معنىً من الشعرِ

---

١ ـ أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله بن محمد النميري ، يعرف بابن الحاجّ ، من أهل غرناطة ، ولد بها سنة ٧١٣هـ /١٣١٣م ، شاعر وكاتب له عدة مؤلفات في الأدب والبلاغة والرحلات والمذاهب وعلم الحديث والأحكام ، وله رحلة سمّاها « فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب » توجّه رسولاً عن سلطانه الغني بالله إلى تلمسان ، فاعترض العدو السفينة التي كان بها ، فوقع أسيراً ، فافتداه سلطانه بسبعة آلاف من العين بعد أيام قلائل من أسره ، وذلك سنة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م . وكان قد ارتسم في كتاب الإنشاء سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م وخدم في بلاط أبي عنان المريني إلى حين وفاته .

(انظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ٣٤٢/١ - ٣٦٣ ؛ الكتيبة الكامنة ٢٦٠ - ٢٦٩ ؛ ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ٣١٣ - ٣١٨ ؛ المقّري ، نفح الطيب ١٠٨/٧ - ١٢١ ؛ وانظر الدراسة التي قدم بها الدكتور محمد بن شقرون لكتاب فيض العباب لأبن الحاج ص ١ - ١٠٩ ، وقد نشر الكتاب في الرباط سنة ١٩٨٤ م) .

٢ ـ ابـن الحاج النميري ، قرائن القصر ومحاسن العصر في مدح أمير المسلمين أبي عبدالله بن نصـر ، مخطوط رقم Or. 5670 في المتحف البريطاني ، ص ٢٣ .

٣ ـ المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥ .

(٨)

من قصيدة لعبدالله بن لسان الدين بن الخطيب[١] في إعذار ابن للسلطان محمد ابن يوسف بن نصر الغنيّ بالله محمد الخامس ، مطلعها[٢] :

أثرْهـا عزمـةً تنفـي الركابـا ... وإنْ دميَـتْ لهـا العينُ انسكابا

يقول في بعض أبياتها في وصف الطبلة[٣] :

وساقيـةِ العمـادِ إذا أطلَّـتْ ... إلـى الأدواح تنسـابُ انسيابا

تحـومُ بها العصـيُّ فراشَ ليـل ... تـروم بسمعِـه منـه اقترابـا

تحـفُّ بهـا خيـولُ القـوم منّـا ... فَتُرْسِلُ نحوها الجـرْدَ العِرابـا

عجائـبُ أبدعَـتْ علـياك فيهـا ... ومثلـك يبـدعُ الأمْـرَ العجابـا

---

١ ـ ولـد بغرناطة سنة ٧٤٣هـ ، وحدّث عن أبيه لسان الدين بن الخطيب ، وعن ابن الجيّاب ، وكتب بالعدوتين للملوك الحضرتين (النصرية والمرينية) وتولّى القيادة والكتابة بالأندلس أيام كان أبوه مدبّر الدولة ، وكان شاعراً ، وقرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسني والخطيب أبي سعيد فرج بن لبّ التغلبي (انظر : لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة (نصوص جديدة لم تنشر) ، تحقيق : د . عبدالسلام بن شقور ، تطوان ، المغرب ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٣ - ١٣٢ ، المقّري ، نفح الطيب ٧/٢٨٩ - ٢٩٩) .

٢ ـ ابن الخطيب ، الإحاطة (نصوص جديدة لم تنشر) ص ١٣٠ ؛ المقّري ، نفح الطيب ٧/٢٩٧ .

٣ ـ المصدران السابقان .

من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره

الدكتور سمير الدروبي / جامعة مؤتة

مقدمـــة :

يبدو لي أنه من الضروري أن نحدد مفهوم الأدب الإداري عند المستشرقين* قبل الشروع في بيان جهودهم في دراسة هذا الأدب ونشره .

إن ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وما تلا ذلك من قيام دولة عربية منظمة اقتضت مصلحتها التخاطب والتكاتب والتعاقد مع الآخرين في داخل الجزيرة العربية وخارجها قد دفع الرسول عليه السلام إلى اتخاذ كتاب يكتبون عنه الرسائل وكتب العهود والصلح والأمانات وغيرها من ضروب المكاتبات(1) .

وعندما انطلق العرب حاملين الرسالة الإسلامية في الأقطار المجاورة اتسعت مصالح دولتهم واحتاجت إلى إدارة البلاد المفتوحة وتنظيم أمورها المالية ، فأسس ديوان الرسائل في العصر الأموي في عاصمة الخلافة ، وأقام ولاة الدولة على غراره دواوين رسائل لهم في الأمصار(2) ، واستخدم في هذه الدواوين كبار الكتاب الذين أصبحوا طبقة متميزة وضع لها دستورها الكتابي(3) في نهاية هذا العصر . ونال ديوان

---

* اعتمدت في كتابة أسماء المستشرقين بالأحرف العربية على كتاب « المستشرقون » لنجيب العقيقي. أما إذا كان أحد المراجع مترجماً فإنني رسمته كما ورد في الكتاب المترجم .

1 - الخزاعي ، علي بن محمد (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ، **تخريج الدلالات السمعية** ، تحقيق : أحمد محمد أبو سلامة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨١ م : ١٧١ - ١٧٤ .

2 - ضيف ، شوقي ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ : ١٠٣ .

3 - الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢ م)، **الوزراء والكتاب** ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأولى ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٨ م : ٧٤ - ٧٩ .

الرسائل في العصر العباسي ثم ديوان الإنشاء في العصور : الفاطمي والأيوبي والمملوكي رعاية هذه الدول ، وعمل فيه كبار الكتاب الذين نالوا ثقافة أدبية فقهية تاريخية جغرافية سياسية واسعة وأتقنوا مصطلح الكتابة في ديوان الإنشاء الذي صدرت عنه كل وثائق الدولة الرسمية من : رسائل سياسية وهدن وبيعات وعهود ووصايا ومسامحات وإطلاقات ، وتواقيع ومناشير وقصص (عرائض) ، وأيمان ، وأمانات ... إلخ . وأصبح كل ضرب من هذه المكاتبات له طريقته الفنية الخاصة التي لا يحسنها إلا من كان عارفاً بمصطلح المكاتبات ، وعلاوة على ذلك فقد توسعت صلاحيات رؤساء دواوين الإنشاء ومهامهم حتى اشتملت على إصدار الألقاب في المكاتبات ، واستقبال الوفود السياسية ، والإشراف على البريد[١] .

والمستشرقون عندما يدرسون واحداً من الموضوعات السابقة أو أكثر فإنهم يعدونه من الأدب الإداري ، والتسمية كما لا يخفى تعود للارتباط القوي بين إدارة الدولة وهذا النوع من الأدب ، وأقرب مصطلح عربي لما عرف عند المستشرقين بالأدب الإداري هو الأدب الديواني ، وربما اقتصر المصطلح العربي على ما يصدر عن دواوين الإنشاء من رسائل وتوقيعات ، في حين أن مصطلح المستشرقين أكثر اتساعاً حيث إنه يشمل كل النشاطات في مؤسسة ديوان الإنشاء .

محاور اهتمامات المستشرقين بالأدب الإداري عند العرب :

لقد تنوعت جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ، واتضحت من خلال الدراسة والنشر والفهرسة للبرديات العربية ، ووثائق ديرسانت كاترين بصحراء سيناء ، وأوراق الجنيزة بالقاهرة ، ووثائق الحرم القدسي ، ووثائق دور المحفوظات والمتاحف والأديرة الأوروبية ، وفي التعريف بدساتير دواوين الرسائل العربية ، وتحقيق الكتب ذات الصلة بدواوين الإنشاء .

---

١ ـ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ٦/١ ـ ٣٣ .

دراسة البرديات العربية ونشرها :

أطلق العرب على الأوراق المصنوعة من ورق البردي[١] اسم القراطيس ، وهي في أصلها كلمة يونانية عرفها العرب من خلال اللغة الآرامية ، وقد وردت في الشعر الجاهلي[٢] ، وفي القرآن الكريم[٣] .

وقد استخدم العرب أوراق البردي في الكتابة بعد الفتوحات الإسلامية ، وعرفوا صناعتها بمصر ، وكانت الكتابة بمصر على أوراق البردي بالعربية ، وأحياناً كان يكتب النص العربي مقروناً بنص يوناني أو قبطي ، وأقدم بردية مكتشفة كتبت بالعربية ترجع إلى سنة (٢٢ هـ/٦٤٢ م)[٤] .

وقد استخدمت أوراق البردي على نطاق واسع في القرنين الأول والثاني الهجريين حتى أيام الرشيد حينما اتخذ وزيره يحيى بن خالد البرمكي الكاغد[٥] (الورق) ، ولكن المكتشفات من أوراق البردي تدل على أنها بقيت مستخدمة في الكتابة حتى منتصف القرن الرابع الهجري[٦] .

---

١ ـ انظر : R. Sellheim, "Kirtās", EI²

٢ ـ يقول طرفة بن العبد (ديوانه : ٢٧ ، المكتبة الثقافية ، بلا تاريخ) :

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفَرٌ كسِبْتِ اليماني قَدُّهُ لم يُجرَّدِ

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **ولَوَ نزَّلنا عليكَ كِتاباً في قرطاس فَلَمَسُوهُ بأيديهِم لقَالَ الذين كَفَرُوا إن هَذا إلا سِحرٌ مُبين** ﴾ سورة الأنعام ، الآية : (٧) .

٤ ـ انظر : الدالي ، عبدالعزيز ، **البرديات العربية** ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣م : ٦٠ .

٥ ـ المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، دار صادر ، بيروت ، ٩١/١ .

٦ ـ الدالي : **البرديات العربية** : ٥٩ .

والمعروف أن مصر قد اشتهرت منذ عهود الفراعنة بزراعة البردي وصناعة القراطيس منه . لذلك « يمكن القول في اطمئنان إن العدد الأكبر من البرديات العربية كتب في مصر ووجد بها »[1] .

وفي العصر الحديث اكتشفت أوراق البردي بمصر سنة ١٧٧٨ م ، حينما اشترى سائح بردية مكتوبة باليونانية ثم حملها إلى أوروبا إلى أن استقرت في المتحف الأهلي بنابلي ، ثم نشرها بعد ذلك الأستاذ نقولاوس شو[2] ، وفي سنة ١٨٢٤ م عثر على بعض البرديات العربية بالقرب من هرم سقارة وقد حصل قنصل فرنسا على وثيقتين منها ثم سلمهما إلى المستشرق الفرنسي دي ساسي الذي نشرهما سنة ١٨٢٥ م وهو أول من نشر بردية عربية[3] .

ومن ذلك الحين وكشوف البرديات تتوالى في مصر في مناطق الفيوم والبهنسا والأشمونيين وأخميم وإدفو وأسوان وخرائب الفسطاط ، وعثر على برديات أخرى في عوجاء الحفير بمنطقة بئر السبع جنوبي فلسطين وفي سامراء وغيرها[4] .

وقد اقتنت دار الكتب المصرية حوالي أربعة آلاف بردية ، في حين تناثرت بقية البرديات في كثير من المتاحف والمكتبات العامة والخاصة شرقاً وغرباً ، أهمها وأكثرها في المتحف النمساوي في فينا (ثمانية آلاف بردية) ومكتبة جون ريلند John Rylands بمانشستر[5] . ويبلغ عدد البرديات المعروفة في العالم الآن حوالي ٥٠ ألف بردية منها ١٦ ألف بردية ورقية و ٣٣ ألف قطعة بردية[6] .

---

١ ـ المصدر السابق : ٦٢ .

٢ ـ المصدر السابق : ٥٥ .

٣ ـ المصدر السابق : ٥٩ .

٤ ـ المصدر السابق : ٥٩ .

٥ ـ المصدر السابق : ٦٦ ـ ٩٨ .

٦ ـ Adolf Grohmann, **From the World of Arabic Papyri,** (Cairo, 1952), p. 2

وللبرديات أهمية كبرى في تاريخ الأدب الإداري عند العرب فهي نصوص موثقة وأصيلة صدرت عن الولاة إلى أصحاب الكور في مختلف الشؤون الإدارية والمالية ، ومنها تقارير رفعت إلى الولاة ، ومنها جوازات مرور ، إلى غير ذلك من مختلف المكاتبات الإدارية ، مما يعني أننا نمتلك مادة غنية لا يتطرق إليها الوضع ويمكن من خلالها تتبع أسلوب الكتابة في دواوين الرسائل الإسلامية في القرون الهجرية الأولى[1] .

وقد أدى المستشرقون خدمات جليلة للبرديات العربية ، تمثلت في كونهم أدركوا قيمة البرديات الكبرى ، وحرصوا على البحث عنها واستجلابها ، ونحن مدينون إلى جهودهم في جمع البرديات العربية وحفظها سليمة من العبث والضياع والإهمال ، حتى وإن استقرت في متاحفهم ومكتباتهم العامة والخاصة ، ومما يجب الاعتراف به أن المستشرق موريتز B. moritz الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية من سنة ١٨٩٦ - ١٩١١ م قد أدى دوراً هاماً في اقتناء دار الكتب المصرية للبرديات العربية[2] .

وقد وضع بعض المستشرقين فهارس تفصيلية لما حوته مكتباتهم من أوراق البرديات العربية[3] ، الأمر الذي يسهل الانتفاع بها . ولا يخفى ما في هذا من الجهد لما تحتاجه قراءتها من جهد وصبر ومعرفة بالخطوط التي كتبت بها .

وقد تعاقبت جهود المستشرقين في خدمة البرديات العربية بحثاً وفهرسة ونشراً إلى أن كللت بجهود المستشرق الكبير أدولف جروهمان A. Grohmann (المولود عام ١٨٨٦م)

---

١ - Ibid., pp. 113-213

٢ - الدالي ، **البرديات العربية** : ٦٦ .

٣ - A.Grohmann, **From the World of Arabic Papyri**, pp. XV-XXII

الذي كان أستاذاً للتاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة من سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٤ م ، وقبلها في جامعتي أنسبروك في النمسا وبراغ في تشيكوسلوفاكيا[١] ، وقد أنجز جروهمان عملين أساسيين :

الأول : نشر أوراق البردي المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وقد صدر الجزء الأول من هذا العمل المهم سنة ١٩٣١ م ، وقام جروهمان علاوة على نشره لهذه الوثائق الإدارية والأدبية والمالية والزراعية ... إلخ ، بترجمتها ودراستها بالإنجليزية ، إلى أن وصل عمله إلى عشرة مجلدات[٢] ، ثم شرعت دار الكتب المصرية بترجمة هذا العمل منذ سنة ١٩٣٤ م ، وقد وصلت الترجمة إلى الجزء السادس الذي صدر سنة ١٩٧٤[٣] . والعمل الثاني : هو إصدار أول كتاب عن البرديات العربية ، وقد قسم كتابه إلى قسمين كبيرين ، القسم الاول : تحدث فيه عن أهمية البرديات العربية وقيمتها ، ثم تحدث عن أماكن اكتشافها وتواريخها ، ومادتها الكتابية ولغتها ، ثم القواعد التي يجب أن تراعى عند تحقيق هذه البرديات ، والقسم الثاني : مختارات من البرديات العربية حاول من خلالها أن يكشف عن كثير من الجوانب الاجتماعية والتاريخية في عصور كتابة هذه البرديات[٤] .

وثائق ديرسانت كاترين بصحراء سيناء :

يرجع اهتمام الغربيين بوثائق ديرسانت كاترين ومخطوطاته إلى مطلع القرن الثامن عشر وربما قبل ذلك عندما أرسل البابا كليمان الحادي عشر[٥] (١٧٠٠ - ١٧٢١) إلياس السمعاني إلى أديرة وادي النطرون بحثاً عن المخطوطات القديمة . ويضم هـذا

---

١ - العقيقي ، نجيب ، **المستشرقون** ، طبعة رابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ٢/٢٨٥ .

٢ - الدالي ، **البرديات العربية** ، ٦٨ - ٦٩ .

٣ - جروهمان ، أدولف ، **أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية** ، ترجمة : عبدالعزيز الدالي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ٦/ (المقدمة) .

٤ - A. Grohmann, **Form the World of Arabic Papyri,** p XIII

٥ - بدوي ، عبدالرحمن ، **موسوعة المستشرقين** ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ م : ٢٤٠ .

الدير العتيق الذي أسس في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان سنة ٥٤٠ م ما يزيد على خمسة آلاف كتاب ووثيقة مخطوطة في اثنتي عشرة لغة أهمها وأكثرها استخداماً اليونانية تليها العربية[١] ، ويحتفظ هذا الدير بـ ١٠٧١ ملفاً من الفرامانات العربية التي ترجع إلى العصر الفاطمي وما بعده[٢] .

ولما كان الرهبان الذين أقاموا بهذا الدير من رعايا الفاطميين ثم الأيوبيين والمماليك ، فإنهم قد اعتادوا طلب الأمانات أو رفع القصص (العرائض) إلى الخلفاء والسلاطين ، وكانت مثل هذه الكتب ترفع إلى ديوان الإنشاء ، ثم يرد الخليفة أو السلطان عليهم من خلال ذلك الديوان ، وكان رهبان الدير يحفظون مثل هذه الوثائق الصادرة عن ديوان الإنشاء ، وغالباً ما تكون موقعة من الخليفة أو السلطان ، ولهذا فإن الدير يضم وثائق عليها تواقيع : الخليفة الفاطمي الفائز ، والسلطان قطز ، والسلطان بيبرس ، والسلطان قلاوون ، والسلطان حسن ، والسلطان محمود شيخ[٣] وغيرهم من الخلفاء والسلاطين والولاة والوزراء .

وقد وجه المستشرق س . م . شتيرن S. M. Stern عنايته لنشر الوثائق العربية في هذا الدير ودراستها ، ويمكن اعتبار كتابه الموسوم بـ « المناشير الفاطمية » قائماً على الوثائق المحفوظة في دير سانت كاترين ، حيث قام بنشر تسعة من المناشير التي أصدرها الفاطميون إلى الرهبان المقيمين بالدير وترجمتها ودراستها ، وهي :

- منشور الخليفة الظافر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م .
- منشور الخليفة الحافظ سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م .

---

١ - عطية ، عزيز سوريال ، **الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سيناء العربية** ، ترجمة : جوزيف نسيم، الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٠ م ، ١/١٢ .

٢ - المصدر السابق : ١/١٣ .

٣ - عيسى ، أحمد محمد : « محفوظات ووثائق ديرسانت كاترين بشبه جزيرة سيناء » **المجلة التاريخية المصرية** ، ١٩٥٦ م ، مجلد ٥ ، ص ١٠٥ - ١١٩ .

- منشور الخليفة الحافظ سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م .

- منشور بهرام وزير الخليفة الحافظ سنة ٥٢٩ هـ /١١٣٤ م .

- منشور الخليفة الحافظ سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م .

- منشور العباس وزير الخليفة الظافر سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

- منشور طلائع وزير الخليفة الفائز سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م .

- منشور طلائع وزير الخليفة الفائز سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م .

- منشور شيركوه وزير الخليفة العاضد سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م[١] .

وقام ريتشاردز D. S. Richards بدراسة وترجمة لمنشور مملوكي حفظ بهذا الدير ويعود تاريخه إلى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م[٢] .

أوراق الجنيزة في القاهرة :

الجنيزة كلمة عبرية يقابلها في العربية كلمة الجنازة[٣] ، ويقال في العربية جَنَزه يَجنِزُهُ : ستره وجمعَه ، الجَنازة : بالفتح والكسر : الميت ، والجَنازة بالفتح : السرير ، والجِنازة ، بالكسر : السرير مع الميت ، والجَنْزُ : البيت الصغير من الطين[٤] .

ومصطلح الجنيزة يعني : المكان الذي يضع فيه اليهود الأوراق بعد الاستغناء عنها صوناً لحرمة لفظة الإله التي من الممكن أن تحملها تلك الأوراق ، وقد تم اكتشاف

---

١ - انظر : S. M. Stern, **Fātimid Decrees** (London, 1964) pp. 1-180

٢ - انظر : D. S. Richards, "A Mamlûk Petition and A Report From The Díwán al-Jaysh, **Bulletin of the school of oriental and A Frican Studies,** XL (1977) pp. 1-14

٣ - S. D. Goitein, "Geniza", EI^2

٤ - الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ، **القاموس المحيط** ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ م : ٦٥٠ (مادة : جنز) .

هــذه الأوراق في إحــدى حجرات معبــد يهودي في الفسطاط بمصــر ســنة ١٨٨٩ - ١٨٩٠ م ، ثم تم تسريب معظم هذه الأوراق إلى المكتبات الأوروبية والأميركية ، وتعود هذه الأوراق في تاريخها إلى العصور الفاطمية والأيوبية وأقلها إلى العصر المملوكي ، وأغلبها مكتوب بلغة عربية أو بعربية بحروف عبرية ، وهي عبارة عن رسائل ومناشير وحسابات وعقود تجارية وغيرها من الوثائق الرسمية والشخصية(١) .

ويقدر جوايتين S. D. Goitein بأن عدد مواد الجنيزة في العالم لا يقل عن ٢٥٠ ألف مادة تتوازعها مكتبات العالم(٢) .

وترجع أهمية الجنيزة في دراسة الأدب الإداري العربي إلى أن هذا الكم الهائل من هذه الأوراق قد حوى المئات من الأوراق الرسمية الصادرة عن دواوين الإنشاء في العصور الفاطمي والأيوبي والمملوكي أو المرفوعة إليها ، وتمثلت في : تقارير رسمية ، وقصص (عرائض) ، وطلبات تعيين ، وتوقيعات ، ووصايا ، ومناشير(٣) .

ومن هنا يمكن القول : إن أوراق الجنيزة التي اعتنى المستشرقون بفهرستها ونشرها وإقامة الدراسات حولها ، تقدم مادة وثائقية ممتازة . يمكن مقارنتها بأوراق البردي العربية مما يمكن من معرفة البرتوكول الذي كان متبعاً في دواوين الإنشاء الإسلامية ، علاوة على فائدتها في دراسة مختلف جوانب الحياة : المالية ، والتجارية ، والمنزلية ، والتاريخية ، واللغوية والاجتماعية .

وقد نشر المستشرق س . م . ستيرن S. M. Stern ثلاث قصص من أوراق الجنيزة مع ترجمة ودراسة لها بالإنجليزية(٤) ، ونشر أيضاً من أوراق الجنيزة وثيقة تتعلق بالتجار الإيطاليين صدرت عن ديوان الإنشاء الفاطمي(٥) .

---

١ - S. D. Goitein, "Geniza" EI[2]

٢ - S. D. Goitein, **A mediterranean Society,** (Berkeley and Los Angeles, 1967), p. 13

٣ - انظر : Ibid, p, 12

٤ - S. M. Stern, "Three Petititions of the Faṭimid period" **Oriens** Xv (1962), pp. 172-209

٥ - Ibid, "An original document from the fāṭimid chancery concerning Italian merchants" **In Studi orientalistici in Onore di Giorgio levi della Vida,** ii,(Rome, 1956) pp. 529-38

وثائق الحرم القدسي الشريف :

يرجع الفضل في الكشف عن هذه الوثائق الموجودة في المتحف الإسلامي التابع للحرم القدسي إلى موظفة عربية تدعى أمل أبو الحاج عندما قامت بفتح أحد الصناديق القديمة المحفوظة في المتحف الإسلامي سنة ١٩٧٤ م فوجدت فيه ٣٥٤ وثيقة إسلامية، وحين حاولت إثارة اهتمام مجلس الأوقاف ومدير المتحف الإسلامي لم تجد أذاناً صاغية ، وفي تلك الأثناء تعرفت هذه الموظفة على ليندا نورثرب Linda Northrup وهي باحثة أمريكية في تاريخ المماليك ، وقامت نور ثرب بمساعدة الحاج على فهم خمسين وثيقة منها ، ثم عادت نورثرب إلى معهد مكجل McGill للدراسات الإسلامية بمونتريال كندا في صيف ١٩٧٥ م .

وقد أعلمت نورثرب المستشرق ليتل Donald p. Little (من معهد مكجل) بخبر هذا الكشف فعكف على دراسة بعض مصورات هذه الوثائق . وفي سنة ١٩٧٦م قامت أمل أبو الحاج بفتح صندوق آخر فوجدت فيه من الوثائق ما لا يقل عما وجدته في الصندوق الأول . وقد نشرت الحاج ونورثرب خبر هذا الكشف في مجلة Arabica سنة ١٩٧٨ م ، ولكن ذلك لم يثر اهتمام الباحثين بهذا الموضوع سوى المستشرق ليتل[١] الذي داخله الخوف على مصير هذه الوثائق - وبخاصة أن صاحبة الكشف عن هذه الوثائق كانت على وشك ترك العمل في المتحف الإسلامي بالقدس - فأقنع المسؤولين في معهد مكجل للدراسات الإسلامية بكندا بضرورة السبق إلى تصوير هذه الوثائق ، فأرسلوا بعثة من ثلاثة نفر منهم المستشرق Little نفسه ، ونجحت البعثة في مسعاها لما وجدته من مساعدة وزارة الأوقاف الأردنية ، وعاد Little إلى معهد مكجل ظافراً بهذه الكنوز الثمينة .

---

١ - انظر : Donald p. Little. "The Significance of Haram Documents for the Study of medieval Islamic History", **Der Islam**, 57 (1980) p. 189-219

وعلاوة على مساعي Little الحثيثة في تصوير هذه الوثائق ، فإنه قام بإعداد فهرست تفصيلي شامل[1] لها وصف فيه أكثر من ألف وثيقة . وكتب عنها سلسلة من المقالات القيمة معرّفاً بقيمتها وأهميتها تاريخياً وأدبياً واجتماعياً وعمرانياًوفنياً[2] .

ومما يجب التنبه إليه أن ما كتبه Little عن وثائق الحرم القدسي كان المصدر الذي استقى منه بعض الباحثين في التعريف بقيمة هذا الوثائق[3] ، ومعظم وثائق الحرم القدسي تعود إلى الفترة المملوكية ، وتشتمل على : مراسيم سلطانية : (مرسوم من السلطان بيبرس بوقف قرية العوجا على الحرم الشريف) ، مثالات : (مثال من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الأمراء في الشام بشأن رعاية أوقاف الحرمين)، قصص : (قصة من برهان الدين الناصري بشأن تثبيت تعيينه في تربة طاز) . وتشتمل وثائق الحرم إضافة إلى إصدارات ديوان الإنشاء المملوكي على : قرارت محاكم ، وحجج قضائية ، وحجج تتعلق بالوقف ، وعقود ومعاملات تجارية ومالية ، ووصايا وشكاوى وغيرها من الوثائق[4] .

وثائق دور المحفوظات والمتاحف والأديرة الأوروبية :

نشأت أشكال مختلفة من العلاقات بين العالم الإسلامي ودول الغرب الأوروبي إبان العصور الوسطى ، وقد ازدهرت العلاقات التجارية بين الفاطميين والأيوبيين والمماليك من جهة وأمم الشمال من جهة أخرى لاسيما المدن الإيطالية وقشتالة وأرغون

---

١ ـ انظـــــــــر : Ibid, **A Catalogue of the IsLamic, Documents from al-Haram Al-Sha´rif in Jerusalem,** (Beirut, 1984)

٢ ـ انظـــــــــر : Ibid, "The Haram Documents as Sources for the Arts and Architecture of the Mamlūk period," **Muqarnas2** (1984), p. 61-72

٣ ـ انظـر : مصطفى ، شاكر ؛ « كنز في الحرم القدسي » ، **مجلة العربي** ، الكويت ، ١٩٨١ ، عـدد رقم ٣٧٢ ، ص ٢٦ .

٤ ـ انظـر : العسلي : كامل . **وثائق مقدسية تاريخية** ، الطبعــة الأولى ، مطبعـة التوفيق ، عمـــان ، ١٩٨٣م ، ١/١٧١ – ١٧٣ .

وتم تبادل السفراء ، وعقدت الهدن بين الطرفين ، ويبدو أن دور المحفوظات في الدول الأوروبية كانت أفضل حالاً من مثيلاتها في الدول الإسلامية ، فنجت من الحرق والتدمير والعبث والتقلبات السياسية والصراع العنيف على السلطة ، الأمر الذي جعلها مستقراً أميناً لمثل هذه الوثائق التي صدرت عن دواوين الإنشاء الإسلامية ، فلا عجب أن نجد وثائق أصلية في الفاتيكان وجنوه والبندقية وبرشلونة وغيرها من المدن الأوروبية .

وقـــد وجه نفر من المستشرقين عنايتهـــم إلى نشر هـــذه الوثائق منهم أمـــاري Amari(١) وفنك Finke وقولبوفش Golubovich(٢) ومكسيميليانو Maximiliano ورومن Roman(٣) ونزبرا Wansbrough(٤) وغيرهم ، ومانشر هو قليل من كثير هذه الوثائق المهمة لدارس الأدب العربي ؛ لأنها تكشف عن طبيعة البروتوكول والنهج واللغة المتبعة في مثل هذه المكاتبات .

التعريف بدساتير دواوين الرسائل العربية ودراستها :

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به بونباكر S. A Bonebakker(٥) من عرض وتحليل لأحد دساتير ديوان الإنشاء الفاطمي هو كتاب « مواد البيان » لعلي بن خلف الكاتب (من أعيان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .

ويعتمد بونباكر في عرضه لهذا الكتاب على المخطوطة الوحيدة المعروفة له ، وهي مخطوطة الفاتح رقم ٤١٢٨ باستنبول ، وينبه في بداية مقالته على أن عبدالحميد صالح قد نشر وصفاً ممتعاً لهذه المخطوطة الفريدة في المجلد العشرين من مجلة Arabica إلا أن بونباكر عـــدّ مقالته تتمة لما بدأ بـــــه عبدالحميد صالـــح ، ويبـــدو أنه قد درس هذه

١ ــ انظر : M. Amari, **I diplomi Arabi del R Archivio Fiorentino.** (firenze, 1863)

٢ ــ انظر : A. S. Atiya, **Egypt and Aragon,** (Leipzig, 1938) P. 7

٣ ــ انظر : Maximiliano A. Alarcon Y Santón and Ramón Garcia De linares, **Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De la Corona De Ragon.** (Madride, 1940)

٤ ــ انظـــر : John Wansbrough, "The Safe-Conduct In Muslim Chancery Practice," **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** vol. 34 (1971), pp. 20-35

٥ ــ S. A. Bone bakker, AFatimid Manual For Secretaries: **Annali,** Vol. 37 (1977) p. 295-337

المخطوطة دراسة جيدة ، ويخلص إلى أنها غير كاملة ، وأن ناسخها لم يكن على دراية بموضوع الكتاب ، ولذلك كثرت التصحيفات والتحريفات الأمر الذي يجعل إعداد نشرة نقدية « لمواد البيان » أمراً معقداً .

ولما كان علم البلاغة من الأركان الأساسية لثقافة الكاتب في ديوان الإنشاء ، فإن علي بن خلف قد أعاره اهتماماً كبيراً ، لكن تحليل بونباكر لمادة هذا الكتاب البلاغية يبين أن أصالته ضئيلة في هذا الجانب، وأن كتابه كان صدى لدراسات عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ/٩٠٨م)، وقدامة بن جعفر (ت بعد ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م)، وأبي علي الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م).

أما المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي Krachkovski فإنه قدم لنا تعريفاً موجزاً لدستورين مهمين من دساتير العصر المملوكي : الأول هو كتاب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمـري (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٩٨ م) الموسـوم بـ « التعريف بالمصطلح الشريف » . ومع أن كراتشكوفسكي يستند في تعريفه بهذا الكتاب إلى ما كتبه هارتمان Hartmann وديمومبين Demombynes عن هذا الأثر وما بيناه من أهميته إلا أن كراتشكوفسكي كان قادراً على التقويم الأدبي لهذا المصنف الذي وصفه قائلاً : « ومما يسترعي النظر أن المؤلف استطاع في مثل هذا المصنف الجاف بطبيعته أن يرتفع إلى مستوى راق من العرض الأدبي من غير أن يفقد في ذات الوقت النظرة الشاملة إلى موضوعه . وقد كان لمعرفته الجيدة بأسرار البلاغة وتملكه بجدارة لناصية اللغة العربية أن تجنب بمهارة فائقة الإطالة والإسهاب وحصر اهتمامه في الجوهري ، الأمر الذي يميزه عن الكثيرين ممن كتبوا في العصور التالية لذلك ، رغماً من أن أسلوبه لم يكن يتصف على الدوام بالسهولة »[1] . وعلى الرغم من أهمية هـذا الحكم الأدبي لكراتشوفسكي على كتـاب « التعريف بالمصطلح الشريف » الأمـر الذي ينم عن اطلاعه وفهمه العميق لمادة الكتاب وبخاصة إشارته إلى أهميتـه

١ - إغناطيـوس كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، ترجمة : صـلاح الدين عثمـان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م القسم الأولى : ٤١١ .

الكبرى لدقة معلوماته التي استقاها مؤلفه من الوثائق الرسمية ، ومن مباشرة العمل في ديوان الإنشاء المملوكي ، وإشارته إلى ترتيبه المنطقي وقيمته كمصدر مهم من مصادر ذلك العصر ، إلا أن كراتشكوفسكي لم ينبه على الأثر الكبير الذي تركه كتاب العمري سواء في التأليف الأدبي أو في الأساليب الديوانية التي سار عليها الكُتاب من بعده .

ومما هو جدير بالتنبيه أن كراتشكوفسكي قد أشار إلى أن القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) قد اعتمد اعتماداً كبيراً[١] في موسوعته « صبح الأعشى » على « التعريف بالمصطلح الشريف » و « مسالك الأبصار » وكلاهما لابن فضل الله غير أنه لم يوضح للقارئ مدى التأثير الذي تركه « التعريف بالمصطلح الشريف » في صبح الأعشى وهو أثر عظيم[٢] .

والدستور الثاني هو كتاب أحمد بن علي القلقشندي المسمى بـ « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ، ويذكر كراتشكوفسكي أن القلقشندي شرع في مصنفه هذا عند التحاقه بديوان الإنشاء سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) وأتمه في سنة (٨١٤ هـ/١٤١١م) ، إلا أن القلقشندي قد تعهده بالزيادة إلى حين وفاته سنة (٨٢١هـ /١٤١٨م) ، وينبه كراتشكوفسكي إلى أن القلقشندي اختصر صبحه في كتاب دعاه بـ « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » ويلاحظ كراتشكوفسكي على هذا المختصر أنه يمتاز بأن « بعض الصيغ الإنشائية التي عالجها في هذا المصنف الأخير تعتبر أكثر تفصيلاً مما جاء في مؤلفه الضخم »[٣] .

وقد حدد كراتشكوفسكي غرض القلقشندي من « صبح الأعشى » وهو أن يكون مصدراً أساسياً يرجع إليه كتاب ديوان الإنشاء فيما يحتاجون إليه من ثقافة ومعرفة تتصل بأساليب واصطلاحات الكتابة الديوانية ، وما ينطوي تحت ذلك من

---

١ ـ المصدر السابق ، القسم الأول : ٤١٧ .

٢ ـ انظر: Samir AL-Droubi, **A Critical Edition of And Study on Ibn Fadl Allah's Manual of Secretaryship" AL-Taʿrif Bi'l Mustalah AL-Sharif,** (Mu'tah, 1992) VOL. I, pp. 59-67

٣ ـ كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب** ، القسم الأول : ٤١٦ .

معرفـــة تاريخية أدبية جغرافية ... إلـــخ . ثم عرض بإيجاز لأقسام الكتـــاب مبيناً مدى الأصالة في كل قسم منها ، فمثلاً يقول في حديثه عن المقالة الخامسة[1] وهي الأجزاء من التاسع إلى الثاني عشر : « وتحتل هذه المقالة مكانة هامة في هذا الكتاب وذلك لأنها تلقي ضوءاً على النظام الإداري المعقد الذي ساد في عهد المماليك »[2] .

ويرجع كراتشكوفسكي أهمية الصبح إلى الآتي :

أولاً : إن الكتاب مصـــدر أساسي في دراسة التاريـــخ والأدب والإدارة والحيـــاة الاجتماعية عند العرب .

ثانيـــاً : إن القلقشندي كـــان مطلعاً على الوثائق الرســمية بحكم عمـــله في ديـــوان الإنشاء ولذلك ساق عدداً كبيراً منها ، الأمر الذي جعله مصدراً أساسياً لهذه الوثائق المهمة .

ثالثـــاً : إن الكتاب مصنف نقلي تكمن قيمته في حفظ آثار السابقين المتعلقـــة بالأدب الإداري .

رابعـــاً : ومن خلال تتبع مـــادة « صبح الأعشى » ودراستها يمكـــن تبين مدى تطـــور الأدب الإداري عند العرب[3] .

خامساً : إن صبح الأعشى من الكتب ذات الصبغة العالمية لما حواه من معلومات تتعلق بالأقطار المتصلة بالدولة المملوكية وهي بلدان كثيرة .

ومما يمكن أخذه على كراتشكوفسكي في دراسة « صبح الأعشى » أنه استمد جزءاً كبيـــراً من تقويمه لكثيـــر من أقسام « صبح الأعشى » مـــن نتائج سابقيه مـــن

---

١ ـ تحدث القلقشندي في هذه المقالـة عن طبقات الولايات وهي مـا يكتب في ولاية السلطنة والخلافة وأرباب السيوف والأقلام والوظائف الدينية ، وما يكتب في البيعات ، وما يكتب في العهود . انظر : **صبح الأعشى** : ١/٢٤ ـ ٢٥ .

٢ ـ كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب** ، القسم الأول : ٤١٧ .

٣ ـ المصدر السابق ، القسم الأول : ٤١٧ ـ ٤١٩ .

المستشرقين وبخاصة ڤستنفلد Wustenfeld وإشبيس Spies وبيوركمان Bjork-man[1] ، وأغلب دراساتهم قديمة يعود بعضها إلى نهاية القرن التاسع عشر قبل أن ينشر «صبح الأعشى» وقد أشار كراتشكوڤسكي نفسه إلى قدم بعض هذه الدراسات.

وفوق ذلك فإنه ذكر أن معلومات القلقشندي عن البلاد والشعوب الأوروبية (البلغار ، والصرب ، والصقالبة ، والروس ، والألمان ، والفرنج ... الخ) فيها بعض من الاضطراب ، ولكنه لم يقدم ولو مثالاً واحداً عن مثل هذا الاضطراب[2] .

وجعل كراتشكوڤسكي « صبح الأعشى » : « مصدراً أساسياً بالنسبة للتاريخ والإدارة والحياة الاجتماعية للعالم الإسلامي والأقطار المتصلة به في أوائل القرن الخامس عشر »[3] .

على أن الباحث المطلع على « صبح الأعشى » يدرك تماماً أن هذا المصنف يتضمن مادة قليلة عن عصر مؤلفه أي أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد وصل إلى هذه النتيجة بيوركمان من قبل وقد أعاد ذكرها حسن الباشا معتمداً على بيوركمان وعلى دراسته للكتاب ، يقول : « فإن مبالغته في الاعتماد على المصادر السابقة ، والنقل عنها بسخاء يؤدي في بعض الأحيان إلى التقليل من الاعتماد على ملاحظته الشخصية والاكتفاء بالمعلومات المنقولة التي تختص بعصور سابقة على عصره ، ولذا كثيراً ما يكتفي عند تصوير مصطلح ما بأن يورد ما ذكره ابن فضل الله أو غيره بخصوصه من غير الإشارة إلى المصطلح السائد في عصره هو نفسه، ولذلك يكون القارئ عرضة في بعض الأحيان للخلط بين مصطلح عصرين نتيجة لذلك »[4] .

---

١ ــ المصدر السابق ، القسم الأول : ٤١٨ ـ ٤١٩ .

٢ ــ المصدر السابق ، القسم الأول : ٤١٩ .

٣ ــ المصدر السابق ، القسم الأول : ٤١٧ .

٤ ــ الباشا ، حسن : **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق** ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٨م : ٥٧.

ومما تقدم يمكن القول إن « صبح الأعشى » يمثل مصدراً أساسياً في كثير من الموضوعات الأدبية والتاريخية والإدارية في العصور السابقة على عصر المؤلف وبخاصة القرن الرابع عشر الميلادي لا أوائل القرن الخامس عشر كما يرى كراتشكوفسكي .

ويجدر التنبيه على حقيقة مهمة فاتت كراتشكوفسكي تتعلق « بصبح الأعشى » ولا يمكن إغفالها عند الحديث عن هذا الكتاب ، ألا وهي الأصل الأدبي الذي قام عليه « صبح الأعشى » ، ذلك أن القلقشندي عندما استقر بديوان الإنشاء سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) وأصبح من كبار كتابه ، أنشأ مقامة وسمها بـ «الكواكب الدرية في المناقب البدرية»[١] وقد حوت هذه المقامة أصول صناعة الإنشاء وما يحتاج إليه الكاتب من معارف للعمل بديوان الإنشاء ، وقد قدمها القلقشندي لرئيس ديوان الإنشاء في ذلك الحين وهو بدر الدين بن فضل الله العمري الذي أشار عليه أن يتبعها بمصنف مبسوط ، وقد صنع القلقشندي ذلك ، باسطاً فكرة المقامة في موسوعته الكتابية « صبح الأعشى » .

ومن جهود المستشرقين في دراسة دساتير الدواوين ما قام به المستشرق الإنجليزي لثم Latham[٢] من دراسة لمقدمة كتاب « مستودع العلامة » الذي ألفه أبو الوليد بن الأحمر (عاش في نهاية القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع الهجري) .

ولم يقتصر عمل المستشرقين على دراسة دساتير دواوين الرسائل الإسلامية بل جاوزوا ذلك إلى :

تحقيق الدساتير والكتب ذات الصلة بدواوين الإنشاء الإسلامية :

يذكر في هذا المجال ما قام به لاندبرج Landberg من تحقيق لكتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » وطبعه في ليدن سنة ١٨٨٨ م[٣] ، ومعروف لدى الباحثين

---

١ ـ **صبح الأعشى** : ١/٩ ؛ ١٤/١١١ .

٢ ـ انظر : J. D. Latham. "Ibn al-Ahmar's Kitáb Mustawdá al-'Aláma: towards a Commentary on the Author's Introduction," in **Studia Arabica at Islamica: Festschrift for Iḥsán 'Abbás** ed. Wadád al-Qāḍī (Beirut, 1981) pp. 313-332

٣ ـ انظر : العقيقي : المستشرقون : ٣/٢٧ - ٢٨ ، بدوي ، **موسوعة المستشرقين** : ٣٥١ .

في الأدب والتاريخ الأيوبي والعلاقـات بين المسلمين والفرنجة أن هذا الكتاب على درجة عظيمة من الأهمية ، لأن كاتبه العماد الأصفهاني (ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) كان شاهد عيان للأحداث الجسام منذ معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ /١١٨٧ م وحتى ٥٨٩ هـ /١١٩٣ م ، ولما كان العماد من كبار رجال الدولة الأيوبية ، وكاتب إنشاء لدى صلاح الدين في تلك الأيام الحاسمة فإن كتابه « الفتح القسي » حوى قدراً كبيراً من الرسائل والكتب والبشارات التي أمر صلاح الدين بإنفاذها داخلياً وخارجياً . وقد اعتمد لاندبرج في تحقيقه لهذا المصدر المهم على نسخة ليدن الخطية التي كتبت بعد وفاة المؤلف بأربع سنين ، وقابلها على نسخة أخرى[1] ، وقد توالت طبعات الكتاب بعد ذلك بمصر ، وكلها مستمدة من نشرة لاندبرج الذي لم يحظ حتى بذكر اسمه على الرغم مما كان له من فضل السبق والريادة والعمل الجاد في مثل هذا المصنف الصعب التناول .

وحقق المستشرق راويس Ravaisse كتاب « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)، وقد نشره راويس لأول مرة في مطبعة الجمهورية بباريس سنة ١٨٩٤ م ، ومع أن مؤلف هذا الكتاب كان من كبار موظفي الدولة المملوكية إذ كان والياً على الإسكندرية والكرك إلا أنه لم يطلع على وثائق الدولة إلا لماماً ، ولا يمكن مقارنة عمله بدستور ابن فضل الله العمري « التعريف بالمصطلح الشريف » أو كتاب القلقشندي « صبح الأعشى » ، وكتاب الظاهري من وجهة نظر كراتشكوفسكي : « يكتسب أهمية خاصة في القسم الذي أفرده للكلام على البريد وهو أقيم ما في الكتـاب بأجمعه »[2] ، والبريد مـن متعلقات ديوان الإنشاء في ذلك العصر وكاتب السر هـو

---

١ ـ العمـاد الاصفهاني ، محمـد بن صفي الدين (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، تحقيق وشرح وتقديم : محمد محمود صبح ، الطبعة الأولى ، الدار القومية ، القاهرة ، بلا تاريخ : ٣٦ .

٢ ـ كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، القسم الثاني : ٤٧٤ .

الذي يتولى الإشراف عليه . ومما يؤسف له في أمر هذا الكتاب أن ابن شاهين الظاهري قد اختصره من مصنف سابق له على هذا المصنف يقع في مجلدين ضخمين بعنوان : « كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك »[1]، ولعل هذا هو السبب في قصور هذا المصنف عما سبقه من دساتير .

أمـــا المستشرق الألماني جرونيرت ، ماكـــس Grünert, Max فقد حقق كتاب « أدب الكاتب » لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) واعتمد في تحقيقه على خمس نسخ خطية وعلى نسختين مطبوعتين ، وزود نشرته بفهارس فنية دقيقة وطبعه بليدن سنة ١٩٠٠ م ، والطبعة الحديثة التي صدرت لهذا الكتاب تعتمد اعتماداً كلياً على نشرة جرونيرت[2] .

وكان المستشرق مشيك ، هانس فون Mzik, H. Von قد نشر بطريقة التصوير الشمسي كتاب «الوزراء والكتاب» لمحمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) سنة ١٩٢٦ م ، وكتب له مقدمة بالألمانية وزوده بفهارس فنية دقيقة .

وقد لقيت نشرة مشيك رواجاً كبيراً بين المستشرقين ، وكشفت عن مادة قيمة فيما يتعلق بتاريخ كتابة الرسائل وأخبار الكُتاب وسيرهم وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالكتابة الرسمية ، ونقل الدواوين إلى العربية ، والأثر الفارسي في الكتابة العربية منذ أيام الرسول وحتى عصر الخليفة العباسي المأمون .

وقد اعتمد مشيك في نشرته على مخطوطة محفوظة في دار الكتب بفينا ، يعود تاريخ نسخها إلى القرن السادس الهجري تقريباً ، أضف إلى ذلك أن الباحثين : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي قاموا بتحقيق الكتاب اعتماداً على عمل المستشرق مشيك[3] .

---

١ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : ٤ .

٢ ـ ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ، **أدب الكاتب** ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه : محمد الدالي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ٤ م .

٣ ـ انظر : الجهشياري ، محمـد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) ، **الوزراء والكتاب** ، حققه : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأولى ، مصطفى البابي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م ، (المقدمة : د ـ ظ) .

وقام المستشرق سوردل Dominique Sourdel بتحقيق ودراسة لكتاب أبي القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي الكاتب النحوي (ت نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) المسمى بـ « كتاب الكُتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها »(١) ، ويمتاز كتاب أبي القاسم البغدادي - على صغر حجمه - باحتوائه على معلومات طريفة مركزة عن : الأقلام والخطوط والمداد والقراطيس والخاتم وعنوانات الكتب وديوان الرسائل وأسماء الكتاب من رجال ونساء منذ بداية العهد الإسلامي وحتى منتصف القرن الثالث الهجري ، والكتاب مصدر مهم في التعرف على مراحل تطور الأدب الديواني عند العرب .

وقد أعاد هلال ناجي تحقيق الكتاب معترفاً بالجهد الذي بذله سوردل ، لكنه قد أخذ عليه بعض الملاحظات ، منها : عدم تخريج بعض الأشعار ، وخلو نشرته من نماذج صفحات المخطوط ، وكون مقدمته وحواشيه بالفرنسية ، والسقط الذي وقع في نشرته ، ومعظم هذه الملاحظات هامشية سوى الأخير منها(٢) .

ومن المصادر التي حققها المستشرقون كتاب « لمع القوانين المضية في دواوين الدّيار المصرية » لعثمان بن إبراهيم النابلسي الصفدي ، وكان النابلسي من مستخدمي الدولة الأيوبية في عهد السلطان الأيوبي نجم الدين أيوب (حكم: ٦٣٧ هـ - ٦٤٧ هـ)، والكتاب يتحدث عن الدواوين بشكل عام ومن جملتها ديوان الإنشاء لكنه يبقى مصدراً مهماً لكتاب ديوان الإنشاء للذين يودون معرفة طريقة العمل في الدواوين المختلفة وعلاقة ذلك بديوان الإنشاء ، وقد حقق الكتاب سنة ١٩٦١ م على يد المستشرق كاهن Claude Cahen(٣) .

---

١ – Dominique Sourdel, "Le Liver Des Secrëtaires' De^cAbdallâh al-Baġdâdi", **Bulletin D'études Orientales**, de l'Institut Francais de Damas Tome XIV (1952-1954) pp. 115-153

٢ – أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) : **الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها** ، تحقيق : هلال ناجي ، المورد ، المجلد الثاني / العدد الثاني (١٩٧٣ م) ، ٤٣ - ٧٨ .

٣ – Claude Cahen, "Kitâb Lumâ AL - Qawânîn AL - Muḍiyya", **Bulletin D'etudes Orientales, de l'Institut Francais de Damas** Tome XVI (1961) p. 1-133

جانبان لجهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب :

بعد العرض السابق لأهم المحاور التي دارت حولها اهتمامات المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ، يمكن القول إن جهود المستشرقين لها جانبان أو وجهان : جانب إيجابي وجانب سلبي .

أما الوجه الإيجابي فقد تجلى في خدمتهم للأدب الإداري تحقيقاً ودراسة وتعريفاً وحفاظاً وترجمة إلى لغاتهم المختلفة(١) ، وعلاوة على ذلك فإنهم بحثوا كثيراً من جوانب هذا الموضوع في مقالات يتسم كثير منها بالدقة والعمق وحسن الاستقصاء(٢) ، وأسهموا بكتابة كثير من المواد المتعلقة بهذا الأدب في الموسوعة الإسلامية مثل : عربية(٣) ، وإنشاء(٤) ، وكاتب(٥) وديوان(٦) ... وغيرها من المصطلحات والأعلام والموضوعات المتصلة بالأدب الديواني .

ومما يحمد للمستشرقين أنهم دعوا إلى تأسيس علم الدبلوماتية (علم الوثائق) عند العرب ، وعندهم أن الدبلوماتية قد أصبحت علماً قائماً في الغرب ، وان كتباً خاصة قد ألفت في هذا الموضوع ، في حين أن قليلاً من العمل قد تم بهذا الشأن عند العرب(٧) .

---

١ - انظر: P. M. Holt, "Qaláwún's Trety with Genoa in 1290", **Der Islam**, Band 75 (1980) pp. 101-108
وبدوي ، موسوعة المستشرقين : ٣٧١ .

٢ - انظر: M. Carter, "The Kátib In Fact and Fiction", **Abr-Nahrain**, XI (1971), pp. 42-55
و J. H. Escovitz, "Vocational Patterns of the Scribes of the Mamlúk Chancery" **Arabica**, XXXiii (1976). pp. 42-62

٣ - C. Rabin, "'Arabiyya", EI²

٤ - H. R. Roemer, "Inshá" EI²

٥ - D. Sourdel, "Kátib", EI²

٦ - H. L. Gottschalk, "Díwán", EI²

٧ - W. Björkman, "Diplomatic," EI²

وقد رسم المستشرق بيوركمان Björkman الخطوط العامة التي يمكن أن تساهم في تشييد أركان علم الدبلوماتية عند العرب ، وتتمثل في نشر المزيد من البرديات العربية وأوراق الجنيزة ، ووثائق ديرسانت كاترين والوثائق العربية المحفوظة بإسبانيا وإيطاليا وغيرها من خزائن المخطوطات التي تحتفظ بكثير من الوثائق العربية ، وتحقيق دساتير الإنشاء العربية[1] .

وقد أثمرت جهود المستشرقين في الدعوة إلى النهوض بعلم الدبلوماتية عند العرب ، وكان تأثيرهم كبيراً على طلابهم الذين درسوا في جامعاتهم وتحت إشرافهم وتوجيهم ، أمثال : محمد حميد الله ، يقول : « وكنت قد نشرت ترجمة فرنسية لما جمعته من الوثائق التي ترجع إلى العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين ، وقدمتها ببحث مطول عن قيمتها التاريخية ، وما يمكن أن يستنتج منها لفهم الأحوال السياسية في ذلك العصر ، وقد حصلت بها على درجة الدكتوراة من جامعة باريس في سنة ١٩٣٥ م »[2] .

ولا يخفى على دارسي الأدب والتاريخ الإسلامي مقدار الجهد العظيم الذي بذله محمد حميد الله في جمع هذه الوثائق وتحقيقها ، وما أتى به من معلومات قيمة جمع أكثرها من مصادر مخطوطة ، وكذلك عمل عبداللطيف إبراهيم[3] وهو تلميذ المستشرق جروهمان Gorhmann وكامل العسلي[4] وغيرهم ممن لا تقل جهودهم شأناً عما قام به حميد الله .

---

١ ـ Ibid

٢ ـ حميد الله ، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** ، الطبعة السادسة ، دار النفائس بيروت ، ١٩٨٧ .

٣ ـ Donald P. Little, "The Significance of the Ḥaram Documents for the Study of Medieval Islamic History", **Der Islam** 57 (1980), p. 191

٣ ـ انظر العسلي ، **وثائق مقدسية** ، ١/٧ ـ ٧٤ .

أما الوجه السلبي فقد تجلى في عدد من الجوانب ، حيث اتخذ بعض المستشرقين من دراسة الموضوعات المتصلة بالأدب الإداري عند العرب وسيلة للتشكيك والطعن والثلب وإنفاذ السموم وتحقيق المآرب والغايات الكامنة في نفوس كثير منهم ، ونظر بعضهم بعين السخط إلى تراث العرب الإداري ، فزيف الحق وأحق الباطل . وانطلق من فرضيات واسعة وجعل منها حقائق ثابتة ، والمآخذ كثيرة في هذا الشأن :

أولها : **رسائل الرسول** ، فرسائل الرسول عليه السلام إلى ملوك الأمم الأخرى : كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم ثابتة ومتواترة في كتب الحديث والتاريخ والسيرة النبوية ، وإقطاع الرسول لتميم الداري ، ورسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في القضاء إلى غير ذلك من ضروب المكاتبات التي يعتبرها بعض المستشرقين موضوعة مزيفة[١] .

فسارجنت ولثم وغيرهما من المستشرقين كانوا على اطلاع على الجهد العظيم الذي بذله محمد حميد الله في جمع الوثائق في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة وتحقيقها ودراستها . والكتاب في أصله رسالة جامعية قدمت إلى جامعة باريس سنة ١٩٣٥ م كما سبق ذكره ، وقد نشر حميد الله ترجمة فرنسية لكل هذه الوثائق[٢] .

وعرف عن كثير من المستشرقين ميلهم بل محاولتهم إقامة الحجج والبراهين وإن كانت واهية تفتقر إلى الموضوعية العلمية ، ونفي الأصالة عن كل ما هو عربي ، ومحاولتهم رده إلى أصول غير عربية : هلينستية ، وفارسية ، وهندية ، وسريانية ،

---

١ ــ انظر R. B. Serjeant. "Early Arabic Prose" in A. F. L. Beestone (ed) **Arabic Literature to the End of the Umayyad Period** (Cambridge, 1983), pp. 114 -151

وانظر : بدوي ، **موسوعة المستشرقين** : ٣٤٨ .

٢ ــ حميد الله ، **مجموعة الوثائق السياسية** : ٢٦ .

ويونانية . فالفلسفة العربية عندهم هي فلسفة يونانية كتبت بأحرف عربية ، والتصوف الإسلامي يعود في نشأته إلى عناصر افلاطونية وهندية ، وهناك قانون سرياني سابق على الشريعة الإسلامية . والحضارة الإسلامية هي امتداد للحضارة الهلينستية إلى غير ذلك من المطاعن التي تعتمد على البحث عن الأصول الأجنبية ، وتضخيم دورها في نشأة كل ما هو عربي[1] .

وثانيها : النثر العربي ، وبخاصة الأدب الديواني ، نال حظه من حملة المطاعن والرد إلى أصول غير عربية ، فالمستشرق الإنجليزي لثم Latham يزعم أن النثر الديواني العربي الذي أزدهر على يد عبدالحميد الكاتب يعود إلى أصول فارسية ويونانية ، كما يزعم أن ترجمة تواريخ ملوك الفرس وسيرهم قد تمت للخليفة الأموي هشام بن عبدالملك الذي امتد حكمه من ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ ، وفي عهده أيضاً تمت ترجمة رسائل أرسطوطاليس إلى تلميذه الإسكندر ، ومستند لثم في ذلك ما أشار إليه المسعودي من ترجمة سير ملوك الفرس وما ذكره النديم من ترجمة رسائل أرسطوطاليس[2] ولكن لثم وغيره لا يقدمون لنا دراسة نصية عن هذه المترجمات تبين أثرها في نشأة النثر العربي .

وتهمة إرجاع النثر العربي إلى أصول فارسية ويونانية معروفة من قبل ، وقد ردها طه حسين في منتصف العقد الرابع من هذا القرن قائلاً : « فالذين يزعمون أن الأمة العربية قد أخذت نثرها عن الفرس أو اليونان مسرفون »[3] ، وردها أيضاً شوقي ضيف[4] .

---

١ ـ انظر : بدوي ، موسوعة المستشرقين : ٢٧ ، ١٤٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨ ، ٤١٢ .

٢ ـ J. D. Latham, "The Beginnings of Arabic prose Literature: The Epistolary Genre", in A. F. L. Beeston (ed), **Arabic Literature to the End of the Umayyad Period** (Cambridge, 1983) pp. 155 -157.

٣ ـ حسين ، طه : **من حديث الشعر والنثر** ، الطبعة الحادية عشرة . دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ : ٢٨ .

٤ ـ ضيف ، شوقي ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** : ١١٠ ـ ١١١ .

وإضافة إلى ما تقدم فإن بعضاً من غلاة المستشرقين قد اتخذ من أوراق الجنيزة ذريعة يتوصلون بها إلى بث أباطيلهم وستاراً يغلفون به مطامعهم باسم البحث عن الحقيقة العلمية من خلال الوثائق والنصوص .

والدارس لما كتبه بعضهم عن أوراق الجنيزة ، يجد أنهم يطرحون من خلالها عدداً من الأفكار ويحاولون تركيزها في ذهن القارئ بكل وسيلة ، وقد يرددونها في مناسبة وبلا مناسبة ، وأهمها :

- **وحدة حوض البحر الأبيض المتوسط** ، بمعنى أن الأقطار والشعوب المحيطة بهذا البحر واحدة أو شبه واحدة لتقاليدها العريقة ومصالحها التجارية ، ولأنها كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية[1] ، ومعلوم ما في هذه الدعوى من مغالطة فالأمصار التي فتحها المسلمون (الشام ، ومصر ، وإفريقية ، والمغرب ، والأندلس ، ... إلخ) تعربت وتكونت لها شخصيتها وحضارتها العربية الإسلامية المتميزة ، ولا يمكن أن تكون مندغمة ومنصهرة حضارياً مع الأقطار الأوروبية الأخرى التي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، والعداء المستمر ، والحروب الطاحنة ، والصراع المتواصل بين هذه الأقطار ودول البحر المتوسط العربية الإسلامية هو أهم ما يميز العلاقات في تلك العصور ، والحروب الصليبية التي دامت مئتي سنة تقريباً ، وغارات القراصنة الأوروبيين قبل الحروب الصليبية وبعدها ليست بخافية ، وما أظن مثل هذه الأطروحة إلا صدى لما دعت إليه بعض الدول الأوروبية من إحياء لمجد الإمبراطورية الرومانية في العصر الحديث .
- **تصوير المماليك على أنهم حكم عسكري دخيل[2] على منطقة الشرق العربي** ، والتحامل ظاهر في هذه المقولة ، والمماليك كما هو معروف أسلموا وتعربوا وهم

---

١ - انظر جواتياين ، س ، د : **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية** . تعريب : عطية القوصي ، الطبعة الأولى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ م : ٢١١ - ٢٢٤ .

٢ - المصدر السابق : ٢٧٩ .

ورثة النوريين والأيوبيين الذي رفعوا راية الجهاد ضد الوجود الأوروبي في المنطقة العربيــة ، وحرروا الأقصى وذادوا عن حمى الحرمين الشريفين . ودور المماليك لا يقـل عن دور أسلافهم ، إذ إليهم يعود الفضل في اجتثاث بقية الوجود الإفرنجي في بلاد الشام ، وهم الذين أوقعوا الهزيمة النكراء بجحافل المغول (التي دمرت بغداد مهد الحضارة الإسلامية) في عين جالوت حوالي منتصف القرن السابع الهجري ، وفي عهد المماليك تحققت الوحدة الشاملة بين شمال العراق والشام ومصر وليبيا وشمال السودان واليمن والجزيرة العربية ، إضافة إلى دورهم العظيم في إحياء الخلافة العباسية بمصر بعد سقوطها في بغداد ، وشهد عهدهم نهضة علمية عظيمة تمثلت في الإحياء والتجديد والحفاظ على التراث العربي الإسلامي[١] .

ـ **تشويه دور الموحدين** : ولم يكتف المستشرقون بالتحامل على المماليك بـل تعدوهم إلى الموحدين وألصقوا بهم تهمة التعصب[٢] ، والمعروف لدى الباحثين ان الموحدين قد عملوا على توحيد أقطار المغرب العربي في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وألفوا بين مختلف القبائل العربية وغير العربية التي كانت تسكن المغرب العربي، وكان حرصهم شديداً على الالتزام الشديد بتطبيق أحكام الشريعة، وإلغاء المغارم والمكوس ، وترسيخ أركان العدل ومطاردة الظلمة ، وبلغت جيوش الموحدين مبلغـاً عظيماً من القوة ، يقول عنان المؤرخ الحجة في تاريخ الأندلـــس : « وقد بلغت التنظيمات العسكرية في ظل الدولة الموحدية من حيث الضخامة مبلغاً لم تبلغه في أية دولة أخرى في الغرب الإسلامي »[٣] .

---

١ ـ انظـــر : ضيف ، شوقي : « عصر إحياء التراث العربي وتجديده » ، **مجلة المجلة** ، العـدد : ١٢٢ ، السنة الحادية عشرة ، شباط ١٩٦٧ م ، ص ٦ ـ ١٨ .

٢ ـ جواتياين : **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية** : ٢٢٨ .

٣ ـ عنـان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، القسم الثاني : ٦٣٢ ، وانظر **المصدر نفسه** : ١٧ ، ٦١٩ ـ ٦٤٦ .

والدور العظيم الذي اضطلع به الخليفة عبدالمؤمن الموحدي الذي امتد حكمه من ٥٢٤ ـ ٥٥٨ هـ يتجلى في : « قهـــر الصليبيين بالأندلس وتطهير شمالي أفريقيـا منهـــم ، ولولا تمرد شرق الأندلـــس عليه ـ بزعامـة محمد بن مردنيش حليـف النصارى ـ هذا التمرد الذي امتص وقت الموحدين لاستطاع عبدالمؤمن أن يحرر الاندلس نهائياً من النصارى »(١) .

وإذا كان هذا دور الموحدين المشرق في التاريخ العربي ، فإننا لا نستغرب من بعض المستشرقين وأن يصموا الموحدين بالتعصب ، وهي تهمة يعرفها من عاش في المجتمعات الغربية أو تابع صحافتها ، فإنهم لا يتورعون عن قذف كل عربي أو مسلم يدعو إلى شرع الإسلام وإحياء مجد الأمة وقوتها ، بأنه متعصب .

ـ **الهجرة اليهودية** ، وقد اتخذ بعض المستشرقين من أوراق الجنيزة ذريعة للحديث عن الهجرة اليهودية من تونس إلى مصر(٢) ، وصوروا العدد القليل جداً من اليهود الذين عاشوا في القدس على أنهم مهاجرون من المغرب(٣) .

ولا يخفى ما في هذه الفكرة من مغالطة ودعاية في آن واحد ، فانتقال عدد محدود من العائلات التجارية اليهودية في إطار الوطن الإسلامي الكبير الذي عاشوا فيه آمنين على أرواحهم وأموالهم لا يمكن ان يسمى هجرة بالمعنى الدقيق ، وما أرادوا بذلك إلا الإيحاء بأن الهجرة اليهودية كانت خلال العصور الإسلامية شيئاً عادياً مقبولاً ، ومن ثم لا داعي لهذا النكران والغضب وهذه المقاومة العنيفة لمثل هذه الهجرة في الوقت الحاضر ، حتى وإن جردت العرب من دورهم وأرضهم وشردوا منها وقذفوا في العراء !! .

---

١ ـ عـلام ، عبدالله : **الدولة الموحديـــة (المغـرب في عهد عبدالمؤمن بن علي)** ، دار المعـــارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م : ٩ .

٢ ـ S. D. Goitein. **A Mediterranean Society**, I, P. 8

٣ ـ جواتياين ، **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية** ، ٢٢٩ .

- **اللغة العربيـة** ، حيث زعم بانت D. H. Baneth وهو من المستشرقين الذين عنـوا بدراسة اللغـة العربية التي كتبت بها أوراق الجنيزة - بأن هناك عربية وسطى ، وأن « الأغلاط اللغوية الفاحشة في هذه الوثائق ليست أغلاطاً ، بل تمثل اللغة العربية الحية في عصرها »(١) ، ويعجبني رد الأستاذ عبدالرحمن بدوي على هذه المقولة ، وإن كان حادا فيه ، يقول : « وهو زعم باطل سخيف ... ولم يبق عليهم إلا أن يزعموا أن هناك لغة عربية استشراقية هي تلك التي يمليها عليهم جهلهم الفاحش بالكتابة العربية »(٢) .

- **تضخيـم دور الكُتاب اليهـود في دواوين الإنشاء الإسلامية**(٣) ، فمن المعروف أن المسلمين قد أفسحوا المجال في دواوينهم لكل عبقرية كتابية ، واستخدام ابن المقفع وهو على الزرادشتية وأبي إسحاق الصابي في ديوان الرسائل العباسي وهو على ديانته دليل على أن مجال المنافسة ومراعاة الكفاية كان موجوداً عند العرب ، ولكن تضخيم دور الكُتاب من بعض الطوائف كاليهود يدخل في باب الدعاية المشكوفة.

- وإضافـة إلى ما سبق ، فإنه لا يستبعد أن يكـون بعض من المستشرقين قد وظفـوا معارفهم وأبحاثهم في سبيل خدمة دولهم المستعمرة(٤) ، فالمستشرق الإنجليزي پالمر Palmer (ت ١٨٨٢) سخر مـا حصل عليه من معلومات عن أسماء المواقـع في

---

١ – بدوي ، **موسوعة المستشرقين** : ٤٧ .

٢ – المصدر السابق : ٤٧ .

٣ – S. M. Stern "An Original Document from the Fāṭimid Chancery Concerning Italian Merchants", in **Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida**, II (Rome, 1950) pp. 529 - 38

٤ – انظـر : سعيد ، إدوارد ، **الاستشراق** : **المعرفة** . **السلطة** . **الإنشاء** ، نقله إلى العربية : كمـال أبو ديب ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م : ٢٠٨ .

سيناء وفي بلاد الشام لخدمة الاستعمار الإنجليزي ، والمستشرق الإيطالي نالينو Nallino قدم خدمات لحكومته فيما يتعلق بأسماء المواقع بطرابلس ، والمستشرق الفرنسي ديمومبين Demombynes قام بترجمة قسم بلاد المغرب من كتاب ابن فضل الله العمري « مسالك الأبصار » إلى الفرنسية[1] ، ومسالك الأبصار « ذو صلة وثيقة بديوان الإنشاء ، أراد منه مؤلفه تسهيل الثقافة التي يحتاج إليها الكتاب وحشدها وتقريبها لكتاب ديوان الإنشاء » .

ونختم الحديث عن وجه السلبي في دراسة المستشرقين للأدب الإداري عند العرب بالقول : إن هؤلاء تعاموا وتصامّوا بل تجاهلوا كلياً حقيقة مشرقة في هذا الأدب ، وهي أن الأمانات والعهود وأوراق الطريق (جوازات المرور) والهدن والتواقيع على القصص والمناشير وغير ذلك من ضروب المكاتبات التي صدرت عن دواوين الإنشاء الإسلامية ، تدل على ما تميز به العرب من التسامح الكبير والوفاء بالعهود ، وتأمين المستأمن ونصرة المظلوم والحماية لرعاياهم على اختلاف طوائفهم ، وحبذا لو أجرى واحد منهم مقارنة أولية بين ما كان سائداً في مجتمعاتهم ودولهم الأوروبية ، وبين ما هو ثابت بالوثائق الديوانية عن الدول العربية الإسلامية في تلك العصور .

---

١ - بدوي ، موسوعة المستشرقين : ٤٢ ، ١٨٢ ، ٤١٢ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

الباشا ، حسن :

الألقاب الإسلامية في التاريخ ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

بدوي ، عبدالرحمن :

موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

جروهمان ، أدولف :

أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، ترجمة : عبدالعزيز الدالي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) :

الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأولى ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

جواتياين ، س . د :

دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب : عطية القوصي ، الطبعة الأولى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ م .

حسين ، طه :

من حديث الشعر والنثر ، الطبعة الحادية عشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ .

حميدالله خان ، محمد :

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

الخزاعي ، علي بن محمد (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) :

تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق : أحمد محمد أبو سلامة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

الدالي ، عبدالعزيز :

البرديات العربية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

سعيد ، إدوارد :

الاستشراق : المعرفة . السلطة . الإنشاء ، نقله إلى العربية : كمال أبو ديب ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨١ م .

ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) :

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق : راويس ، مطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤ م .

ضيف ، شوقي :

- عصر إحياء التراث العربي وتجديده ، مجلة المجلة ، العدد : ١٢٢ ، السنة الحادية عشرة ، شباط ، ١٩٦٧ م .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ .

طرفة بن العبد (ت نحو ٦٠ ق هـ / ٥٦٤ م) :

ديوانه ، المكتبة الثقافية ، بلا تاريخ .

العسلي ، كامل :

وثائق مقدسية تاريخية ، الطبعة الأولى ، مطبعة التوفيق ، عمان ، ١٩٨٣ م .

عطية ، عزيز سوريال :

الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سينا العربية ، ترجمة : جوزيف نسيم ، الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٠ م .

العقيقي ، نجيب :

المستشرقون ، طبعة رابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

علام ، عبدالله علي :

الدولة الموحدية (المغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

العماد الأصفهاني ، محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) :

الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق وشرح وتقديم : محمد محمود صبح ، الطبعة الأولى ، الدار القومية ، القاهرة ، بلا تاريخ .

عنان ، محمد عبدالله :

عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

عيسى ، أحمد محمد :

« محفوظات ووثائق ديرسانت كاترين بشبه جزيرة سينا » ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٥٦ م مجلد ٥ .

الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) :

القاموس المحيط ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) :

أدب الكاتب ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه : محمد الدالي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

كراتشكوفيسكي ، إغناطيوس :

تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

مصطفى ، شاكر :

كنز في الحرم القدسي ، مجلة العربي ، الكويت ، ١٩٨٣ م ، رقم ٣٧٢ .

المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .

ثانياً المصادر الأجنبية :

Al-Droubi, Samir, A Critical Edition of and Study on Ibn Faḍl Alláh's Munual of Secretaryship " Al-Târīf Bi'l Musṭalaḥ Al-Sharīf", (Mu'tah University, 1992).

Amari, M., **I diplomi Arabi del R Archivio Fiorentino,** (Firenze, 1863).

Atiya, A. S., **Egypt and Aragon,** (Leipzig, 1938).

Björkman, W., "Diplomatic", El^2.

Bonebakker, S. A., "A Fâṭimid Manual for Secretaries, **Annali,** vol. 37 (1977) pp. 295 - 337.

Cahen Claude., "Kitâb Lumå AL-Qawanin Al-Mudiyya", **Bulletin D'études Orientales, de l,Institut Francais de Damas,** Tome XVI (1961) p. 1 - 133.

Carter M., "The Katib in Fact and Fiction", **Abr-Nahrain,** XI (1971), pp. 42 - 55.

Escovitz, J. H., "Vocational Patterns of the Scribes of the Mamluk chancery" **Arabica,** XXXiii (1976). pp. 42 - 62.

Goitein, S. D., **A Mediterranean Society** (Berkeley and los Angeles., 1967).

IDEM, "Geniza", El^2.

Gottschalk, H. L., "Diwan", EI^2.

Grohmann, Adolf, **From the World of Arabic Papyri** (Cairo, 1952).

Holt, P. M., "Qalawun's Trety with Genoa in 1290", **Der Islam,** Band 75 (1980) pp. 101 - 108.

Latham, J. D., "Ibn al-Aḥmar's Kitab Mustawdaʿ al-ʿAlama: towards a Commentary on the Author's Introduction," in **Studia Arabica at Islamica: Festschrift for Iḥsān ʿAbbás.** ed. Waddad al-Qadi (Beirut, 1981) pp. 313 - 332.

IDEMT "The Beginnings of Arabic Prose Literature: The Epistolary Genre", in A. F. L. beeston (ed.), **Arabic Literature to the End of the Umayyad Period** (Cambridge, 1983), pp. 155 - 157.

Little, Donald. P., **A Catalogue of the Islamic Documents from al-Haram al-Sharīf in Jerusalem** (Beirut, 1984).

IDEM, "The Ḥaram Documents as Sources from the Arts and Architecture of the Mamluk Period", **Muqarnas** 2 (1984) pp. 61 - 72.

IDEM "The Significance of Ḥaram Documents for the Study of Medieval Islamic History", **Der Islam**, 57 (1980) P. 189 - 219.

Maximiliano A. Alarcon Y Santon and Ram'on Garcīa De Linares., **Los Documentos Arabes Diplomáticos Del Archivo De La Corona De Ragon,** (Madride, 1940).

Richards, D. S., "A Mamlük Petition and A Report from the Dīwán al-Jaysh" **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** XL (1977) pp. 1 - 14.

Serjeant, R. B., "Early Arabic Prose" in A. F. L. Beeston (ed.), **Arabic Literature to the End of the UmayyaPeriod** (Cambridge, 1983). pp. 114 - 151 .

Sourdel, Dominique, "Le «Liver Des Secrétaires» De Abdallāh Al-bagdadi", **Bulletin D'Etudes Orientales, de, I. Institut Francais de Damas,** Tom, XIV (1952 - 1954) pp. 115 - 153.

IDEM, "Kātib", EI[2].

Stern, S. M. Fāṭimid Decrees (London, 1964).

IDEM, "An Original Document from Fāṭimid chancery Concerning Italian Merchants", in **Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida,** ii, (Rome, 1956), pp. 529 - 38.

IDEM, "Three Petitions of the Fāṭimid period", XV **Oriens** (1962), pp. 172 - 209.

Wansbrough, John., "The Safe - Conduct in Muslim chancery Practice", **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** Vol, 34 (1971), pp. 20 - 35.

أخطاء الوراقين والنقلة وأثر ذلك في تشويه النصوص

الدكتور فوزي حسن الشايب

جامعة اليرموك

التصحيف والتحريف آفتان من أخطر الآفات التي منيت بها النصوص ولا تزال ، ولم يكد يسلم من شرهما أحد ، وهذا ما يفصح عنه قول الإمام أحمد بن حنبل[1] : « ومن يعرى من الخطأ والتصحيف » . وليس من هدفنا في هذا البحث التعرض لهذا اللون من التصحيف والتحريف الذي وقع فيه الأئمة ، فهذا مشهور معروف ، وله مظانه[2] ، ولكننا نتناول تلك الأخطاء التي وقع فيها الوراقون والنقلة ، وبقيت هذه الأخطاء موجودة ، لم يتنبه إليها المحققون على الرغم من وضوحها أحياناً ، وعدم انسجامها أو تضامّها مع ما قبلها وما بعدها ، أو بعبارة أخرى عدم اتساقها سياقياً مع ما قبلها وما بعدها .

ونود بادئ ذي بدء أن نوضح أن التصحيف والتحريف قد يكونان ماديين معنويين معاً ، قوامهما تغيير في الصورة الخطية للكلمة أو العبارة ، ينبني عليه تغير في المعنى ، وقد يكون التغير لفظياً فقط بتغيير حركة الإعراب ، أو معنوياً فقط ، وذلك في عملية النقل أو الأخذ عن مرجع ما خاصة ، فيؤدي سوء فهم الناقل لعبارة المؤلف ، إلى الخروج بحكم مجانب للصواب ، ينسبه خطأ إلى المؤلف .

فأما أخطاء الوراقين والنساخين فمنها ما هو في غاية الوضوح ومنها ما يحتاج إلى بعض التأمل وإعمال الفكر . فمما هو غاية في الوضوح والسهولة ، ما جاء في المزهر للسيوطي ، وهو قوله[3] : « وقال ثعلب في أماليه : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء ... **وتضجّع قريش** ... » .

---

١ ـ المزهر ٣٥٣/٢ .

٢ ـ انظر مثلاً كتاب « ما يقع فيه التصحيف والتحريف » للحسن بن عبدالله العسكري . وانظر أيضاً باب « معرفة التصحيف والتحريف » المزهر ٣٥٣/٢ .

٣ ـ انظر المزهر ٢١١/١ .

إن هذا النص قد جيء به في سياق إثبات تميّز لهجة قريش من غيرها ، وتفوقها عليها بالاستدلال على ذلك بخلوها من مستبشع اللغات ومرذول اللهجات حسب وصفهم . ولكن آخر هذا النص ينقض أوله ، ومن ثم يناقض نفسه ؛ فيثبت أوله تميز لهجة قريش وارتفاعها في الفصاحة عن غيرها ، ولكن آخر النص يثبت لهجة مرذولة - حسب مقاييسهم أو تعابيرهم - لقريش هي التضجّع ، وعلى الرغم من هذا التناقض الواضح فإن المحققين لم يتنبهوا إليه ، ولم يشيروا إلى هذا التحريف الذي أصاب النص . وبالرجوع إلى مجالس ثعلب نجد النص على النحو الآتي[1] : « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجّع قيس ... » فالتضجع إذن لقيس وليس لقريش ، ولكن الناقل أو الناسخ حرف قيساً إلى قريش فكان الخطأ .

ومن هذه التحريفات الظاهرة والسهلة ، ما نجده في كتاب « ما تلحن فيه العامة » المنسوب إلى الكسائي . وهو قوله[2] : « وتقول : هذا بصل حِرّيف بكسر الحاء وتشديد الراء . وخلّ ثِقّيف ، بتشديد القاف . ورجل عِنّين ، كما قالوا : سِكّير ، إذا كان كثير السكر . وخِمّير إذا كان يشرب الخمر . **وعربيد** . **هذا كلّه على مثال فِعّيل** » . لقد نسب هذا النص إلى الكسائي - وهو من هو - القول بأن « عربيد » على مثال « فعّيل » . وواضح تماماً أن مثل هذا لا يمكن بحال أن يصدر عن الكسائي ، ولا عن أصاغر تلاميذ الكسائي ، فمن له أدنى معرفة بالصرف يعرف أن عربيداً « فعليل » وليست فعّيلاً ، فكل ما في الأمر إذن أن الناسخ قد حرّف كلمة « غِرّيد » فجعلها عربيداً ، ومع وضوحها أيضاً لم يشر محقق الكتاب إلى هذا التحريف الحاصل ، فبقيت ماثلة في الكتاب شاهدة على هذه الآفة التي منيت بها النصوص بسبب أخطاء الوراقين .

---

١ - انظر مجالس ثعلب ١/٨١ وانظر بحوث ومقالات في اللغة ص ٢٢٢ .
٢ - ما تلحن فيه العامة ص ١١٣ .

وإذا كانت هذه الأمثلة من الوضوح بمكان ، فإن هناك أمثلة أخرى للتصحيف والتحريف تحتاج إلى شيء من إعمال الفكر والتدبر والتأمل ، ومن ذلك ، النص الذي أورده السيوطي في المزهر وجاء فيه[1] : « وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ... ولا من تغلب **واليمن** فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . ولا من بكر لمجاورتهم **للقبط** والفرس ... » فأين اليمن من الجزيرة المجاورة لليونان ؟ وأين تغلب والفرس من القبط ومصر ؟ وبمقابلة نص المزهر هذا بالنص نفسه الوارد في كتاب « الاقتراح في أصول النحو » للسيوطي أيضاً يتضح تماماً أن « النمر » قد حرّفت الى « اليمن » ، وان « للنبط » قد حرفت الى « للقبط »[2] . وقد امتد هذا التحريف إلى بعض مؤلفات من أخذ عن المزهر ، فالدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » لم يتنبه إلى التحريف الذي أصاب الكلمة الأولى ، فجاء بها كما هي في كتابه آنف الذكر[3] ، غير أنه جاء بالكلمة الثانية على وجهها الصحيح . وإذا كان الدكتور صبحي الصالح قد تنبه إلى بعض هذه التحريفات فإن محققي كتاب المزهر لم يتنبهوا إلى أن هناك تحريفاً ، ولم يظهر لهم عدم الاتساق وعدم التضامّ السياقيين لهاتين الكلمتين .

ومن هذا النوع من التحريف الذي يحتاج إلى فضل تأمل وإعمال للفكر ما وقع في « قرآن النحو » ؛ كتاب سيبويه ، ولم يتنبه إليه المشرفون على الطبعة الأميرية على الرغم مما هو معروف عنهم من التحري والضبط والإتقان ، بحيث وصفت طبعتهم بأنها أصح طبعات الكتاب[4] ، ولم يتنبه إليه محقق الكتاب المرحوم عبدالسلام هارون ،

---

١ - ما تلحن فيه العامة ص ١١٣ .
٢ - الاقتراح في أصول النحو ص ٥٦ . وانظر : بحوث ومقالات في اللغة ص ٢٢٣ .
٣ - دراسات في فقه اللغة ص ١١٣ .
٤ - تاريخ الأدب العربي ١٣٦/٢ .

شيخ محققي هذا العصر بلا منازع ، فقد جاء في « باب أسماء الأرضين » مما ينصرف ولا ينصرف ، قوله :[1] « وكذلك » هجر « يؤنث ويذكر » . قال الفرزدق :

منهن أيامُ صدق قد عُـرِفتُ بهـا أيـامُ فارسَ والايـامُ من هجـرا

فهذا أنث . وسمعنا من يقول : « كجالب التمر إلى هجَر » يا فتى » .

لقد جاء سيبويه بهذين الشاهدين ؛ الشعري والنثري ، ليثبت ـ جازمين بذلك جزماً ـ أن كلمة « هجر » تصرف ، وتمنع من الصرف ، ولكن كلمة « هجر » جاءت في الشاهدين ممنوعة من الصرف . وهذا لا يتفق وسياق كلام سيبويه ، فقد قال في بداية كلامه إن « هجر » تؤنث وتذكر ، ومجيئه بشاهدين لا بد أن يكون أحدهما دليلاً على التأنيث ومنع الصرف ، والآخر على التذكير والصرف ، وإلا كيف نتحقق من صدق دعواه أنه يذكر ، ثم ما معنى الإتيان بشاهدين على منع الصرف ؟ إن شاهداً واحداً كان يكفي لذلك . والذي يقطع الشك باليقين ، أن المثال النثري الذي ساقه سيبويه إنما هو مثل على تذكير « هجـر » وصرفها ، قوله بعد إيراد بيت الفـرزدق : « فهذا أنّث » . هذه العبارة توضح دون أدنى شك أن المثال النثري الذي سمعه وجاء به بعدُ ، كان على التذكير والصرف . إن هذه العبارة يفهم منها تلقائياً ، أن الآخر ذكّر « هجر » ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان لكلامه « فهذا أنّث » معنى .

وإذا كان الأمر كذلك فإن ما أراده سيبويه يجب أن يكون بصرف « هجر » ويكون كلامه على النحو الآتي : « وسمعنا من يقول : كجالب التمر إلـى هجرٍ يا فتى » . ولكن الناسخ حرّفها إلى « هجرَ » . ولعل مرد ذلك إلى أن رواية هذا المثل بالتأنيث ومنع الصرف أكثر وأشهر . فأثبت الكلمة على حسب ظنه هو لا كما أرادها سيبويه .

---

١ ـ الكتاب ٢٤٣/٣ . وطبعة بولاق ٢٣/٢ .

وفي العبارة شيء آخر ، وهو أن قوله « يا فتى » ، جيء به بعد إقفال الحاصرتين . وهذا قد يفهم منه أن « يا فتى » من كلام سيبويه ، وليست مما سمعه سيبويه . والصحيح أن « يا فتى » هي من جملة ما سمعه سيبويه ، فكان ينبغي إدخالها قبل إقفال الحاصرتين ؛ لأنها من جملة ما سمعه سيبويه . وقبل أن نأتي بالدليل على ذلك ، قد يسأل سائل : من أين لك أن تحكم بوجود تحريف ههنا مع أن الطبعة المحققة قد رجع فيها صاحبها الى إحدى عشرة مخطوطة[1] . ونجيب عن ذلك بأن هذه المخطوطات على تعددها لا بد أن تكون قد أخذت عن أصل واحد مني بالتحريف ، إن ورود هذه العبارة على هذا النحو في طبعات الكتاب المختلفة المحققة وغير المحققة ، لا ينهض دليلاً على صحتها واستقامتها ، ذلك أن الصحة والاستقامة لا يستدل عليهما بكثرة الورود ، وتعدد المواطن ، وإنما بالاتساق والتضامّ ، والترابط المعنوي بين العبارات ، قال الدكتور رمضان عبدالتواب :[2] « وقد يكون النص موجوداً في كتب متعددة ، غير أنه منقول فيها كلها عن كتاب واحد محرف ، وحينئذ لا يغني التعدد هنا شيئاً » .

ودليلنا على صحة ما نقوله ، هو ورود كلمة « هجر » مصروفة في هذا المثل . فقد جاء في بعض كلام ابن رشيق :[3] « ولم اسم كتابي هذا باسم السيد - زاده الله سمواً - لأكون كجالب التمر إلى هجرٍ ، ومهدي الوشي إلى عدنٍ » . وقد أورد الميداني هذا المثل ، ولكن بمنع صرف « هجر »[4] ولم يذكر أن له رواية أخرى بصرف « هجر » . ويفهم من هذا أن رواية المثل بمنع صرف « هجر » هي المشهورة وكثيرة التداول على ألسنة العامة . ولكن دليلنا القاطع على أن هناك تحريفاً في كلمة « هجر » قوامه منع صرفها ، وأنها كانت قد سيقت من قبل سيبويه مصروفة هو رواية اللسان

---

١ - انظر الكتاب ١/٥٤ - ٥٨ .

٢ - بحوث ومقالات في اللغة ص ١٩٣ .

٣ - انظر العمدة ١/١٧ .

٤ - انظر مجمع الأمثال ٢/١٥٢ عمود ٢ .

لكلام سيبويه ، فقد جاء فيه :[1] « قال سيبويه : سمعنا من العرب من يقول : كجالب التمر إلى هجرٍ يا فتى » . ثم أردف صاحب اللسان يقول :[2] « فقوله : « يا فتى » من كلام العربي . وإنما قال : « يا فتى » لئلا يقف على التنوين ، وذلك لأنه لو لم يقل له : يا فتى ، للزمه أن يقول : « كجالب التمر الى هَجَرْ » ، فلم يكن سيبويه يعرف من هذا أنه مصروف أو غير مصروف » . وعليه ، يجب تصحيح العبارة لتكون كما أرادها سيبويه حقيقة ، لا كما ظن النساخ أنه أراد .

ومن هذه التحريفات والتشويهات التي منيت بها نصوص التراث أيضاً ، ما جاء في كتاب مجالس العلماء ، للزجاجي ، في المجلس الذي ضم ثعلباً وابن كيسان ، وهو قوله :[3] « حدثني بعض أصحابنا قال : أخبرنا أبو الحسن بن كيسان قال : قال لي أبو العباس : كيف تقول : مررت برجل قائمٍ أبوه ؟ فأجبته بخفض قائم ورفع الأب . فقال لي : بأي شيء ترفعه ؟ فقلت : بقائم . فقال : أَوَ ليس هو عندكم اسماً ، وتعيبوننا بتسميته فعلاً دائماً ؟ فقلت ... قال : فكيف تقول : مررت برجل أبوه قائمٌ ؟ فأجبته برفعهما جميعاً . فقال لي : فهل تجيز أن تقول : مررت برجل **قائمٌ أبوه** ؟ فترفع به مؤخراً كما رفعت به مقدماً ؟ قلت : ذلك غير جائز عند أحد ... » .

هكذا وردت الجملة (قائم أبوه) في النسخة المحققة ، دون أن يعلق المحقق عليها أيّ تعليق ، واكتفى بالإحالة على كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي ، ويبدو أنه لحظ في هذه الجملة وتركيبها شيئاً غير عادي ، ولكنه لم يجد ما يقوله بشأنها فاكتفى بإحالة القارئ على كتاب السيوطي ملقياً تبعة ما فيها من تحريف وغموض على المرجع الآخر ، مع أن السياق يكاد ينطق بما يجب أن تكون عليه كلمة « قائم » في الجملة الأخيرة التي جاءت مشكلة خطأً بالضم .

---

١ ـ لسان العرب ١١٧/٧ (هجر) .

٢ ـ المرجع السابق في المكان نفسه .

٣ ـ مجالس العلماء ص ٢٤٤ .

وبدءاً نقول : كيف يستسيغ القارئ العادي قول ابن كيسان من أن : « مررت برجل قائمٌ أبوه » غير جائز عند أحد ؟ وكيف لا تجوز ، وهي الجملة السابقة نفسها أي مررت برجل أبوه قائمٌ » وأنه ليس بينهما من فرق سوى تقديم الخبر وتأخير المبتدأ . إن ابن كيسان بقوله « غير جائز عند أحد » لا يقصد البتة هذه الجملة التي وردت في المجالس وهي « مررت برجل قائمٌ أبوه » لأنها جملة جائزة وصحيحة ولا غبار عليها ، ولا ينكرها أحد . ولكن إنكار ابن كيسان هو لجملة أخرى حرّفت إلى هذه الجملة ، ثم إن قول ثعلب لابن كيسان « فترفع به مؤخراً كما رفعت به مقدماً » يكاد يفصح عن الجملة التي قصدها ثعلب وأنكرها ابن كيسان ، فالهاء في « به » عائدة على الوصف « قائم » وقوله « كما رفعت به مقدماً » « يقصد الجملة الأولى » مررت برجل قائمٍ أبوه فالوصف هنا مقدم ، وعمل عمل الفعل ، فرفع فاعلاً . والذي أراده ثعلب من قوله : « فترفع به مؤخراً » أي ترفع « الأب » بالوصف على الفاعلية في حالة تأخر الوصف ، هكذا : « مررت برجل أبوه قائمٍ » . هذا ما قصده ثعلب ، وهذا هو التركيب الذي قال عنه ابن كيسان : « غير جائز عند أحد » ؛ وذلك لأن الفعل عند البصريين لا يتقدم عليه فاعله ، فإذا كان هذا حال الفعل ، فالأمر مع الوصف الذي هو فرع على الفعل في العمل هو من باب أولى .

فانظر كيف حرفت الجملة على هذا النحو في كتاب مجالس العلماء ، فاضطرب النص وشوّه كلام ثعلب وابن كيسان ؟

ويبدو أن محقق الأشباه والنظائر لم يجد بشأن هذه الجملة ما يقوله فأثبتها صحيحة من حيث التركيب هكذا « مررت برجل أبوه قائم »[1] ولكن دون ضبط للكلمات في الجملة ، ويبدو أن هناك سقطاً في مخطوطة الأشباه والنظائر بالنسبة للجملة استدركه المحقق من مجالس العلماء ، وعلى الرغم من إحالته على كتاب المجالس ورجوعه إليه فإن محقق الأشباه والنظائر سكت ولم يعلّق على الاختلاف في

١ ـ الأشباه والنظائر ٥/٨٩ .

ترتيب كلمات الجملة المعنية بين مجالس العلماء والأشباه والنظائر . الخلاصة أن كلاً منهما قد أحال على الآخر ، وبقيت الحقيقة بالنسبة إلى هذه الجملة ضائعة بين هاتين الإحالتين ، غير أنها تظهر واضحة جلية في مرجع آخر تناول مجالس العلماء ، ومن ضمنها مجلس ثعلب وابن كيسان وهو كتاب « تذكرة النحاة » لأبي حيان ، حيث نجد فيه الجملة مثبتة على وجهها الصحيح وهو « مررت برجل أبوه قائم »[1] .

من هذا كله يتبيّن لنا أن عملية تحقيق النصوص ليست عملية سهلة ، وإنما تتطلب يقظة وجهداً ووقتاً كبيراً حتى يتسنى لنا إخراج النص صحيحاً كما وضعه صاحبه ، وليس كما آل إليه على أيدي الوراقين والنساخين أحياناً ، حتى تتم الفائدة ويعم النفع . وإذا كان الرجوع إلى المصادر الأساسية ضرورياً في معظم الأحيان لتصحيح الخطأ الذي يرد في المصادر الثانوية ، فإن الرجوع إلى المصادر الثانوية قد يكون ضرورياً أحياناً لتصحيح ما ورد في بعض المصادر الأساسية كما هو الحال في مجالس العلماء وتذكرة النحاة .

ومن قبيل هذا التحريف - في أغلب الظن - ما وقع في شرح أشعار الهذليين للسكري بشأن بيت حذيفة بن أنس :[2] .

نجا سالم[3] والنفس[4] منه بشدقه ولم ينج إلا جفنَ سيف ومئزرا

فقد جاء بشأنه : « بخط أبي الطيب » أخي الشافعي : قال سيبويه : كأنه قال : نجا ولم ينج ، كما تقول : تكلم ولم يتكلم ، إذا كان كلامه ضعيفاً . ونصب جفن سيف على

١ - تذكرة النحاة ص ١٤٩ .

٢ - نسبه الجوهري وابن فارس الى أبي خراش الهذلي . انظر الصحاح ٩٨٤/٣ ، وانظر الصاحبي ص ١٨٧ .

٣ - ويروى : نجا عامر . انظر الجمهرة ٤٩٦/٣ .

٤ - في رواية ابن مالك « والروح » بدل والنفس . انظر شرح التسهيل ١٧٥/٢ . وفي تذكرة النحاة : والموت منه بشدقه . بدل : والنفس . انظر تذكرة النحاة ص ٥٢٦ .

الاستثناء المنقطع »[1] . ولكن هذا الشاهد ، وهذا الكلام المنسوب إلى سيبويه ، لا نجد لهما أثراً في الكتاب . وقد علّق المحقق على هذا الكلام بأن الشاهد « لعله سقط من الكتاب »[2] .

وفي الحقيقة أن احتمال سقوط هذا الشاهد من كتاب سيبويه احتمال ضعيف ، ذلك أنه ليس كتاباً عادياً ، إنه أهم كتاب في النحو العربي على الإطلاق ، ولا نعتقد أن هناك كتاباً حظي بالرعاية والاهتمام بعد كتاب الله بمثل ما حظي به كتاب سيبويه ، ولا غرو في ذلك ، فقد كان في أعين الناس أكمل كتاب في بابه . قال المبرد :[3] « لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ؛ وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره » . ومن هنا كانت تسميته بـ « قرآن النحو »[4] . وقد تناقلته الأجيال وتعهدته بالحفظ والدراسة والشرح ، بحيث يكون من الصعب جداً تقبل فكرة سقوط شيء من شواهده ، أو بعض من عباراته ، ولا سيما أن شواهد سيبويه معدودة ، ومعروفة ، فقديماً نص الجرمي قائلاً :[5] « نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً . فأما الألف فعرفت أسماء قائليها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها » . وهذا العدد يتفق تقريباً مع آخر إحصاء لشواهد سيبويه . فقد ذكر أحمد راتب النفاخ صاحب أحدث فهرسة لشواهد سيبويه أن الشواهد الشعرية بلغت سبعة وأربعين بيتاً وألف بيت[6] ، بإلغاء المكرر . وهذا يقارب ما أثر عن الجرمي ، والخلاف بين العددين يمكن حمله على تجوز الجرمي في التعبير .

١ - شرح أشعار الهذليين ٥٥٨/٢ .
٢ - المرجع السابق هامش رقم ٢ .
٣ - خزانة الأدب ٣٧١/١ .
٤ - انظر مراتب النحويين ص ١٠٦ .
٥ - طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥ وانظر خزانة الأدب ١٧/١ ، ٣٦٩ .
٦ - فهرس شواهد سيبويه ص ٩ .

ثم إن سقوط الشاهد إن كان ممكناً متقبلاً ، فإن سقوط فقرة كاملة من جميع النسخ قديماً وحديثاً أمر أكثر صعوبة .

ثم إن شراح الشواهد كالنحاس[1] ، والسيرافي[2]، والأعلم الشنتمري في شرحه لشواهد الكتاب المسمى بـ « تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب » على هامش كتاب سيبويه في طبعة بولاق ، لم يشر أي منهم إلى أن هناك سقطاً ، بل على العكس فقد نبهوا على الأبيات المزيدة ، التي بلغت أحد عشر ، أكثرها من إنشاد الأخفش فالمازني ثم الجرمي والمبرد[3] كما تعرض العلماء إلى تخطئة[4] رواية بعض الشواهد ، والحكم على بعضها بأنها مصنوعة[5] ، ولكن لم يذكر أحد قط أن هناك سقطاً .

ثم إني قد تتبعت هذا الشاهد في جميع المصادر التي وقعت يدي عليها ، فلم أجد أحداً قد ذكر أنه من شواهد سيبويه ، ولا أشار أحد قط إلى أن لسيبويه رأياً في تخريج نصب « جفن سيف » الوارد في الشاهد ، في الوقت الذي حرص فيه كثير منهم على ذكر تخريج الكسائي والفراء ويونس ، فابن قتيبة في المعاني الكبير[6] ، وثعلب في مجالسه[7] ، وابن السراج في أصوله[8] ، وابن دريد في جمهرته[9] ، والجوهري في صحاحه[10] ، وابن فارس في الصاحبي[11] ، وابن سيده في محكمه[12] ،

---

١ ـ انظر « شرح أبيات سيبويه » للنحاس .
٢ ـ انظر « شرح أبيات سيبويه » للسيرافي ، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي .
٣ ـ انظر نشأة النحو ص ٩٨ .
٤ ـ المرجع السابق ص ٩٢ .
٥ ـ المرجع السابق ص ٩٥ .
٦ ـ ٢/٩٧٢ .
٧ ـ ٢/٤٥٦ .
٨ ـ ١/٢٩١ .
٩ ـ ٣/٤٩٦ .
١٠ ـ ٣/٩٨٤ .
١١ ـ ص ١٨٧ .
١٢ ـ ٧/٣١٨ .

والزمخشري في أساسه[1]، وابن عصفور في مقرّبه[2]، وابن مالك في تسهيله[3]. وابن منظور في لسانه[4]، وأبو حيان في كل من: تذكرة النحاة[5]، والبحر المحيط[6]، والفيروز ابادي في بصائر ذوي التمييز[7]، كل هؤلاء لم يشيروا من قريب أو بعيد إلى سيبويه في هذا الشاهد، ولا في تخريجه. ولا يعقل أن يكون من شواهد سيبويه ويغفل عنه هؤلاء جميعاً.

وإذا كان الأمر كذلك قوي الاحتمال عندنا بكون الشاهد لغير سيبويه، وإن الكلام المنسوب لسيبويه في أشعار الهذليين ليس له أيضاً، وترجح لدينا في المقابل أن هناك تحريفاً من قبل النساخ حرّف فيه اسم صاحب هذا الكلام الحقيقي وهو ابن السراج إلى سيبويه، فقد وجدنا الشاهد، وكلاماً شبيهاً بهذا الكلام المنسوب إلى سيبويه في كتابه: «الأصول في النحو» الذي جاء فيه:[8] «وقال الشاعر:

نجا سالم والنفس منه بشدقه ... ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

فقوله: نجا ولم ينج كقولك: أفلت ولم يفلت، أي لم يفلت إفلاتا صحيحاً، كقولك: تكلمت ولم أتكلم. ثم قال: إلا جفن سيف ومئزرا. كأنه قال: لكن جفن سيف ومئزرا». يقصد ابن السراج بذلك أنه منصوب على الاستثناء المنقطع، لأن هذا النوع من الاستثناء تكون فيه «إلا» بمعنى «لكن» عند البصريين، وبمعنى «سوى» عند الكوفيين[9].

---

١ - ١/١١٩.
٢ - ١/١٦٧.
٣ - ٢/١٧٥.
٤ - ١٦/٢٤١.
٥ - ص ٥٢٦.
٦ - انظر ١/١٢٦، ٦/٢١٧، ٨/٢٩.
٧ - ٥/٩٧.
٨ - ١/٢٩١ - ٢٩٢.
٩ - المرجع السابق ١/٢٩٠.

وقد روي هذا البيت بنصب « جفن » . وقد ذكر ابن سيده أن ابن دريد قد ذكر أنه حكي بالكسر ، وأن ابن دريد علّق على هذه الرواية بقوله « ولا أدري ما صحته »[1] . ولكننا عندما رجعنا إلى الجمهرة لم نجد هذا الذي نسب إلى ابن دريد ، والذي وجدناه هو قوله :[2] « ويروى : نجا عامر ، أي نجا والنفس في شدقه . وزعم يونس أن معناه : فلم ينج إلا بجفن سيف . وقد نصب هذا على الاستثناء » . وعلى كل فإذا صح أن هناك رواية بالكسر ، فإنها تخرج على أحد وجهين :

الأول : حذف حرف الجر وإبقاء عمله ضرورة أو شذوذاً ، وذلك كالذي يروى عن رؤبة أنه كان إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : خيرٍ عافاك الله[3] ، ومثل قول الشاعر :

اذا قيـــل أي النـــاس شر قبيلـــــة ... أشارت كليـبٍ بالأكـف الأصابع

يريد : إلى كليب . وقد نص النحويون على أن حذف الجار وإبقاء عمله لا يجوز في سعة الكلام إلا في اسم الله تعالى في القسم بسبب كثرة الاستعمال ، ويكون في غيره شذوذا[4] ، وعبارة ابن هشام في المغني تفيد جواز ذلك بقلة[5] .

والوجه الآخر يكون على الإتباع للمستثنى منه المحذوف في اللفظ والمعتبر في القصد والنية ، وتقديره : ولم ينج بشيء إلا جفنِ سيف . وضعف هذا الوجه آت من الإتباع لشيء مقدر ، غير موجود في اللفظ .

وأما النصب فقد اختلف في تخريجه هو الآخر ؛ فمنهم من عده استثناء مفرغاً ، ومنهم من عده استثناءً منقطعاً ، ومنهم من خرجه على أساس الاستثناء المتصل .

---

١ - انظر المحكم والمحيط الأعظم ٣١٨/٧ ، وانظر اللسان ٢٤١/١٦ .
٢ - انظر الجمهرة ٤٩٦/٣ .
٣ - انظر ضرائر الشعر ص ١٤٥ . وانظر مغني اللبيب ص ٧١٢ .
٤ - السابق في المكان نفسه .
٥ - انظر مغني اللبيب ص ٧١٢ .

فيونس ذهب إلى أن الاستثناء مفرغ وأن « جفن سيف » منصوب بنزع الخافض . جاء في تذكرة النحاة عن الفراء قوله :[1] « خرجت إلى البصرة في طلب العربية ، فجلست في حلقة يونس فجاءه رجل فسأله عن قوله :

نجا سالم والموت منه بشدقه ... ولم ينج الا جفنَ سيف ومئزرا

بم نصب ؟ فقال له يونس : بفقدان الخافض . أراد : بجفنِ سيف ومئزرٍ . قال الفراء : وأخطأ . وهذا الاستثناء الصحيح كما تقول : ذهب مال زيد وحشمه إلا سعيداً وعبيداً » . وقد ذكر ثعلب هذه القصة في مجالسه بشيء من التصرف[2] . وقد ذهب مذهب يونس كل من الجوهري وابن سيده ، والمجد الفيروزابادي . وهذا واضح من تحليلهم لأسلوب الاستثناء في الشطر الثاني من البيت ، قال الجوهري :[3] « أي بجفن سيف ومئزرٍ » . وقال ابن سيده :[4] « وعندي أنه أراد : ولم ينج إلا بجفنِ سيف ، ثم حذف وأوصل » . وقال المجد الفيروزابادي :[5] « أي بجفن سيف وبمئزر » .

وأما الكسائي وتلميذه الفراء فقد ذهبا إلى أن نصب « جفن سيف » على الاستثناء الحقيقي من مقدر محذوف ، فهو استثناء مفرّغ في اللفظ ، ولكنه تام متصل من حيث المعنى والقصد والنية . جاء في المعاني الكبير :[6] « وكان الكسائي ينصبه على الاستثناء . يريد : ولم ينج ما له ، كما تقول : نجا فلان ، وأنت تريد ما له . واحترق منزل فلان إلا بيتين » .

---

١ ـ تذكرة النحاة ص ٥٢٦ .

٢ ـ مجالس ثعلب ٤٥٦/٢ .

٣ ـ الصحاح ٩٨٤/٣ .

٤ ـ المحكم ٣١٨/٧ . وانظر اللسان ٢٤١/١٦ .

٥ ـ بصائر ذوي التمييز ٩٧/٥ .

٦ ـ ٩٧٢/٢ .

ونصب المستثنى في الاستثناء المفرغ على أساس الاستثناء من مستثنى منه مقدر ، مذهب للفراء خاصة ، وللكوفيين عامة . قال الرضي :[1] « والفراء يجيز النصب على الاستثناء في المفرغ نظراً إلى المقدر ، استدلالاً بقوله :

يطالبني عمي ثمانين ناقة وما لي يا عفراء إلا ثمانيا »

ولم يجد الرضي في هذا البيت دليلاً قاطعاً على صحة جواز النصب في الاستثناء المفرغ مراعاة للمقدر كما ذهب الفراء ، فقال :[2] « ويجوز أن يريد : إلا ثمانية جمال . فرخّم في غير النداء ضرورة » . والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال فسد به الاستدلال .

وقد مال النحاة المغاربة إلى رأي الفراء في تخريج نصب « جفن سيف » في بيت حذيفة بن أنس . قال ابن عصفور[3] : « والاسم الواقع بعد « إلا » لا يخلو من أن يكون قبله عامل مفرّغ للعمل فيه أو لا يكون . فإن كان فإما أن يكون العامل المفرغ رافعاً أو ناصباً أو خافضاً . فإن كان رافعاً عمل فيه ، وذلك نحو قولك : ما قام إلا زيد . وإن كان ناصباً أو خافضاً ، فإما أن يكون معموله محذوفاً ، أو لا يكون . فإن لم يكن له معمول محذوف ، كان الاسم الذي بعد « إلا » على حسب ذلك ، وذلك نحو قولك : ما ضربت إلا زيداً ، وما مررت إلا بزيد . وإن كان معموله محذوفاً ، كان الاسم الذي بعد « إلا » منصوباً على الاستثناء . ومن ذلك قوله :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

أي : ولم ينج شيء إلا جفن سيف ومئزرا » . وعليه ، فالاستثناء تام متصل معنى ، والمستثنى منه المحذوف مقرر وموجود في النية والقصد . وهذا عين ما قصده

---

١ - شرح الكافية ١٠٥/٢ . وانظر خزانة الأدب ٣٧٥/٣ .
٢ - المرجع السابق في المكان نفسه .
٣ - المقرّب ١٦٧/١ .

ابن مالك بقوله :[1] « فالظاهر أنه أراد : ولم ينج بشيء . فحذف لدلالة النفي والاستثناء بعده على منفي عام للمستثنى وغيره » . وعليه فالاستثناء مفرغ لفظاً ، متصل معنى ، والاستثناء فيه قائم على أساس المعنى لا اللفظ . وأما أبو حيان فانه لم يزد على أن كرر كلام ابن عصفور بحروفه تقريباً ، قال في البحر المحيط :[2] » إن الاسم بعد « إلا » إما أن يفرّغ له العامل فيكون على حسب العامل نحو : ما قام إلا زيد . وما ضربت إلا زيداً ، وما مررت إلا بزيد ، اذا جعلت « زيداً » و « بزيد » معمولاً للعامل قبل « إلا » ، أو لا يفرغ . وإذا لم يفرّغ فإما أن يكون العامل طالباً مرفوعاً فلا يجوز إلا ذكره قبل « إلا » وإضماره إن كان مما يضمر ، أو منصوباً أو مجروراً فيجوز حذفه وإثباته . فإن حذفته كان الاسم الذي بعد « إلا » منصوباً على الاستثناء ، فتقول : ما ضربت إلا زيداً ، تريد : ما ضربت أحداً إلا زيداً ... قال الشاعر :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ... ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

يريد : ولم ينج بشيء إلا جفن سيف » .

والخلاف بين نصي ابن عصفور وأبي حيان شكلي وإجراء نظري فحسب ، فهما يتفقان على أن « جفن سيف » ليس معمولاً مباشراً للعامل قبل إلا ، فمعمول العامل المفرّغ محذوف على رأي ابن عصفور ، والمستثنى منه محذوف على رأي أبي حيان نظراً إلى كونه فضلة ، ولكن معمول العامل المفرغ هو المستثنى منه ، فالنتيجة واحدة هي أن المستثنى منه محذوف في كلتا الحالتين ، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن : كيف يتأتى للفراء ومتابعيه أن يحكموا على أن هذا المحذوف مقرر موجود في النية ، أو أنه غير مقصود وغير منوي ؟ كيف يتأتى لنا الاطلاع على نيّة المتكلم وقصده ؟ حتى نستطيع التفريق بين الاستثناء المفرغ لفظاً ومعنى ، والاستثناء المفرغ

---

١ - شرح التسهيل ١٧٥/٢ .
٢ - ١٢٦/١ .

لفظاً لا معنى ؟ بين المحذوف لفظاً ونيّة ، وبين المحذوف لفظاً لا نيّة ؟ أنىّ لنا ذلك ؟ إن كل استثناء مفرّغ يمكن أن يدّعى فيه أن المحذوف مقصود في النية ، ومن ثم لا يبقى ثمة فرق بين الاستثناء التام المتصل والمفرّغ ، وأكثر من ذلك يمكن إنكار وجود المستثنى المفرغ جملة ، لهذا كله أنكر الرضي على الفراء تجويزه النصب مراعاة للمقدر فقال :(1) « وما أجازه مردود لوجوب قيام المستثنى مقام المقدر في الإعراب » .

وهناك نوع آخر من التحريف يمكن أن نسميه التحريف المعنوي للنصوص ، وهو الأثر الناشئ عن سوء فهم الناقل لقصد المؤلف ، الأمر الذي يؤدي إلى إصدار أحكام ، واستخلاص نتائج فاسدة ، مجانبة للصواب ، ينسبها قارئ النص خطأً إلى أناس هم منها براء . فمن ذلك ما نسبه الدكتور أحمد علم الدين الجندي إلى الكسائي وهشام من أنهما قرآ : قول وسوق وسوء ... أي قراءة هذه الأفعال المبنية للمفعول بإخلاص الضم ! قال بهذا الخصوص :(2) « فالفعل الثلاثي الذي انقلب عين فعله ألفاً في الماضي - إذا بني للمفعول - نراه يختلف في صيغته عند القبائل العربية ، فقريش ومن جاورها من بني كنانة آثرت الياء في عينه كقولهم : « قيل » ، بينما قبائل قيس وعقيل ومن جاورهم ، وعامة أسد يقولون فيها : « قول » بالواو . كما عزيت الصيغة الواوية إلى بني دبير وفقعس . وقد قرأ بها نافع وابن عامر والكسائي كما جاء في البحر(3) أن الكسائي وهشاماً قرآ في : قيل وغيض وحيل وجيء وسيق بالواو » .
وكرر هذا الكلام في موطن آخر فقال :(4) « ... ويمكن أن نرى شاهد ذلك في قراءة الكسائي وهشام : وقول يا أرض ابلعي ، وسوق الذين اتقوا ، وسوء بهم » .

---

1 - شرح الكافية 2/106 .

2 - اللهجات العربية في التراث 1/408 - 409 .

3 - يقصد : البحر المحيط .

4 - اللهجات العربية في التراث 2/570 .

وقول الشاعر :

وقــول لا أهــل له ولا مــال

وقول الآخـر :

ليت شباباً بوع فاشتريت » .

وهذا الكلام ينطوي في الحقيقة على مغالطات كثيرة ؛ منها : الزعم بأن قيساً وعقيلاً ومن جاورهم وعامة بني أسد قرءوا « قول » بالواو ! والصحيح أنهم قرءوا بالإشمام لا بإخلاص الضم ، ومنها ما نسبه إلى صاحب البحر المحيط من أنه ذكر أن هشاماً والكسائي قرآ بالواو في قيل وغيض ... والصحيح أن أبا حيان لم يقل ذلك البتة ، وأن الكسائي وهشاماً ولا أحد من القراء قرأ بالواو أي بإخلاص الضم . والغريب أن الدكتور الجندي قد نقل نصه الأول حرفياً عن البحر المحيط ، وقد نص البحر المحيط في آخر الفقرة على أن قراءة إخلاص الضم لم يقرأ بها أحد ، ومع النص الصريح على هذا ، يخرج الباحث الكريم بأحكام ونتائج غاية في البعد والغرابة ، ولنتأمل عبارة البحر المحيط ، قال أبو حيان :[1] « الفعل الثلاثي الذي انقلب عين فعله ألفاً في الماضي إذا بني للمفعول أخلص كسر أوله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ، ومن جاورهم من بني كنانة ، وضم أولها عند كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد . وبهذه اللغة قرأ الكسائي وهشام في قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وجيء وسيق ، وافقه نافع وابن ذكوان في سيء وسيئت ، زاد ابن ذكوان حيل وسيق[2] . وباللغة الأولى قرأ باقي القراء . **وفي ذلك لغة ثالثة** وهي إخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه واواً . **ولم يقرأ بها** ، وهي لغة لهذيل وبني دبير » .

---

١ ـ البحر المحيط ١/٦٠ ـ ٦١ .

٢ ـ في المطبوع : ساق وهو تحريف .

هذا هو نص البحر المحيط الذي استخلص منه الباحث الكريم أحكامه السابقة . وواضح تماماً من قول أبي حيان : ضمّ أولها ، أي ضم أول فاء الكلمة ، ففاء الكلمة محركة إذاً بحركة مزدوجة ، أو هو ما يعبر عنه بالإشمام ، وهي اللغة الثانية التي قرئ بها في القرآن الكريم بعد لهجة إخلاص الكسر ، وأنه بهذه اللغة ، أي الإشمام قرأ الكسائي وهشام في الكلمات المذكورة ، وغيرهما في بعضها . وهذا ما نصت عليه كتب القراءات كلها ، ولنأخذ مثالاً على ذلك كتاب النشر في القراءات العشر ، قال ابن الجزري :[1] « واختلفوا في : قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت ، فقرأ الكسائي وهشام ورويس بإشمام الضم كسر أوائلهن » . وهل هناك ما هو أدل على خطأ ما ذكره الباحث الكريم من نص أبي حيان على أن لهجة إخلاص الضم وسكون العين واواً لم يقرأ بها ! ونصه كذلك على أنها لغة لهذيل ودبير ، وليس لقيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد ! .

ويبدو أن الباحث الكريم قد فهم من قول أبي حيان : « وضم أولها عند كثير من قيس ... » أنه يقصد لهجة إخلاص الضم ، ولو أنه تأنى قليلاً حتى نهاية النص لعرف أن هذه اللهجة لم يقرأ بها في القرآن الكريم البتة ، كما نص أبو حيان على ذلك في نهاية النص . فقد بيّن أبو حيان في نصه هذا أن هناك ثلاث لغات في المبني للمفعول من الأفعال الجوف المعلّة هي : إخلاص الكسر وهي اللهجة الفصحى ، ولهجة الإشمام ، وهي فصيحة أيضاً بدلالة أنه قرئ بها في القرآن الكريم ، ولكنها دون اللغة الأولى . قال الرضي[2] « وأما الإشمام فهو فصيح ، وإن كان قليلاً . وحقيقة هذا الإشمام أن تنحو بكسرة فاء الفعل نحو الضمة ، فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلاً إذ هي تابعة لحركة ما قبلها . هذا هو مراد القراء والنحاة بالإشمام في هذا الموضع » . واللغة الثالثة والأخيرة هي إخلاص الضم ، وهي أقلّ اللغات[3] فصاحة واستعمالاً ،

---

١ ـ النشر في القراءات العشر ٢/٢٠٨ .

٢ ـ شرح الكافية ٤/١٣١ .

٣ ـ شرح الكافية ٤/١٣٠ .

ولذا لم يقرأ بها في القرآن الكريم . قال الزجاج :[1] « **وقد يجوز في غير القرآن : قد قول ذاك** وأفصح اللغات : « قيل » و « غيض » و « سيق الذين اتقوا ربهم » . وإن شئت قلت : قُيل وغُيض وسُيق ، تروم في سائر أوائل مالم يسم فاعله الضم في هذا الباب » . وقال العكبري :[2] « ومن العرب من يقول في مثل : قيل وبيع ، قول وبوع . ولا يقرأ بذلك مالم تثبت به رواية » . ولم تذكر كتب القراءات ، سواء أكانت للقراءات الصحيحة أم الشاذة أن أحداً قرأ بهذه اللهجة .

هذا ، وكان الباحث الكريم قد أشار إلى مرجع آخر[3] هو كتاب : **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر** كمصدر آخر لهذه الأحكام التي جاء بها . ولكن هذا المرجع شأنه شأن البحر المحيط والمراجع الأخرى ، لم يذكر قط أن الكسائي وهشاماً قرآ بإخلاص الضم ، ولنتأمل نص كتاب الإتحاف :[4] « وقرأ هشام والكسائي وكذا رويس **بالإشمام** كذلك في الأفعال السبعة وهو لغة قيس وعقيل ومن جاورهم ، وافقهم الحسن والشنبوذي . **وكيفية اللفظ به أن تلفظ بأول الفعل بحركة تامة مركبة من حركتين إفرازاً لا شيوعاً** ، فجزء الضمة مقدم وهو الأقل ، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر ، **ولذا تمخضت الياء** . والباقون بإخلاص الكسرة » . هذا ما جاء في الإتحاف ، وليس فيه أي إشارة إلى أن أحداً قد قرأ بإخلاص الضم .

ومن هذا أيضاً ، ما ظنه الدكتور الجندي تناقضاً في أقوال أبي حيّان بين أحكامه على القراءات بشأن « عورات » من قوله تعالى :[5] « ثلاث عورات » وبشأن « روضات » من قوله تعالى[6] « والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات »

---

١ - معاني القرآن وإعرابه ١/٥٢ - ٥٣ .

٢ - التبيان في إعراب القرآن ١/٢٨ .

٣ - اللهجات العربية في التراث ٢/٥٧٠ هامش رقم ١ .

٤ - إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٩ .

٥ - سورة النور آية ٥٨ .

٦ - سورة الشورى آية ٢٢ .

فقد قال أبو حيان بشأن « عورات » :[1] « وروي عن ابن عباس تحريك واو عورات بالفتح . والمشهور في كتب النحو أن تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة » . وقال بشأن « روضات » :[2] « واللغة الكثيرة تسكين الواو في روضات . ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو إجراء للمعتل مجرى الصحيح نحو : جَفَنات . ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم » . وقد فهم الدكتور الجندي من عبارة أبي حيان الأخيرة أنه لم يقرأ أحد بلغة هذيل في القرآن كله ! مع أنه كان قد حكم قبلُ بأن « عورات » قد قرئ بها على لغة هذيل . مما حمله على التعجب والاستغراب من صنيع أبي حيان الذي بدا له متناقضاً فقال :[3] « ولهذا أعجب من أبي حيان ذلك الذي يذكر بأن قراءة قرآنيـة جاءت على لغـة هذيل - يقول نفسه في مكان آخر من تفسيره « والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات » ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم » . والصحيح أن أبا حيان لم يناقض نفسه ، وأن كلامه صحيح سليم ولكن الباحث الكريم أساء فهم كلام أبي حيان . فأبو حيان لم يحكم في كلامه على « روضات » بأن لغة « هذيل لم يقرأ بها أحد في القرآن الكريم » ، ولكنه حكم - وهو على حق - أنه لم يقرأ أحد من القراء كلمة « روضات » على لغة هذيل كما قرئت « عورات » . فقول أبي حيان : « ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم » خاص بكلمة « روضات » فقط . فلم يكن أبو حيان متناقضاً ، وليس في كلامه ما يدعو إلى العجب والدهشة والاستغراب .

---

١ - البحر المحيط ٤٤٩/٦ .

٢ - البحر المحيط ٥١٥/٧ .

٣ - اللهجات العربية في التراث ٥٤٥/٢ .

المراجـــع

١ ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، أحمد عبدالغني الدمياطي . رواه وصححه وعلق عليه : علي محمد الضباع . دار الندوة الجديدة . بيروت د. ت .

٢ ـ أساس البلاغة . الزمخشري ط٢ مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٢م .

٣ ـ الأشباه والنظائر في النحو . جلال الدين السيوطي . تحقيق : عبدالعال سالم مكرّم . ط١ . مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥ .

٤ ـ الأصول في النحو . أبو بكر محمد بن سهل . تحقيق عبدالحسين الفتلي ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ .

٥ ـ الاقتراح في علم أصول النحو . جلال الدين السيوطي . تحقيق : أحمد محمد قاسم . ط١ مطبعة السعادة . القاهرة ١٩٧٦م .

٦ ـ البحر المحيط . أبو حيان . مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د. ت .

٧ ـ بحوث ومقالات في اللغة . رمضان عبدالتواب . ط١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٩٨٢ .

٨ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي . تحقيق عبدالعليم الطحاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د. ت .

٩ ـ تاريخ الأدب العربي . بروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار ، ط٣ . دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .

١٠ـ التبيان في إعراب القرآن . أبو البقاء العكبري . تحقيق علي محمد البجاوي ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٧ .

١١- تذكرة النحاة . أبو حيان . تحقيق : عفيف عبدالرحمن ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ .

١٢- الجمهرة . ابن دريد . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، طبعة بالأوفست عن طبعة حيدر آباد الدكن / الهند ١٣٤٥هـ .

١٣- خزانة الآدب . عبدالقادر بن عمر البغدادي . تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٩ .

١٤- دراسات في فقه اللغة . صبحي الصالح . ط ٦ . دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٦ .

١٥- شرح أبيات سيبويه / أبو جعفر النحاس . تحقيق : أحمد خطاب ، ط١ جامعة الموصل - كلية الآداب . ١٩٧٤ .

١٦- شرح أبيات سيبويه / أبو محمد يوسف بن سعيد السيرافي . تحقيق محمد علي سلطاني . الجزء الأول من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ ، والجزء الثاني نشر دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٧٩ .

١٧- شرح أشعار الهذليين / أبو سعيد السكري ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر . مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، د. ت .

١٨- شرح التسهيل / ابن مالك تحقيق : عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، ط١ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ١٩٩٠م .

١٩- شرح الكافية / الرضي الاستراباذي ، عمل يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ١٩٧٨ .

٢٠- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري ، تحقيق : عبدالعزيز أحمد ، ط١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٩٧٧م .

٢١- الصاحبي / ابن فارس . تحقيق : السيد أحمد صقر . عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٧م .

٢٢- الصحاح / الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط٢ ، دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٩ .

٢٣- ضرائر الشعر / ابن عصفور . تحقيق : السيد إبراهيم محمد ، ط١ ، دار الأندلس ، ١٩٨٠م .

٢٤- طبقات النحويين واللغويين / أبو بكر الزبيدي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف ، القاهرة . د. ت .

٢٥- العمدة . ابن رشيق القيرواني . تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢م .

٢٦- فهرس شواهد سيبويه . أحمد راتب النفاخ ط١ ، دار الأمانة . بيروت ، ١٩٧٠م .

٢٧- الكتاب . سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٧٣م .

٢٨- الكتاب . سيبويه . ط١ . المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٦ .

٢٩- لسان العرب . ابن منظور . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٧٣م .

٣٠- اللهجات العربية في التراث . أحمد علم الدين الجندي . ط١ ، الدار العربية للكتاب - ليبيا ١٩٧٨م .

٣١- ما تلحن فيه العامة . الكسائي . تحقيق : رمضان عبدالتواب . ط١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢ .

٣٢- مجالس ثعلب ، ثعلب . تحقيق : عبدالسلام محمد هارون . النشرة الثانية . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٠م .

٣٣- مجالس العلماء . الزجاجي . تحقيق : عبدالسلام محمد هارون . ط٢ مكتبة الخانجي بالقاهرة . ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٣م .

٣٤- مجمع الأمثال . الميداني . تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ط٣ . دار الفكر بيروت ١٩٧٢م .

٣٥- المحكم والمحيط الأعظم . ابن سيده . تحقيق : محمد علي النجار . ط١ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . ١٩٧٣م .

٣٦- مراتب النحويين . أبو الطيب اللغوي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة . د. ت .

٣٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها . جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم . ط٤ دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة ١٩٥٨ .

٣٨- معاني القرآن وإعرابه . الزجاج . تحقيق : عبدالجليل شلبي ، منشورات المكتبة العصرية . بيروت . د. ت .

٣٩- المعاني الكبير في أبيات المعاني . ابن قتيبة . ط١ ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٤٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام . تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله . ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٩م .

٤١- المقرب في النحو / ابن عصفور ، تحقيق : أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧١م .

٤٢- نشأة النحو . محمد الطنطاوي ، ط٥ ، دار المعارف . القاهرة ١٩٧٣م .

٤٣- النشر في القراءات العشر . ابن الجزري . تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع . المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة . د. ت .

ثانياً : مع الكتب

حاجتنا إلى معجم جديد للدخيل في الفصحى*

د. رفعت هزيم / جامعة اليرموك

١ - تاريخ الدخيل في العربية .

٢ - تاريخ التأليف في الدخيل .

أولاً : القدامى : الجواليقي - السيوطي - الشهاب الخفاجي .

ثانياً : المحدثون :

أ - الأوروبيون :

١. الدخيل في لغات الغرب .

٢. الدخيل في العربية .

ب - المشارقة :

١. الدخيل في كتب القدماء .

٢. الدخيل في العامية .

٣. الدخيل في الفصحى المعاصرة .

ثالثاً : تلخيص وتقويم .

٣ - المعجم المقترح :

أولاً : صعوبات تأليفه :

أ - الوضع الخاص للعربية .

ب - تشعب مادة الدخيل .

جـ - اتساع الرقعة الجغرافية .

د - اختلاف الرسم .

---

* الباحثون - قدامى ومحدثين - في تعريف « الدخيل » و« المعرَّب » كثر ، ومعظمهم على عدم التفريق بينهما ، وهو المذهب المختار هنا .

ثانياً : منهج المعجم :

أ - الدخيل في الفصحى المعاصرة .

ب - الدخيل في العامية بشروط .

جـ - الدخيل القديم بشروط .

د - إهمال الدخيل المستعمل في الكتب المترجمة .

هـ - الدخيل ذو الأصل العربي .

و - استبعاد الألفاظ اللاهوتية النادرة .

ز - أسماء الأعلام والأماكن بشروط .

ح - استبعاد التعبيرات المترجمة .

ط - مراعاة قواعد كتابة الدخيل التي أقرها المجمع .

ي - أصل الدخيل واشتقاقه عند الحاجة فحسب .

يبدو أن القدماء تنبهوا إلى الدخيل في العربية أول ما تنبهوا عندما نزل القرآن الكريم ، إذ وردت فيه ألفاظ لم يألفوها ، فبعضها عرفوا دلالته من سياق وروده (نحو: برهان ومنافقون وبرزخ) ، وبعضها الآخر استغلق عليهم فهمه (نحو : أبا وغسلين وأوّاه)[1] .

ونشأ عن ذلك مبحثان هامان من مباحث علوم القرآن ، أحدهما للغريب والآخر للمعرَّب ، وإن كانت الصلة بينهما وثيقة لأن بعض الغريب دخيل[2] ، وقد أفردوا لكل منهما مؤلفات خاصة به ، فمن أشهر ما ألف في الضرب الأول « غريب القرآن وتفسيره » لابن اليزيدي المتوفى سنة ٢٣٧ هـ ، و « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٦٦ هـ ، و « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني

المتوفي سنة ٥٠٢ هـ ، « وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب » لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، ولعل الخلاف بين القدماء في وقوع المعرّب في القرآن أسهم في إثراء البحث في هذا الباب فلم ينقطع نتاجه من الكتب والرسائل والمقالات حتى يومنا هذا(٣) .

على أن تاريخ الدخيل في العربية يرجع إلى عصر سابق لظهور الإسلام ، فقد استعمل الشعراء الجاهليون ـ وبخاصة الأعشى ـ عشرات من الألفاظ المستعارة من لغـــات شتى كالفارسية البهلوية (نحو : ديباج وصولجان ونرجــس) ، والسريانية (نحو: تلميذ وحانوت ودمية) ، واليونانية (نحو : ترس وجنس ودرهم) ، والهندية السنسكريتية (نحو : شطرنج وصندل وفلفل) ، والأكادية (نحو : تاجر وترجمان وهيكل) ، وسواها من لغات العالم القديم .

فلما حل العصر العباسي أضاف المتكلمون بالعربية إلى ما أخذ في الجاهلية وصدر الإسلام ما أرادوا من الدخيل ، فازداد بذلك عدد الألفاظ الدخيلة ازدياداً كبيراً. فأما ألفاظ العلوم والفنون فقد نقلها التراجمة ـ عرباً وغير عرب ـ وهم يترجمون ما نقلوه من ثقافات اليونان والفرس والهنود ، وأما ألفاظ شؤون الحياة العامة التي تشمل ـ فيما تشمل ـ ما يتصل بالأطعمة والأشربة والألبسة والحِرَف فقد أخذها الآخذون عن لغات المسلمين من غير العرب الذين دخلوا في دين الله أفواجاً .

وكان أول احتكاك على نطاق واسع بلغات الغرب في أثناء الحروب الصليبية من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي ، ولكن العربية المتفوقة ـ آنذاك ـ أعطت تلك اللغات أضعاف ما أخذت منها .

ثم شرع بنو عثمان منذ مطلع القرن السادس عشر يفرضون سلطانهم على الأقطار العربية في المشرق والمغرب ، فشغلت التركية مكان الصدارة بصفتها لغة الدولة الحاكمة ، وأخذت الفصحى بالتقهقر لتحل العامية محلها شيئاً فشيئاً .

واتصل العرب منذ أواخر القرن الثامن عشر اتصالاً مباشراً بالحضارة الأوروبية المهيمنة بوساطة المؤسسات والمعاهد العلمية والمدارس التبشيرية التي أقامتها الدول المستعمرة في البلاد العربية ونظائرها التي أنشأتها الحكومات المحلية وخاصة حكومة محمد علي في مصر ، أو في أوروبا نفسها حيث أقبل عليها شباب العرب طلباً للعلم . وكانت الصعوبة شديدة في صياغة الألفاظ العربية المقابلة للألفاظ والمصطلحات الجديدة التي تستحدثها لغات الغرب - وخاصة الإنكليزية والفرنسية - للدلالة على مبتكرات العلوم الحديثة وأنماط الحياة العصرية . ولو نظر المرء في كتابي « تخليص الإبريز » للطهطاوي و « الساق على الساق » للشدياق لوجد ألفاظاً دخيلة ما زال بعضها (نحو : جورنال وأوتومبيل وتلغراف) مألوفاً حتى اليوم .

فهذا موجز لتاريخ الدخيل في العربية الفصحى ، أما تاريخ التآليف الخاصة به فيبدأ بالجواليقي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ صاحب كتاب « المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم »[٥] ، فهذا - فيما أعلم - أول معجم متخصص وصل إلينا في هذا الباب ، جامعاً ما ورد مفرقاً في تصانيف من سبقه نحو : « أدب الكاتب » لابن قتيبة و « الجمهرة » لابن دريد و « تهذيب اللغة » للأزهري و « الصحاح » للجوهري و « فقه اللغة » للثعالبي ، وغيرها . وفيه زهاء ٧٣٠ كلمة منها ١٣٠ لأعلام الأشخاص والأماكن .

وتلاه بعد ذلك بحوالي أربعة قرون السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ مؤلف كتابي « المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب »[٦] و « المتوكلي »[٧] ، فضلاً عن فصل عقده في « الإتقان »[٨] ملخصاً فيه ما جاء في « المهذب »[٩] وباب مطول في « المزهر »[١٠] للمعرّب عامة نقل معظم أمثلته عن المصادر نفسها التي أخذ منها الجواليقي .

ثم وضع الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ كتابه « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » الذي جمع إلى الدخيل - مأخوذاً عن الجواليقي باختصار - الألفاظ المولدة والتراكيب غير الشائعة والصيغ الغربية(١١) .

غير أن مضي هذه القرون لم يرفع مستوى البحث في الدخيل كثيراً لسببين رئيسيين : أحدهما : أن المصادر المأخوذ عنها - وهي مؤلفات المتقدمين - لم تتغير ، مما يعني أن اللاحقين يكررون ما قاله السابقون ؛ والآخر : أن معرفة المؤلفين اللغات الأجنبية المأخوذ عنها - ما عدا الفارسية - كانت ضحلة .

فلما جاء القرن التاسع عشر أخذ الباحثون الغربيون يحاولون حصر الألفاظ الدخيلة من اللغات الشرقية في لغاتهم ، فوضع دوزي وانجلمان Dozy & Engelmann معجماً للدخيل من العربية في الإسبانية والبرتغالية (١٨٦٩)(١٢) ، ووضع دفيك L. M. Devic (١٨٧٦) ثم لامنس H. Lammens (١٨٩٠) معجمين للدخيل من العربية واللغات الشرقية في الفرنسية(١٣) ، ووضع ليفي H. Lewy معجماً للدخيل من الساميات في اليونانية (١٨٩٥)(١٤) ، ووضع ليتمان E. Littmann معجماً للدخيل من العربية واللغات الشرقية في الألمانية (١٩١٩)(١٥) . وتلا ذلك ظهور معجم لوكوتش K. Lokotsch (١٩٢٧)(١٦) الذي جمع فيه الدخيل من اللغات الشرقية في اللغات الجرمانية ، والرومانية ، والسلافية . ومن ينظر في هذه المعجمات يجد أن كثيراً من الألفاظ الفارسية والتركية والسنسكريتية والصينية المذكورة فيها قد سبقت العربية إلى استعارتها ، بل إن طائفة منها وجدت طريقها إلى اللغات الأوروبية بوساطة العربية نفسها .

واعتنى المستشرقون إلى جانب ذلك بالألفاظ الدخيلة في العربية عناية مباشرة ، فبحثوا مجموعة كبرى منها في ضربين من المعجمات : أحدهما عام يشمل الدخيل وغيره كما فعل دوزي في « المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب » (١٨٤٥) ثم

في « تكملة المعاجم العربية » (١٨٨١)[١٧] ، والآخر خاص بالدخيل وحده ، ويمثله : « الدخيل من الآرامية في العربية » لفرنكل A. Fraenkel (١٨٨٦)[١٨] ، و« مباحث عن الدخيل من الفارسية في العربية الفصحى » لصدّيقي A. Siddiqi (١٩١٩)[١٩] ، و « الدخيل في القرآن » لجفري A. Jeffery (١٩٣٨)[٢٠] ، و « الدخيل من السومرية والأكادية في العربية » لسالونين S. Salonen (١٩٧٩)[٢١] ، و « الدخيل من الفارسية في العربية » لأصبغي A. Asbaghi (١٩٨٨)[٢٢] .

ولم يبق هذا الميدان حكراً على المستشرقين الذين بلغوا فيه من النجاح مبلغاً كبيراً بفضل معرفتهم لغات الشرق سامية وغير سامية ، وإجادتهم لغات الغرب الحديثة والقديمة وخاصة اليونانية واللاتينية ، وإفادتهم من مناهج علم اللغة الحديث ـ وخاصة المنهج المقارن ـ في الدراسات اللغوية . وهكذا نهض المشارقة منذ أواخر القرن الماضي بأعباء البحث فيه متخذين مناهج مختلفة تتوزعها ثلاثة مسارات كبرى :

أولها : العودة إلى كتب القدماء لجمع ما فيها من الدخيل وتصنيفه وفحصه ، ويمثل هذا المسار معجم « الألفاظ الفارسية المعرَّبة » لأدي شير (١٩٠٨) ، وفيه زهاء ١٥٠٠ كلمة ، وإن كان كثير منها اليوم مهجوراً في الفصحى والعامية على السواء ، و « المفصل في الألفاظ الفارسية المعرّبة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي » لصلاح الدين المنجد (١٩٧٨) ، ويمتاز بأن صاحبه ذكر لكل لفظ من ألفاظ الأضرب الأربعة المذكورة ـ وهي حوالي ٣٧٥ ـ شواهده، و « دراسات مقارنة في المعجم العربي » للسيد يعقوب بكر (١٩٧٠) ، وفيه دراسة لخمس وخمسين كلمة وردت في كتب المتقدمين[٢٣] . ومن هذا الباب دراسة لأحمد هبو عن « الدخيل في سيرة ابن هشام » (١٩٧٠) تضمنت ٢٢٥ كلمة من الآرامية والفارسية واليونانية والأكادية والحبشية ، وغيرها[٢٤] ؛ وأخرى لطه باقر (١٩٨٠) فحص فيها زهاء ٢٧٥ كلمة من الأكادية والسومرية انتقلت إلى العربية « عن طريق

اللغات القديمة الأخرى كالفارسية القديمة والآرامية والعبرانية ... فوسمتها معجماتنا العربية بأنها فارسية أو أعجمية ودخيلة لأن لغات العراق القديم التي ينبغي تأصيلها إليها قد ماتت من الاستعمال »[٢٥] . ويضاف إليهما كتابان آخران اتخذ صاحباهما أغناطيوس أفرام الأول برصوم (١٩٥١)[٢٦] وأغناطيوس يعقوب الثالث (١٩٦٩)[٢٧] المنهج التقابلي في كلامهما على الدخيل من السريانية في العربية .

وانصرف أصحاب المسار الثاني إلى اللهجات العامية لحصر القسم الدخيل من ألفاظها وبيان أصله وشرح دلالته[٢٨] بغية إحلال الفصيح محله ، فمن أوائل تصانيفهم في ذلك « الدليل إلى مرادف العامي والدخيل » لرشيد عطية (١٨٩٨) ـ وهو خاص ببلاد الشام ـ الذي حدد الدخيل فيه بأنه « ما كان من الألفاظ التي أدخلها المحدثون في اللغة وليست الألفاظ التي عرّبها العرب عن الفارسي وغيره ، وجرى عليها الأئمة في معجماتهم ، كذلك لم نتعرّض لأسماء العلوم »[٢٩] . وقد نهج هذا النهج محمد دياب في « معجم الألفاظ الحديثة » (١٩١٩) ، ومحمد علي الدسوقي في « تهذيب الألفاظ العامية » (١٩٢٣) ، وأحمد عيسى في « المحكم في أصول الكلمات العامية » (١٩٣٩) ، وثلاثتها للهجة المصرية ، وحليم دموس في « قاموس العوام » (١٩٢٣) وعبد العزيز بن عبدالله في « معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية » (١٩٦٤) ، وعون الشريف قاسم في « قاموس اللغة العامية في السودان » (١٩٧٢) وآخرون . على أن بعض الباحثين لم يكن حافزهم استبدال الفصيح بالدخيل ، بل « الاستدلال بما شاع في العربية المحكية من ألفاظ دخيلة على تطورنا اللغوي وعلى مبلغ احتكاكنا التاريخي بسائر الأمم »[٣٠] مسايرة لتغيّر النظرة إلى العامية ، لأن دراسة اللهجات دخلت بعض الجامعات العربية[٣١] وأصبحت فرعاً من فروع الدراسة اللغوية فيها . فمن السبّاقين إلى هذا الاتجاه أنيس فريحة في « معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية » (١٩٤٧)[٣٢] ، وفيه زهاء ٢٥٠ لفظة من الدخيل ، ثم أنيس المقدسي في

مقاله « الدخيل في لغتنا المحكية ودلالته » (١٩٦٣) المتضمن « نحو ٧٥٠ لفظة من الألفاظ الشائعة في كلامنا العامي قديماً وحديثاً »[٣٢] ، وف . عبدالرحيم في مقاله « الكلمات التركية في اللهجات العربية الحديثة » (١٩٦٩ - ١٩٧٠)[٣٤] وفيه ما يزيد على مئتي لفظة مما دخل العربية في العهد العثماني ، وصلاح الدين الكواكبي في مقاله «الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة » (١٩٧٣ - ١٩٧٥)[٣٥] ، وهو قسمان : أحدهما تعليقات على ما ورد في مقال عبدالرحيم المذكور ، وثانيهما إضافات تبلغ زهاء ١٥٠ كلمة .

أما المسار الثالث فمادة البحث فيه - في الأعم الأغلب - لغة الكتابة لا لغة الحديث ، ويبدو لي أن أصحابه تأثروا بما اطلعوا عليه من معجمات خاصة بالدخيل للغات الغرب الكبرى ، ولعل معجم طوبيا العنيسي المسمّى « تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية » (١٩٣٢) من أقدم ما ظهر في هذا الباب وأكثره إحاطة ، إذ جمع فيه مؤلفه « نحو ألف لفظة قد كانت فشت في اللغة العربية قديماً وحديثاً منسابة إليها من لغات مختلفة حيناً بعد حين ... ، مهملاً الألفاظ الفارسية التي لا يستعملها أحد من الكتّاب إذ لا حاجة إليها والعربية بغنى عنها ، أما الألفاظ التركية فينبغي دفنها بتّة وكذلك الألفاظ الفرنسوية والإيطالية والإنكليزية التي تستعملها العامة من غير الحاجة إليها »[٣٦]. ويليه معجم « الدخيل في اللغة العربية » لفؤاد حسنين علي (١٩٤٨ - ١٩٥٠)[٣٧] ، وفيه زهاء ألف كلمة بما فيها أسماء الأعلام والأماكن ، ثم معجم « الكلمات الدخيلة في العربية » لرفائيل نخلة (١٩٦٠)[٣٨] المتضمّن أكثر من ٢٥٠٠ كلمة من الدخيل في مختلف العصور ، فيكون - بذلك - أكثر معجمات الدخيل في العربية الفصحى شمولاً . أما آخر ما ظهر في هذا الميدان فهو معجم ف . عبدالرحيم وعنوانه : « الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها » : (١٩٧٥)[٣٩] ، وفيه زهاء ثماني مئة كلمة من الدخيل في الفصحى والعامية المصرية.

ويتبين من هذا العرض المقتضب(٤٠) أن الدخيل ضربان كبيران : دخيل قديم ودخيل حديث . فأما القديم منه فهو صنفان : أحدهما ـ وهو الغالب ـ ممات أو مهجور لا يحتاج إليه إلا من له صلة بالشعر الجاهلي أو بعض كتب التراث ؛ والآخر أخفى التعريب وطول الاستعمال الأصل الأعجمي لمعظمه ـ وخاصة ما ورد منه في القرآن الكريم ـ بحيث لا يفطن إليه إلا أهل العلم . وأما الحديث فهو ـ كذلك ـ صنفان : أولهما ـ ومصدره التركية ـ زال أغلبه ـ وهو المؤلف من مصطلحات إدارية وعسكرية ـ من الفصحى مع انتهاء العهد العثماني ، ولم يبق من هذا النصف في العامية سوى مئة لفظ أو مئتين(٤١) ، وإن كان المشترك منه بين العامية والفصحى قليلاً كأسماء بعض الأطعمة والألبسة والأدوات ؛ وثانيهما ـ ومصدره لغات الغرب ـ هو الغالب اليوم في الفصحى والعامية على السواء(٤٢) .

وأهم عيوب معجمات الدخيل في الفصحى ـ وهي معجمات العنيسي وحسنين ونخلة وعبدالرحيم ـ أربعة :

أولها : إيرادها كثيراً من الألفاظ المماتة أو المهجورة . ويصدق هذا ـ أكثر ما يصدق ـ على معجم نخلة ، ولعل مرده إلى أنه أغزرها مادة ، فمنها : إبريسم (حرير) وبشتخته (صندوق صغير) وحازر (دقيق الشعير) وخندريس (خمر معتقة) وزُبان (لسان) وشلقاء (سكين) وغيرها كثير .

وثانيها : إغفالها ألفاظاً ذائعة في العربية المعاصرة ، نحو : أدرينالين وأسبست وأسيتون وأكزيما وإكسسوار وإنتربول وأنزيم وأنسولين وأنيميا وأتوقراطية وأورطى وأوزون وأوفست وأوكتان وأونصة وأوم وأيون ؛ فهذه الألفاظ جميعها ـ وهي من حرف الهمزة وحده ـ لم ترد في أي من المعجمات الأربعة المذكورة(٤٣) .

وثالثها : إيراد ثلاثة منها ألفاظاً لا تستعمل ـ فيما أعلم ـ إلا في العامية بالرغم من أنهـا ـ كما ذكر أصحابها ـ معجمات للدخيل في لغة الكتابة وحدها ، نحـو : تخت

(سرير) وتنبل (كسلان) وطاقة (نافذة) وخَبَصَ (خلط) وشطف (غَسَلَ) وفَخَتَ (ثَقَبَ) وفقع (مات) وكاش (نقداً) و لسته (قائمة) ولوكندة ومدموزيل وعفارم وفاميليا ، وهلم جرا ...

ورابعها : إيرادها أسماء الأعلام ، نحو : إبراهيم وإسرائيل وإسكندر وإسماعيل وأسطفانوس وجبرائيل ؛ والأماكن ، نحو : أنطاكية وإيلياء وأناضول وبابل وبغداد .

زد على ذلك أن العربية تعرضت في العقود الأخيرة ـ أي بعد ظهور المعجمات المشار إليها ـ إلى سيل لا ينقطع من الألفاظ والمسميات لما تنتجه آلة الحضارة الغربية في مجالات الحياة كافة ، نحو : دوبلاج ومونتاج ورادار وكمبيوتر ومونيتور وروتين ورتوش وفيديو وفاكس وتلكس وكاسيت وترانزستور وميكروويف ، ومئات غيرها .

فهذا كله يظهر الحاجة الملحة إلى وضع معجم جديد للدخيل في الفصحى المعاصرة يتجنب ما في المعجمات المذكورة من مآخذ ويستكمل ما فيها من نواقص ويتابع جمع الدخيل الحديث من حيث انتهت .

على أن صعوبات متنوعة تعترض وضع معجم خال من العيوب لا يمكن توجيه سهام النقد إليه ، فبعض هذه الصعوبات متصل بالوضع الفريد للعربية ، وبعضها الآخر بتشعب مادة الدخيل ، وبعضها الثالث باتساع الرقعة الجغرافية للغة الضاد بَلْهَ مشكلة الاختلاف في رسم الدخيل ، وإليك بيانها :

أ ـ فللوضع الخاص للعربية مشكلات متعددة :

أولاها : الازدواج اللغوي ، ذلك أن العامية عندنا ليست ـ كما هو الشأن عند غيرنا ـ لغة العامة فحسب وإنما هي لغة المتعلمين والمثقفين جميعاً ، يستعملونها في كل شأن من شؤونهم العامة والخاصة فهي بذلك لغة الحياة ، بل هي لغة الحديث لصفوة المثقفين ـ وفيهم أعضاء مجامع اللغة العربية وأساتذة الجامعات ـ إلا أن يضطرهم المقام لاستعمال الفصحى(٤٤) . أضف إلى ذلك أن هذه العامية

تكاد تكون وحدها في لغة الكتاب وفي لغة الخطاب معاً في بعض المجالات العلمية والتقنية والحرفية حيث يلاحظ طغيان الدخيل (نحو : فيش Fiche وفيوز Fuse وستنسل وفاكس ورادياتر وكاربوريتر ... وغيرها) : فلن يكون الفصل هنا بين الفصحى والعامية أمراً يسيراً .

والثانية : أن قدراً من ألفاظ الفصحى المعاصرة موروث من الفصحى القديمة ، لأن عهود العربية منذ العصر الجاهلي حتى اليوم حلقات متصلة لا يلغي الجديد منها القديم كما هو الحال في الإنكليزية والفرنسية وسواهما من لغات العالم الكبرى . نعم إن العرب اليوم هجروا أو أماتوا كثيراً من الألفاظ التي يجدها المرء في معجمات العربية المطولة وكتب التراث ، بيد أنهم ما يزالون يستعملون - على اختلاف مشاربهم - كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف - فضلاً عن ضروب الأدب القديم - في الكتابة والمحادثة على السواء ، ولا يقتصر هذا على المتعلمين بل يشمل - بنسب متفاوتة - غير المتعلمين أيضاً . فهل يعني هذا أن يرد الدخيل في القرآن - مثلاً - في المعجم المقترح ؟

والثالثة : أن التغييرات الثقافية والاجتماعية والسياسية تؤثر في حياة الألفاظ فتحييها أو تميتها أو تغير دلالاتها قليلاً أو كثيراً . ويصدق هذا على الدخيل كذلك ، ولذا فإن كثيراً منه مما أخذته العربية قديماً (نحو : دسكرة وفالوذج ومرزبان) أو في العهد العثماني (نحو : آلاي وقشلة ونيشان) هجر بانقضاء الحاجة إليه ، ولكن المتعلمين بحاجة - وهم يقرؤون تاريخ أمتهم السياسي والحضاري إلى معرفة دلالة هذه الألفاظ وأضرابها . زد على ذلك أن بعض هذا الدخيل أعيد إلى الاستعمال اليوم بعد أن تغيرت دلالته ، كاستعمال كلمة « دهقان » في حالة الجمع فحسب في مثل قولهم « دهاقنة السياسة » . فأين الحد الفاصل بين المهجور المحتاج إليه والمهجور الممات الذي عفاه الزمن ؟

والرابعة : صعوبة تمييز الدخيل من غيره أحياناً ، فنحن نعلم أن اللغويين القدامى وضعوا لهذا الغرض ضوابط صوتية كتقريرهم أن الجيم والقاف لا تجتمعان في كلمة عربية (نحو : جوسق) وأن الراء لا ترد بعد النون (نحو : نرجس) ؛ وأخرى صرفية ، فليس في العربية ـ كما قالوا ـ وزن فاعيل (نحو: قابيل وهابيل) ولا فعاويل (نحو سراويل) . ثم زاد المحدثون هذه الضوابط تحديداً وتفصيلاً ، ووجهوا اهتماماً خاصاً لما أخذته العربية من أخواتها الساميات ، فمن علامات الدخيل عندهم : أن يكون اشتقاق اللفظة في غير العربية أكثر وضوحاً (نحو : حواري ومنافق ومنبر) ، ودلالة صيغة كتابته في القرآن الكريم أو في المخطوطات العربية القديمة على أنه ليس أصيلاً في العربية (نحو : صلوة وزكوة ومشكوة)، وانعزاله بحيث لا تجد له في العربية أصلاً مؤكداً يرجع إليه من حيث الدلالة نحو : (تاجر وبرهان ومرجان) ، وأن يكون وزنه قليلاً أو نادراً في العربية مألوفاً ذائعاً في غيرها (نحو : فاعول كتابوت ، وتَفعول كتلمود ، وفَعَلوت كملكوت)(٤٥) . وبالرغم من هذه الضوابط وغيرها فإن ثمة ألفاظاً ما زالت عجمتها حتى اليوم موضع خلاف ، بَلْه الخلاف في تحديد اللغة المأخوذ عنها . ويزداد الامر تعقيداً إذا كان اللفظ مشتركاً بين اللغات السامية كلها أو بعضها لأنه يجوز أن يكون موروثاً عن السامية الأم فينبغي ـ عندئذ ـ الاستعانة بالأدلة التاريخية والحضارية لمساندة الدليل اللغوي ، وإلا غدا الزعم بأن هذا من ذاك زعماً قائماً على الظن أو الهوى ، كقول بعضهم باستعارة بعض الألفاظ المشتركة بينها وبين أخواتها الساميات (نحو : سوق وكأس وقفص) .

والخامسة : أن بعض الدخيل عُرِّب وألفه الناس واشتقوا منه ألفاظاً أخر ، فباتوا يحسبونه عربياً أو ينزلونه منزلة العربي حتى أخذوا يحلّونه محلّ الدخيل الحديث من لغات الغرب ، فمن ذلك مثلاً أنهم يتجنبون استعمال كلمة « أوتيل

Hotel » مستبدلين بها كلمة « فندق » دون التنبه إلى أنها هي الأخرى أعجمية. ولو نظر المرء في معجمات الدخيل أو المعجمات ثنائية اللغة لوجد أمثلة على استبدال القديم الدخيل من لغات الشرق بالحديث الدخيل من لغات الغرب (نحو : بوصة بدلاً من إنش ، وإسكفة الباب بدلاً من برطاش ، وجوارب بدلاً من كلسات ، وبطاقة بدلاً من كارت ... وهلم جرا) .

ب ـ والصعوبة الثانية هي تشعب مادة الدخيل وتنوعها ، فالدخيل موزع على مجالات الحياة كلها وحقول المعرفة جميعها ، ولذا يستحسن أن يشارك في وضع المعجم الجديد ـ إن أريد له أن يكون شاملاً ـ أهل الاختصاص في شتى ميادين العلوم والفنون . حقاً قد صدر في العقود الأخيرة عدد ضخم من المعجمات ثنائية اللغة أو ثلاثيتها في الطب والنبات والكيمياء والجيولوجية والاقتصاد والقانون وسواها ، غير أنها جميعها ـ في تأليف معجم للدخيل ـ قليلة النفع ، إذ يجوز أن تبقى المصطلحات العربية المقترحة حبيسة هذه المعجمات دهراً دون أن تنطق بها الألسن أو تجري بها الأقلام ، فلن يستطيع تمييز المستعمل من هذا الدخيل من المتروك منه إلا ذوو الاختصاص .

جـ ـ أما الصعوبة الثالثة فهي اتساع الرقعة الجغرافية التي تستعمل فيها العربية ، إذ هي تتألف من خمس مناطق ثقافية ولغوية كبرى (بلاد المغرب ، ووادي النيل ، وبلاد الشام ، والعراق ، والجزيرة العربية)[٤٦] ، خضعت طوال القرون الماضية لتأثيرات ثقافية ولغوية متباينة ، واتخذ التطور فيها مناحي مختلفة ، فليس غريباً مثلاً أن تكون الغلبة في بلاد المغرب للدخيل من الفرنسية ، في حين هي في الجزيرة العربية لما أخذ عن الإنجليزية . وأغلب الظن أن الدخيل المشترك بين الناطقين بالضاد جميعهم لا يتجاوز طائفة الألفاظ العالمية : (نحو : راديو ورادار وتلفزيون وتلفون وسينما وفيديو وكاسيت وكاميرا وهلم جرا) . وربما يظن

ظان أن وضع معجمات خاصة للدخيل في كل واحدة من المناطق الخمس المذكورة يمكن أن يكون مرحلة تمهيدية لوضع معجم شامل موحد لهذا الضرب من الألفاظ في الوطن العربي كله ، على أن تكون معجمات الألفاظ العامية أو الدخيلة التي ظهرت في مختلف الأقطار العربية خطوة على الطريق لإخراج هذا المعجم المنشود . ولكن حصر الدخيل في هذه الرقعة الواسعة بين دفتي معجم واحد أمر عسير كل العسر لأن الأنظمة الثقافية والاجتماعية والسياسية تتباين فيها تبايناً كبيراً ذا تأثير واضح في نوعية الدخيل وحجمه ومدى انتشاره . ولذا فإن تأليف المعجمات الخمسة سيكون - على الأرجح - هدفاً أخيراً لاهدف بعده.

د ـ وأما الصعوبة الرابعة فاختلاف الرّسم ، أي تعدد الصيغ الكتابية للفظ الواحد . ومرد ذلك في الأغلب - إلى أمرين : أحدهما يرجع إلى اختلاف النطق تبعاً لاختلاف اللغة المأخـوذ عنها ، فبعضهم يأخذ اللفظ عـن الفرنسية وآخرون يأخذونه عـن الإنجليزية ، فضلاً عما أخذ عن اليونانية واللاتينية ، والآخر : عدم الاتفاق على ما يقابل صوائت اللغات المذكورة وبعض صوامتها في العربية. وهكذا يكثر استعمال صيغتين للكلمة الدخيلة ، نحو بلاتو أو بلاتوه تعريباً ل Plateau ، وكاتو أوجاتوه تعريباً ل Gateau ، وغرام أو جرام تعريباً ل Gramme وفسيولوجية أو فزيولوجية تعريباً ل Physiology ، وبرونز أو بُرُنز تعريباً ل Bronze ، وفانيليا أو نيليّه تعريباً ل Vanilla ، وربما زادت الصيغ عن اثنتين ، نحو منجه ومَنجو أو مانجو تعريباً ل Mango وجندول أو غندول أو غندولة تعريباً ل Gondola ، وجليسيرين أو غليسيرين أو جِلسرين تعريباً ل Glycerin .

والحق أن هذه المشكلة قديمة في العربية ، إذ نجد لها أمثلة من الدخيل القديم نحو: جبس أو جصْ ، وآنسون أو أنيسون أو يانسون ، وطيلسان أو طالسان أو طيلس ، وترياق أو درياق أو طرياق أو ترياقة .

وبالرغم من أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر عام ١٩٣٧ قاعدة مفصلة لكتابة الألفاظ الأجنبية بالعربية ، ثم عدلها عام ١٩٦٤ بغية ضبط هذه المسألة(٤٧) فإن توحيد رسم الدخيل بين الأقطار العربية كلها ما زال هدفاً بعيد المنال ، بل إن تعدد الصيغ ضمن القطر الواحد ليس أمراً غير مألوف .

فإن انتقلنا - بعد بيان الصعوبات - إلى وصف المنهج المتبع في تأليف المعجم المقترح ، فهذه - فيما أرى - أهم ركائزه :

أ - ينبغي أن تكون الجمهرة الكبرى من ألفاظه من الدخيل في العصر الحديث في فصحى بلاد الشام مع تأكيد الألفاظ المستعملة في شؤون الحياة العامة ، دون إغفال المصطلحات العلمية والفنية الشائعة بين المتعلمين وعامة المثقفين مضافاً إليها ما يمكن حصره من الدخيل في فصحى مصر وحدها لما لهذا القطر العربي من تأثير ثقافي واضح يشمل الوطن العربي كله ، على أن يكون هذا الدخيل مفهوماً في بلاد الشام وإن لم يكن فيها مستعملاً ، نحو : الطماطم والتورته والانتريه واللوري والتلغراف ... إلخ .

ب - وبالرغم من أن مجال المعجم المنشود هو لغة الكتابة وحدها فإنه لا مفر من ذكر بعض الدخيل المستعمل في العامية إن لم يكن له نظير في الفصحى أو كان هذا النظير ما يزال حبيس المعجمات ولم يأخذ سبيله إلى الاستعمال بعد ، على أن يذكر المقابل العربي المقترح تشجيعاً لاستعماله ، نحو فيش (قابس) وبريز (مقبس) وراديتر (مشع) إلخ ....

ت - أما ما أخذته العربية في العصور السابقة فينبغي غربلته لاستبعاد الألفاظ المماته والمهجورة منه كما يستبعد ما غدا عربي الجرس سواء أكان من أصول سامية ، نحو : زكاة ومنبر وتوبة ، أم غير سامية ، نحو : ياسمين وريحان وبنفسج وفلسفة وجنس ... إلخ .

د ـ ولا مجال لذكـر الألفاظ التي وردت مرة في بعض الروايات والكتب المترجمة ثم وجدت طريقها إلى بعض المعجمات ثنائية اللغة نحو : بيسون Bison (ثور أمريكي) وبونشـو Poncho (عباءة إسبانيـة) وتافرنا Taverne (حانـة إيطالية) . وإلا تضمن المعجم أسماء اللغات والعملات والطيور والنباتات والأدوات والمأكولات ... في شتى أنحاء العالم . فالضابط في إيراد اللفظ هو تكرار استعماله أو شيوعه شيوعاً نسبياً على الأقل .

هـ ـ أمـا الألفاظ التي أخذتها لغات الغرب عن العربية في العصور السابقة ثم أعادتها إلينا في العصر الحديث فسيتضمنها المعجم المقترح لأن التغيير أصاب مبناها أومعناها أو كليهما معاً ، فليس السيروب هو الشراب ، والشّيفرة مختلفة عن الصّفر ، والتّرسانة غير دار الصناعة ، وهلم جرا .

و ـ وتستبعد الألفـاظ الدينية النادرة التي لا يكاد يفهمها سوى أصحاب الدراسات اللاهوتية ، نحو : إردخل (السيد المسيح) وباعوث (صلاة) وبُرشان (خبز القربان المقدس) وجلّيان (سفر الرؤيا) وسنكسار (مجموعة سِيَر القديسين) وساروفيم وكروبيم (ملائكة) .

ز ـ ولا يجـوز ذكر أسماء الأعلام والأماكن إلا إذا كانت دالة على مفاهيم محددة نحو : فهرنهايب Fahrenheit وبريل Braille ووات Watt ، أو صيغ منها مصطلحات ومسميات دخلت نسيج العربية نحو : بوذية ومكيافيلية وبلهارسية وأمْركة وفَرْنسة ... إلخ .

ح ـ كمـا تستبعد التعبيرات المترجمة عن اللغات الأجنبية ، نحو : حصان طروادة ، والطابور الخامس ، والحرب الباردة ، وهجرة الأدمغة ... فلهذا الجانب من تأثر العربية باللغات الأخرى ضرب آخر من التصانيف .

ط ـ وينبغي الالتـزام ـ قدر المستطاع ـ بالقواعد التي وضعها مجمع اللغة العربيـة في القاهرة لنقل الدخيل إلى العربية كي يسهم المعجم في توحيد الصيغ الكتابية لهذه الألفاظ كما فعل أصحاب معجمات اللغات الأخرى(٤٨) .

ي ـ ويعـــزى اللفظ الدخيل إلى اللغة التي يرجح أنه أخذ عنها ، دون الرجـوع إلى أصله الأول إن كان يونانياً أو لاتينياً ، إذ إن مرور الزمن باعد بين كثير من الألفاظ الإنكليزية والفرنسية والإيطالية وأصولها اليونانية واللاتينية سواء في المبنى أو في المعنى ، نحو بانيو Bagno وتراجيديا وفولسكاب ، كما أن دلالة بعض الألفاظ في العصور القديمة تختلف ـ قليلاً أو كثيراً ـ عنها في العصر الحديث ، نحو : أكاديمية وقنصل وكاميرا ، شأنها في ذلك شأن الألفاظ العربية القديمة التي اكتسبت اليوم دلالات جديدة تماماً ، نحو : سيارة وقطار ودبابة . أضف إلى ذلك أن دلالة بعض الألفاظ في مسمياتها اصطلاحية محضة ولا شأن لها باشتقاقها اللغوي البتة ، نحو : سندويش وبنطلون وبلهارسيا . فموضع البحث في هذه المسائل دراسات خاصة بها فضلاً عن أن المعجم المنشود لن يوضع للغويين المتخصصين بل لجمهور المتعلمين .

وبعد ، فلا شك أن تأليف هذا المعجم مهمة المؤسسات العلمية صاحبة الإمكانات العلمية والمادية والفنية كالمجامع اللغوية والجامعات ، فهي كفيلة بتنفيذه على أحسن وجه . غير أنه لا يجوز ـ فيما أرى ـ أن يطول بنا الانتظار فتبقى العربية وحدها دون معجم عصري للدخيل ، بالرغم من أنها سبقت إلى ابتكار هذا الضرب من المعجمات قبل نحو ألف عام . ولذا فقد عزمت على عرض ما لدي في هذا المجال على جمهور القراء كي يغنوه بتقويمهم ونقدهم وإضافاتهم ليمكن ـ بعدئذ ـ إخراج الطبعة الأولى من المعجم المقترح . ثم يصار إلى إعادة النظر فيه بين الحين والحين لإضافة ما يستجد في هذا الباب ، والله المستعان .

الحواشي :

١ ـ انظر « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٦٧ ، ج ٢ ص ٤ .

٢ ـ انظر النوعين الثامن عشر والسابع عشر في « البرهان في علوم القرآن » للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٥٧، وهما يقابلان النوعين السادس والثلاثين والثامن والثلاثين في «الإتقان».

٣ ـ انظر خطبة الجواليقي في المعرّب ص ٤ ـ ٥ ومقدمة محقق الكتاب أحمد محمد شاكر ، و « الإتقان » ص ١٠٦ ـ ١٠٨ و « نصوص في فقه اللغة العربية » للسيد يعقوب بكر ، ج ٢ ص ٢١ ـ ٤٦ .

٤ ـ بعض الألفاظ مختلف في أصله واشتقاقه حتى اليوم . ويلاحظ أن كثيراً من الدخيل من غير الفارسية أو السريانية دخل العربية بوساطة إحدى هاتين اللغتين .

٥ ـ نشره المستشرق زخاو عام ١٨٦٧ ، ثم أحمد محمد شاكر عام ١٩٤٢ ، ثم ف . عبدالرحيم عام ١٩٩٠ مهذباً من نشرة شاكر ومذيلاً بتعليقات ومقارنات لغوية مسهبة .

٦ ـ نشره إبراهيم أبو سكين في القاهرة عام ١٩٦٥ ، ثم سمير حلبي في بيروت عام ١٩٨٨ ونشرته أجود .

٧ ـ ذكره غير واحد من الباحثين مخطوطاً بيد أن جفري قال إنه طبع في القاهرة عام ١٩٢٦ ، كما أشار السيد يعقوب بكر إلى طبعة أخرى في دمشق عام ١٩٢٩ .

٨ ـ « الإتقان » النوع الثامن والثلاثون ، وعنوانه : « فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب » ج ٢ ص ١٠٥ ـ ١٢٠ .

٩ ـ الإتقان ص ١٠٥ .

١٠ـ هو الباب التاسع عشر ، وعنوانه « معرفة المعرّب » ص ٢٦٨ ـ ٢٩٣ في الجزء الأول من المزهر ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ورفاقه ، ١٩٥٨ .

١١ـ نشره محمد عبدالمنعم خفاجي عام ١٩٥٢ ، ثم أخرج منه قصي الحسين عام ١٩٨٧ كتاباً بعنوان « معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل » .

١٢ـ R. Dozy & R. W. H. Engelmann = Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe. 2e édition, 1869

١٣ـ L. M. Devic = Dictionnaire étymologique des mots français d'origine orientale (arab, persan, turc, hebreu, malais), 1876

H. Lammens = Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, 1890.

١٤- H. Lewy = Die semitischen Fremdwörter im Griechieschen, 1895

١٥- E. Littmann = Morgenländische Wörter im Deutschen, 1919

١٦- K. Lokotsch = Etymologisches Wörterbuch der europaischen Wörter orientalischen Ursprungs, 1927

١٧- R. Dozy = Dictionnaire détaillé des noms des Vêtements chez les arabes, 1845 =
---- Supplémment aux dictionnaires arabes, 1881

وقـد شرع محمد سليم النعيمي منذ عام ١٩٧٨ بنقل ثانيهمـا - في أجزاء - إلى العربية بعنوان « تكملة المعاجم العربية » .

١٨- S. Fraenkel = Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen, 1886

١٩- A. Siddiqi = Studien über die persischen Fremdwörter im klassischen Arabisch, 1919

٢٠- A. Jeffery = The foreign vocabulary of the Qur'an, 1938

٢١- E. Salonen = Loanwords of Sumerian & Akkadian origin in Arabic, 1979

٢٢- A. Asbaghi = Persische Lehnwörter im Arabischen, 1988

ولم نذكر إلا المشهور من التصانيف المفردة لهذا الغرض ، أما المقالات والدراسات المنشورة بلغات مختلفة في الدوريات فيضيق المجال هنا عن ذكرها .

٢٣- وفحص في الباب الثالث من كتابـه : « دراسات في فقه اللغة العربية » (١٩٦٩) ص ٨٦ - ١٥٨ طائفة أخرى من الألفاظ الدخيلة .

٢٤- A. Hebbo = Die Fremdwörter in der arabischen Prophetenbiographie des Ibn Hischam, 1970

٢٥- مـن مقدمة كتابه « من تراثنا اللغوي القديم . ما يسمى في العربيـة بالدخيل » ، مطبوعات المجمـع العلمي العراقي . بغداد ١٩٨٠ ، وله طبعة أخرى عنوانها : معجم الدخيل في اللغة العربية والظاهر أنها مصورة عن طبعة بغداد .

٢٦- في كتابه « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١ .

٢٧- في كتابه « البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية » دمشق ١٩٦٩ .

٢٨- قال أحمـد تيمور : تقسم الكلمات العامية من حيث أصولها إلى ثلاثة أقسـام : قسم عربي الأصل وهو الكثير الغالب ، وقسم دخيل من لغات شتى ، وقسم عامي محض لا أصل له أو غاب عنا أصله » انظر : معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية الجزء الأولى ص ١٩ تحقيق حسين نصار ١٩٧١ القاهرة .

٢٩ـ من مقدمة معجمة . وله طبعة أخرى أحدث في سان باولو عام ١٩٤٤ بعنوان : « معجم عطية في العامي والدخيل » ، وهي أغزر مادة ، وأحسن ضبطاً من السابقة . انظر مراجعة لها بعنوان « نظرة في معجم عطية » بقلم مصطفى الشهابي في المجلد الخامس والعشرين (١٩٥٠) من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص ٣٣ - ٤٨ .

٣٠ـ الدخيل في لغتنا المحكية ودلالته لأنيس المقدسي ص ١٨١ المنشور في : البحوث والمحاضرات للدورة ٣٠ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ص ١٧٩ - ٢٣٠ .

٣١ـ ظهرت الطبعة الأولى من كتاب « في اللهجات العربية » لإبراهيم أنيس عام ١٩٤٦ ، وتلا ذلك تأليف لجنة للهجات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣٢ـ أعيد طبعه عام ١٩٧٣ .

٣٣ـ من مقاله ص ١٨٧ وانظر الحاشية رقم ٣٠ أعلاه .

٣٤ـ نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلدان ٤٤ (١٩٦٩) ص ٨٧٥ - ٨٨٣ ، و٤٥ (١٩٧٠) ص ١٤٣ - ١٥٠ و ص ١٧٣ - ٣٧٥ .

٣٥ـ نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلدات ٤٨ (١٩٧٣) ص ٥١٩ - ٥٥٠ ، و ٥٠ (١٩٧٥) ص ٤٨٤ - ٤٩٣ و ص ٧٣٧ - ٧٥٨ ، و ٥١ (١٩٧٦) ص ٢٣ - ٣٢ . وربما كان قوله « العربية الأصيلة » مدعاة للبس لأنه - كعبدالرحيم - قصر كلامه على اللهجات .

٣٦ـ من فاتحة الكتاب .

٣٧ـ نشر خلواً من مقدمة توضح منهجه في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلدات ١٠/٢ (١٩٤٨) ص ٧٥ - ١١٢ ، و ١/١١ (١٩٤٩) ص ٢٧ - ٥٦ و ٢/١١ (١٩٤٩) ص ١ - ٣٦ ، و ١/١٢ (١٩٥٠) ص ٣٧ - ٧٤ .

٣٨ـ هو عنوان الباب الثالث من الطبعة الثانية من كتابه « غرائب اللغة العربية » ص ١٦٩ - ٣٢٢ ، وقد قسمه المؤلف إلى تسعة فصول للغات المأخوذ عنها ، وذيله بفهرس أبجدي موحد .

٣٩ـ كرر فيه الألفاظ التركية المستعملة في العامية التي أوردها من قبل في مقاله المشار إليه في الحاشية ٣٤ . انظر منهجه في ص ٤ - ٥ من مقدمة معجمه هذا .

٤٠ـ لم نذكر هنا ما نُشر في مجلات مجامع اللغة العربية وكليات الآداب و « اللسان العربي » وغيرها، ففيها مقالات كثيرة تناولت الألفاظ الدخيلة بالدراسة .

٤١ـ القول الأول للمقدسي ص ١٨٧ من مقاله المذكور في الحاشية ٣٠ أعلاه ، والثاني مستمد مما ذكره عبدالرحيم وأقره الكواكبي في مقاليهما المشار إليهما في الحاشيتين ٣٤ و ٣٥ أعلاه .

٤٢ـ ظهر في العقدين الأخيرين كثير من معجمات الدخيل في اللهجات ، انظر مثلاً معجماً للدخيل في العامية المصرية وآخر للدخيل في العامية الكويتية في : دراسات لغوية لعبدالصبور شاهين ط ٢ ١٩٨٦ .

٤٣- ربما لم يكن بعض هذه الألفاظ معروفاً زمن تأليف معجمي العنيسي أو حسنين ، ولكنها كانت ، على الأرجح ، مألوفة عندما نشر معجما نخلة وعبدالرحيم .

٤٤- يجعل بعضهم هذا الضرب من العربية لغة ثالثة يسميها « عربية المتعلمين المحكية » ، بيد أن وسمها « بعامية المتنورين » أو « العامية المنقحة » أدل على طبيعتها لأنها لا تخرج عن أن تكون ضرباً من العامية . انظر : قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث لنهاد الموسى ١٩٨٧ ص ٧٩ - ٨٦ .

٤٥- من أكثر المراجع في هذه المسألة إحاطة : مقدمة الجواليقي للمعرب ، والمزهر للسيوطي : فصل « قال أئمة العربية : تعرف عجمة الاسم بوجوه » في الجزء الأولى منه ص ٢٧٠ - ٢٧٥ ، ونصوص في فقه اللغة العربية للسيد يعقوب بكر ١٩٧١ ، ج ٢ ص ٤٧ - ٨٦ ، وأثر الدخيل على العربية الفصحى لمسعود بوبو ١٩٨٢ ص ٧٩ - ١٠٤ .

٤٦- هذا على سبيل التعميم والتبسيط لإيضاح المقصود فحسب .

٤٧- نقلها مصطفى الشهابي في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط ٢ ١٩٦٥ ، ص ١١٧ - ١٢٧ و ١٦٥ - ١٧٤ .

٤٨- تحولت - مثلاً - الصيغ الفرنسية appétit و fabrique و parfum إلى appetite و fabric و perfume في الإنجليزية . ولا يخفى أن هذا غالب وليس مطرداً ، فهناك فروق - مثلاً - بين الإنجليزية البريطانية والإنجليزية الأمريكية ، ولكنها تشمل الدخيل وغيره .

ثبت المراجع العربية*

- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- أثر الدخيل على العربية الفصحى ، مسعود بوبو ، دمشق ، ١٩٨٢ .
- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، أغناطيوس أفرام الأول برصوم ، دمشق ، ١٩٥١ .
- البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث ، دمشق ، ١٩٦٩.
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ، طوبيا العنيسي ، ١٩٣٢ .
- الدخيل في لغتنا المحكية ودلالته ، أنيس المقدسي ، في : **البحوث والمحاضرات للدورة ٣٠ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة** ، ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ، ص ١٧٩ - ٢٣٠ .
- الدخيل في اللغة العربية ، فؤاد حسنين علي ، في : **مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة** ، المجلدات ١٠/٢ (١٩٤٨) ص ٧٥ - ١١٢ ، و ١١/١ (١٩٤٩) ص ٢٧ - ٥٦ ، و ١١/٢ (١٩٤٩) ص ١ - ٣٦ ، و ١٢/١ (١٩٥٠) ص ٣٧ - ٧٤.
- الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها ، ف . عبدالرحيم ، بيروت ، ١٩٧٥ .
- دراسات في فقه اللغة العربية ، السيد يعقوب بكر ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- دراسات لغوية ، عبدالصبور شاهين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- دراسات مقارنة في المعجم العربي ، السيد يعقوب بكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .

* اشتملت حواشي البحث (من ١٢ - ٢٤ ما عدا الحاشية ٢٣) أسماء المراجع باللغات الأجنبية ، فلم أر داعياً لتكرارها في ثبت منفصل .

- الدليل إلى مرادف العامي والدخيل ، رشيد عطية ، ١٨٩٨ .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، الشهاب الخفاجي ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- غرائب اللغة العربية ، رفائيل نخلة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث ، نهاد الموسى ، عمان ، ١٩٨٧ .
- الكلمات التركية في اللهجات العربية الحديثة ، ف . عبدالرحيم ، في : **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** ، المجلدات : ٤٨ (١٩٧٣) ص ٥١٩ - ٥٥٠ ، و ٥٠ (١٩٧٥) ص ٤٨٤ - ٤٩٣ ، و ٧٣٧ - ٧٥٨ ، و ٥١ (١٩٧٦) ص ٢٣ - ٣٢ .
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ورفاقه ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، مصطفى الشهابي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٥ .
- معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، أنيس فريحة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، السيد أدي شير ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل ، قصي الحسين ، طرابلس ، ١٩٨٧ .
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ، الجزء الأول ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧١ .

- المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، الجواليقي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ١٩٤٢ .
- المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي ، صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- من تراثنا اللغوي القديم : ما يُسمى في العربية بالدخيل ، طه باقر ، بغداد ، ١٩٨٠.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، السيوطي ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- نصوص في فقه اللغة العربية ، السيد يعقوب بكر ، بيروت ، ١٩٧١ .

المختار من نوادر الأخبار

المنسوب خطأ لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن شريف بن نجاة المقّري الإبياري

وتحقيق الجزء من

بلوغ الآراب في لطائف العتاب

لأبي عبدالله محمد بن أحمد المقّري (ــ ٧٥٩ هـ)

جد صاحب نفح الطيب

تعليق وتحقيق

د. عبد الرزاق حسين

إن تحقيق التراث ونشره أمانة ، وإن ضبطه وتحريه من الزلل والتحريف والخطأ يحتاج إلى دقة وعناية .

وإذا كان عشقنا للتراث يدفعنا إليه دفعاً ، فالوفاء يدعونا للصبر والبحث والتنقير ، وعندما نستنفد سهام الجهد نعذر فيما لا نستطيع تجليته والوصول إلى حقيقته ، وإلا كنّا أندمَ من الكسعي الذي ظن أنّه أخطأ من حيث أصاب ، فكيف ونحن نظن أننا أصبنا من حيث أخطأنا ؟

بين يدي كتاب « المختار من نوادر الأخبار »

المنسوب خطأ للشيخ أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد المقّري وقد صدر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ، رئيس دائرة العلوم الإنسانية بجامعة مؤتة بالأردن عن مؤسسة الرسالة ودار عمار في طبعته سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

وقبل سنوات كنت مهتماً بموضوع العتاب ، وقد دفعني اهتمامي هذا بالإشارة على أحد طلابي في الدراسات العليا لتسجيله موضوعاً لرسالته في الدكتوراه .

وفي أثناء فهرستي للمخطوطات بعمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، عثرت على نسخة أصلية لمخطوط بعنوان « بلوغ الآراب في لطائف العتاب » فزاد اهتمامي وسروري ، وبدأت أجمع المعلومات والنسخ لهذا الكتاب ، ولكني بعد أن نظرته نظرة شاملة ، وجدت أبوابه لا تلتقي بالعتاب من قريب أو بعيد ، ودققت في فصوله فوجدتها كالتالي :

الفصـــــل الأول : في نجابة الأولاد .

الفصـــل الثانـــي : في فعائل الأجواد من السلف .

الفصـــل الثالـــث : في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف .

الفصـــل الرابـــع : في الحلم وطلب ثمرته والعفو وحسن عاقبته .

الفصـــل الخامـــس : في التخلص من ذوي الأقدار والبلاغة وحسن الاعتذار .

الفصـــل الســـادس : في الوفود على الخلفاء وأهل الكرم والوفاء .

الفصـــل السابـــع : في الحب وأسبابه وما فعل بأهله ومن عني به .

الفصـــل الثامـــن : في سرعة أجوبة الأذكياء النبلاء وعبارات المجودين الفضلاء .

الفصـــل التاســـع : في العجائب والطرف والهدايا والتحف .

الفصـــل العاشـــر : في أخبار ساقها التصنيف ونوادر جرها التأليف .

الفصل الحادي عشر : في أخبار الصالحين وذكر المتقين .

ولما وجدت بُعْدَ الكتاب عن موضع اهتمامي أخَّرْتُ العمل فيه ، لأولـيَّات سبقته ، إلى جانب انتظار وصول بعض النسخ التي كنت أرسلت في طلبها .

وفي أثناء ذلك وقع بين يدي كتاب : المختار من نوادر الأخبار للمؤلف نفسه صاحب كتاب بلوغ الآراب ، وعندما قلبت صفحاته إذا بـي أجـد المـادة نفسهـا وعنوانات الفصول ، باستثناء الفصل الحادي عشر - في أخبار الصالحين وذكر المتقين .

وبدأت أقلب المخطوطات التي بين يدي ، وأراجعها على هذا الكتاب ، وإذا هي هو ،وإذا مخطوطات بلوغ الآراب هي كتاب المختار من نوادر الأخبار .

ثم بدأت رحلة بحث أخرى ، فقرأت الكتاب بأكمله علّي أجد دليلاً واحداً على نسبة الكتاب لمحمد بن أحمد المقّري فلم أعثر عليه ، بل عثرت على دليل ينفي نسبته إليه .

وفي مناهج التحقيق لا يكفي ورود اسم الكتاب ومؤلفه على صفحة العنوان للتدليل على نسبة الكتاب ، والأمثلة كثيرة لا تحتاج لفصل بيان ، فالمعلومات الموهمة قد تضلل في كثير من الأحيان ، وسقوط أوراق العنوانات والتصاقها بكتب أخرى ، وأخطاء المفهرسين ، كلُّ ذلك بل بعض ذلك يحتاج من المحقق التثبت والصبر والبحث الدؤوب .

ثم إني لم أجد المحقق الفاضل يحقق هذه النسبة لا من كتب التراجم أو كتب الفهرسة ، وأنما اكتفى بصفحة العنوان .

وعلى المحقق أن لا يكتفي بذلك ، وإنما عليه العودة إلى الكتاب ليتبين صحة النسبة ، وبخاصة تلك الكتب غير المشهورة ، من خلال أُسلوب الكاتب ، أو اذا أورد ما يتفق وكتبه المشهورة ، وإن لم يجد ذلك ، فلعله ذكر بعض شيوخه ، أو أي حادثة أو خبر تبين هذه النسبة .

أما الضرب في متاهات التخمين والافتراض كما يقول المحقق : « ولعل صاحبنا لم يكن له غير هذا المؤلف » ، ثم يعلق في هامش الصفحة نفسها فيقول : « عثرت له على مؤلف آخر سماه « بلوغ الآراب في لطائف العتاب » فكيف يكون له كتاب واحد طالما أنك عثرت له على كتاب آخر ؟

ويبدو لي أن المحقق لم يطلع على الكتاب الآخر الذي يعد بضع خطوات في الجامعة الأردنية ، ولو فعل لما أخرج الكتاب على هذه الصورة .

الوهم في اسم المؤلف :

أما الاسم الذي وجده المحقق على نسخة الجامع الأموي فهو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إسماعيل بن شريف بن جعفر بن نجاة المقَّري الإبياري .

ثم يعلق في هامش ص ٥ فيقول : « هكذا جاء اسمه في المخطوطة الأصل بخط المؤلف ، وقد جاء اسمه محرّفا في المخطوطات الأخرى »

لا أدري كيف جزم بتحريف الأسماء الأخرى ، ولا أدري أيضا كيف جزم أنها بخط المؤلف ، مع أنه لم يرد ذكر ذلك لا في صور المخطوطات التي عرضها ولا في تحقيق الكتاب .

وإذا كانت جميع المخطوطات التي سأعرض لها بما فيها مخطوطة الجامع الأموي بحلب تتفق على أن الكتاب لمحمد بن أحمد المقري جد صاحب نفح الطيب ، فلا أدري ما الداعي لإثبات شخصية وهمية لم يرد لها ذكر في كتب التراجم القديمة والمحدثة ، وإذا كانت كتب التراجم المشرقية قد سكتت عنها ، فالأولى أن تذكرها كتب التراجم المغربية ، وهذا لم يحدث أيضاً ، ولنفترض أنها أهملتها ، فهل يهملها أحمد بن محمد المقري صاحب نفح الطيب ، على ما يورده المحقق من أنه كان حياً سنه ٧٠١هـ ؟ أي الفترة التي عاشها جد صاحب نفح الطيب المنسوب إليه الكتاب .

وإذا كان الجد هو ناسخ الكتاب على ما سنورده وهو من علماء بلده ، أفلا يعرفه ؟

بالإضافة إلى أن ورود اسم محمد بن أحمد المقري الجد في جميع المخطوطات وكتب التراجم والفهرسة لم يكن دليلاً موثقاً على صحة نسبة الكتاب إليه .

أمر آخر أُنبّه عليه ، وهو أن المحقق عند ما ضاق به الأمر ، ولم يجد إشارةً واحدةً تُعينه في التعريف بمؤلف الكتاب ، حاول عبور ذلك عن طريق التعريف بكل من انتسب

إلى مَقَّرَة فأخطأ مرة أخرى ، حيث عَرَّفَ بمن نُسِبَ إلى القراءة وهو المقرئ بالهمز في آخره ، وأحياناً يسهل فتثبت الياء في آخره .

وممن عَرَّفَ بهم على أنهم منسوبون الى مَقَّرَة ولا علاقة لهم من قريب أو بعيد بهذا النسب هم : ابن المُقْرِي اليمني إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن إبراهيم الشرجي الحسيني الشاوي .

ولو دقَّقَ المحقق لوجد صاحب الأعلام قد ضبط الميم بالضم والقاف بالتسكين[1].

ولو أنه نظر إلى كتابه الشرف الوافي الذي أورده ص٩ ضمن مؤلفاته ، لرأى الضبط والهمزة في آخره بوضوح فوق مؤلِّفِه بما لا يدع مجالاً لِلَبس .

وكذلك ضبط صاحب معجم المؤلفين[2] اسم عبد الرحمن بن محمد النحراوي المقرئ وأثبت الهمزة في آخره ، وينطبق هذا على محمد بن عمر المُقْرِي الأربلي ، ويحيى بن محمد بن يحيى المُقْرِئ البغدادي ، وهذا الوهم الذي وقع فيه المحقق لم يقل به أحد ، وما رأي المحقق الفاضل في كل هؤلاء الذين عُرِفوا بالإقراء ونُسِبوا إليه ، فنظرة واحدة إلى كتب التراجم كتاريخ بغداد أو سير أعلام النبلاء أو تذكرة الحفاظ تعطيك عدداً ضخماً ممن دُعِيَ بالمُقْرِئ ، فهل ستترجم لهم على أنهم من مَقَّرَة من أعمال تلمسان ؟

فمن هو المؤلف الحقيقي لكتاب المختار من نوادر الأخبار وكتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب ؟

---

(١) الأعلام ٣١٠/١ .

(٢) ١٩٣/٥ .

أولاً : المختار من نوادر الأخبار :

نسب هذا الكتاب في كشف الظنون ١٦٢٤/٢ لمحمد بن أحمد المقَّري ، وورد بعنوان : الدر المختار من نوادر الأخبار في هديه العارفين ١٥٧/١ وإيضاح المكنون ٤٤٨/١ ونسباه له ، ولم يرد ذكر هذا الكتاب من مصنفاته في ترجمته التي أوردها له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة ١٩١/٢ - ٢٢٦ أو في الترجمة التي أوردها حفيده في نفح الطيب ٢٦٠/٥ .

أما مخطوطات الكتاب التي اطلعت عليها فهي واحدة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية برقم ٧٥٣٥ وثانية في الظاهرية برقم ٧٨٤٢ والثالثة بباريس برقم ٣٤٩١ .

ولدي مصورات عدة لهذه النسخ بمكتبتي - فكلُّها أجمعت في صفحة العنوان على نسبة الكتاب إلى محمد بن أحمد المقَّري .

أما في داخل المخطوط فقد وجدت الأولى والثانية توردان مقدمة المختار من نوادر الأخبار ، وفي بداية الفصل الحادي عشر في أخبار الصالحين ترد عبارة المقَّري : « لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه ... إلخ » أما مخطوط باريس فترد هذه العبارة في أوّله ، ولو اطلع المحقق الفاضل على هذا المخطوط كما يذكر في مقدمته لكان له رأي آخر في مؤلف الكتاب .

ثانياً : بلوغ الآراب في لطائف العتاب :

نسب صاحب كشف الظنون هذا الكتاب في الجزء الأول ص ٢٥٣ إلى محمد ابن أحمد المقَّري .

أما مخطوطات الكتاب التي اطلعت عليها وفي مكتبتي بعض مصوراتها فمنها مخطوط أصلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ١٦٣٩ وعلى صفحة العنوان : هذا كتاب محمد بن محمد المقَّري وسميته بلوغ الآراب في لطائف العتاب .

ومخطوط تشستربتي برقم ٣١٩٥ ومخطوط دار الكتب الوطنية بتونس برقم ٨٥٩٤ ومخطوط مكتبة الإسكندريـــة وعــنه مصــورة بجامعة أم القرى برقم ٥٨٨ ومخطوط دار الكتب الظاهرية برقم ٤٤٣٧ ومخطوط توبانجن وعنه مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم ٦١٩ .

فكلها أجمعت على نسبة الكتاب على صفحة العنوان إلى محمد بن أحمد المقَّري الذي هو محمد بن محمد بن أحمد المقـري الـذي ورد على صفحـة عنـوان مخطوط جامعة الإمام .

أما إذا دلفنا إلى داخل هذه المخطوطات ففي جميعها البداية الآتية : « قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد المقَّري رحمه الله هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب وسميته بلوغ الآراب في لطائف العتاب » .

وبعد هذه الإشارة يرد قوله : « وأول ما نبدأ به ذكر أبينا آدم .... » وبعد أن ينتهي من ذكره تبدأ فصول كتاب بلوغ الآراب التي هي نفسها فصول كتاب المختار ، وقد وردت عبارة على مصورة مخطوط الجامعة الأردنية تقول : بلوغ الآراب في لطائف العتاب ويسمى أيضا بنوادر الأخبار .

وتمضي فصول الكتاب حتى نهاية الفصل العاشر : في أخبار ساقها التصنيف ونوادر جرها التأليـف ليبدأ بعدها الفصـل الحادي عشر : فـي أخبار الصالحين وذكر المتقين ، وفي بداية هذا الفصل يظهر الدليل واضحاً لا لبس فيه ، ولو دقق المحقق في هذا الفصل الذي اطلع عليه على هامش كتاب « مفيد العلوم ومبيد الهموم » المطبوع في المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٠هـ حيث يقول : « وأضاف فصلاً كاملاً » في ذكر الصالحين وأخبار المتقين ، لم نجد منه سوى ورقتين في النسخ المخطوطة الموثقة لدينا . أقول لو اطلع على هذا الفصل أو على الورقتين المثبتتين في مخطوطاته لجلَّى له الوهم الذي

وقع فيه ، فالمؤلف محمد بن أحمد المقَّري يقول في أول الفصل في جميع النسخ : قال العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد المقَّري : لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه وكان عشرة أبواب ، فأحببت أن يكون أحد عشر باباً ، فختمته بهذا الفصل فيه أخبار الصالحين من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين ، وترد بعبارة أخرى حيث يقول : « وكنت عزمت أن أضع كتاباً يقال له بلوغ الآراب في لطائف العتاب ، وشرعت في طلبه فلما وقع لي هذا الكتاب وأضفت إليه الكراريس المكتتبة من الكتاب المذكور وختمت بها هذا الكتاب » .

وهذه الإضافة من قبل الناسخ محمد بن أحمد المقّري ، شجعت ناسخ مخطوط جامعة الإمام وهو محمد البرلس السعدي الكاتب على إضافة أربعة فصول حيث يقول : « ليكمل الكتاب بالفصل الملحق الذي هو لابن المقَّري الذي ذكره آخر هذا الكتاب خمسة عشر فصلاً ويصير كتاباً جامعاً » .

إذن فالكتاب وقع في يد محمد بن أحمد المقَّري غفلاً من مؤلفه ، فاستحسنه ، وكان قد شرع في تأليف كتاب بلوغ الآراب فأضاف مقدمة الكتاب التي بدأها بذكر آدم عليه السلام ، وهي التي أوقعت المترجمين والمفهرسين في الخطأ ، إذ إنه نص على أنه ألف هذا الكتاب ولم يتتبعوه إذ عدل عن ذلك بعد نسخه لهذا الكتاب .

ولعل ذلك هو الذي جعل ابن الخطيب وحفيد المؤلف لا يشيران إلى هذا الكتاب بين مصنفاته .

أما هذا الجزء الذي قمت بتحقيقه من كتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب ، وهو المقدمة والفصل الحادي عشر في ذكر الصالحين وأخبار المتقين فقد جعلته في مقدمة وفصلين ، ومن خلال اطلاعي على أسلوبه الذي أورد منه حفيده جملة صالحة في كتاب نفح الطيب ، يتضح لك أن هذا الجزء هو لمحمد بن أحمد المقَّري .

فما ورد من إشارته اللطيفة في الفصل الأخير لعلها من كتاب له بعنوان المحاضرات ، حيث يقول المقَّري الحفيد في ذكر مؤلفات جده : « ومنها كتاب المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير[1] » .

ويورد المقري الحفيد من حقائق جده عن تنازع القلب والنفس وهو قريب من منازعة القلب والنفس في إشارته إلى قصة موسى عليه السلام ص ٥ من بلوغ الآراب وفي نفح الطيب ٥/٣٢٦ .

أما ما ورد من كرامات الأولياء والمتصوفة والنوادر والأخبار فتستطيع أن تتبين المشاكلة واهتمام المؤلف بذلك في نفح الطيب ٥/٢٤٢ ، ٢٥٢ .

وقال ابن القاضي المكناسي في جذوة الاقتباس ٢٩٨/١ « ويتكلم في طرق الصوفية وله فيها موضوع » .

وبهذه الأدلة الواضحة يتضح خطأ نسبة كتاب المختار من نوادر الأخبار لمحمد بن أحمد المقري جد صاحب نفح الطيب ، أو ذاك المقَّري المجهول الذي ورد في نسبه بعض الأسماء ، فكان الخلط من زيادة إسماعيل بن شريف بن نجاة ، وهذه الزيادة على اسم المؤلف هي التي أحدثت اللبس والخلط والوهم .

أما الجزء من بلوغ الآراب فهو لمحمد بن محمد بن أحمد المقَّري على الرغم مما ورد من نسبته أحياناً إلى حفيده أحمد بن محمد المقري فبعض المخطوطات نسخت قبل ولادة الأخير بزمن . فإحداها وهي مخطوطة توبانجن نسخت سنة ٩٨٨هـ أي قبل ولادته باربع سنين .

ونسخة تشستربتي نسخت في القرن التاسع الهجري ، إذن فتشابه الأسماء بين الجد والحفيد كان السبب في نسبته في بعض المصادر إلى المقَّري الحفيد صاحب نفح الطيب .

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٢٨٥ .

« ملحوظات على مخطوطات وكتاب المختار »

يقول المحقق إنه اعتمد على ثلاث مخطوطات هي :

١ - مخطوطة دار الكتب المصرية وهذه المخطوطة كما يقول المحقق « وعلى الرغم من قصور هذه النسخة وضياع أجزاء كاملة منها ، فقد عددتها أم النسخ لأنها بخط المؤلف » فإذا كانت هذه صفاتها من اختلال الترتيب وضياع كثير من الأجزاء ، فهي في نظر التحقيق قاصرة عن إعطاء صورة علمية وعملية عن الكتاب ، إلى جانب أن ذكر المحقق أنها بخط المؤلف يحتاج إلى دليل ، فلم يرد ذلك في الكتاب المحقق أو في صور المخطوطات التي أثبتها فيه .

٢ - مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس ، يذكر المحقق أنه اعتمدها في التحقيق ، وعند وصف المخطوطات أعرض عنها صفحاً ، وتحدث عن مصورة لها بالجامع الأموي بحلب ، ولو أنه حقاً اطلع على مصورة باريس لظهر له الحق واضحاً جلياً ، فهي مخطوطة جيدة ، خالية من السقط والخلل ، ومقدمتها تذكر بوضوح قصة كتاب المختار وبلوغ الآراب .

٣ - مخطوطة أخرى عن دار الكتب ، يرى المحقق من خلال المقابلة أنها صورة عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس ، ولا ادري لِمَ وصفها ؟ ولِمَ قابل بينها وبين المخطوطتين السابقتين طالما أنها مكررة ؟

هذه بعض الملحوظات على مخطوطات الكتاب ، أما الكتاب المحقق ، فقد قمت بمراجعته على ما تجمع لدي من مخطوطات ، فتجمعت ملحوظات من سقط واختلاف رواية وتصحيح أوردها كي تكتمل الفائدة .

بيت الشعر الذي ورد في معن بن زائدة ، روايته في المختار ص٧٥

أياجود معن ناج معناً بحاجتي   فمالي إلى معنٍ سواك سبيل

وفي (ش)[1]

أياجود معن ناج عني بحاجتي   فمالي إلى معن سواك شفيع

وفي (ج ، ب) (رسول) بدل (شفيع)

وفي المختار ص٧٦ البيتان اللذان كتبا على دنانير جعفر بن يحيى في عجز البيت الثاني : « إذا ناله معسر يوسر » موافق لما في (ج) وفي (ش) و(ب) (ييسر)

وفي الفصل السادس من المختار ص١٧٠ في خبر الأعرابي مع معن بن زائدة لم يرد هذا البيت في المختار و(ب) (ش) وورد في (ج)

(ونومك في الشتاء بلا غطاء   وأكلك دائما خبز الشعير

فقال أعرف ذلك أيضاً)

ووردت رواية أحد الأبيات في الخبر نفسه في المختار ص١٧٠

ولا أسكن بلاد أنت فيها   ولو خرت الشام مع الثغور

وروايته في (ش و ج) (ولو جزت الشآم مع الثغور)

وفي (ب)

ولا أسكن بأرض أنت فيها   ولو حُزْتَ الشآم مع الثغور

وبه يصح الوزن والمعنى .

---

١ – (ش ، ج ، ب) رموز للمخطوطات المعتمدة في التعليق والتحقيق انظر ذلك ص ١٧٠.

وفي قصيدة عباس بن مرداس السلمي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ورد صدر البيت الرابع في المختار ص١٥١ بالرواية التالية :

« فبلّغ مقالتي للنبي محمد » وروايته في (ب ، ج ، ش) « فمن مبلغ عني النبيَّ محمدا » وهي الصواب .

وفي خبر بكارة الهلالية ودخولها على معاوية ، وفي عجز البيت الثاني ورد في المختار ص١٥٩ أغواك عمرو والشقي سعيداً » والنصب لا وجه له ، وصوابه في (ب ، ش ، ج) (أغواك عمرو والشقيُّ سعيد)

البيت الأخير في خبر العاشق الذي جاء يشكو إلى معاوية ص١٧٨ من المختار روايته :

وليس إلاَّ بربي وبالأمير انتصار

وهذا لا يقوله أعرابي فصيح ، والصحيح ما ورد في (ب ، ش)

وليس إلاّ بربي ثم الأمير انتصار

وروايته في (ج)

وليس للأمر إلاَّ ثم الأمير انتصار

في بداية الفصل الثامن من المختار ص ١٩٣ خبر يقول :

« قال رجل للأحنف أخبرني من أثق به أن أمير المؤمنين الرشيد أمر يحيى بن خالد بهدم إيوان كسرى » والأحنف لا علاقة له بهذا الخبر ، فوفاته سنة ٧٢هـ في زمن حكم مصعب ابن الزبير للعراق ، أي في زمن عبد الملك بن مروان .

والخبر في (ب ، ش ، ج) أخبرني ثقة عنك بسوء . قال : « الثقة لا ينم » ثم يأتي في (ش ، ج) خبر هارون الرشيد : وأمر الرشيد جعفر بن خالد وفي (ب) تقديم وتأخير في الأخبار .

وورد في هذا الفصل خبر عن بشار بن برد في (ج) ولم يرد في المختار والنسخ الأخرى وهو : وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى له نكت ظريفة وأجوبة مسكتة ، وكان ربما حبس شعره إذا أعوزته القافية بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد شعراً قال فيه :

« غَنِّني للقريض يا ابن فنان »

فقيل له : ومن ابن فنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغني البصرة .

قال : وما عليكم منه ؟ ألكُم قِبَلَهُ دين فتطالبونه به ؟ أو ثأر تريدون أن تدركوه ؟

فقالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه .

فقال : هو رجل غنًى لي ولا يخرج من بيتي .

فقالوا له : إلى متى ؟

فقال : منذ يوم ولد وإلى أن يموت .

قال : ثم أنشدني هذه القصيدة :

« ووافاني هلال السما من البردان »

فقيل له : يا أبا معاذ ، إن البردان هذا ليس نعرفه من منازل القمر ولا هو مكان في البصرة .

قال : وما عليكم في ذلك ؟ هو بيت من داري سميته البردان ، أتحتكمون عليَّ في تسمية داري وبيوتها ؟

وورد الخبر التالي في المختار ص٢٠٣ : حملت امرأة يزيد فقالت له ـ وكان قبيح الصورة ـ الويل لك إن كان يشبهك .

فقال لها : والويل لك إن لم يشبهك .

والخبر لم يرد في المخطوطات المعتمدة ، ووردت نهايته في كتب التراث « والويل لي إن لم يشبهني » والخبر عن مزيد المديني صاحب النوادر ، وليس عن يزيد بن المهلب كما جزم بذلك المحقق في هامش الصفحة نفسها .

وفي الفصل العاشر في المختار ص٢٥٨ وردت قصيدة في ثقيل وعدد أبياتها (١١بيتاً) وجاء عددها في (ب ، ج ش) (١٣ بيتاً) والبيتان الساقطان من المختار بعد البيت العاشر هما :

قال : ترى أثقلتكم — قلت : نعم فوق الثقل

قال : فإني راحل — قلت : العَجَلَ ثمّ العجل

ثم ورد بعدها مقطوعة في ثقيل في المخطوطات المذكورة ولم ترد في المختار ، وقيل في ثقيل :

وثقيل قد سمئنا شخصه — مذ رأيناه ملحا مبرما

ثقّل الوطأة في زورته — ثم ما ودّع حتى سلما

ثم ينتهي هذا الفصل في المختار وجميع المخطوطات بحكاية ابنة ملك السوريانية مع أردشير ، ليبدأ الفصل الحادي عشر في أخبار الصالحين وذكر المتقين .

« الجزء من بلوغ الآراب في لطائف العتاب »

(١) التعريف بالمؤلف :

القاضي محمد بن أحمد المقري[1] مؤلف الجزء من بلوغ الآراب في لطائف العتاب : هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقَّري ، يكنى أبا عبدالله ، تلمساني ، قاضي الجماعة بفاس .

مولده بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان ، وقد وقف حفيده أحمد بن محمد المقري صاحب نفح الطيب على تاريخ مولده ، ولكنه أعرض عن ذكر ذلك ، لأنه كما يرى ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه .

وإذا كان السلطان أبو حمو قد وَلِيَ تلمسان والمغرب الأوسط سنة٧٠٧هـ ووفاة القاضي المقَّري سنة ٧٥٩هـ فنستطيع أن نقول : إنه عاش في حدود الخمسين سنة .

أجاد كثيراً من العلوم ، حيث تلقى تعليمه على جلّة من علماء عصره ، عد منهم حفيده أكثر من ثلاثين شيخاً من أفذاذ العصر[2] .

وارتحل ، ولقي الكثير من علماء تونس وتلمسان وأغمات وسبتة ومصر ومكة والشام وبيت المقدس .

وممن لقي بمصر أثير الدين أبا حيان الغرناطي ، وشمس الدين الأصبهاني وشمس الدين بن عدلان ، وشمس الدين بن اللبان ، وأبا محمد المنوفي ، وتاج الدين التبريزي .

---

١ ـ انظر ترجمته في : الإحاطة ١٩١/٢ ـ ٢٢٦ ونفح الطيب ٢٦٠/٥ وجذوة الاقتباس ق ١ ـ ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ودرة الحجال ٤٣/٢،نيل الابتهاج ٢٤٩ ، الديباج المذهب ٢٨٨ ، سلوة الأنفاس ٢٧١/٣ ـ معجم أعلام الجزائر ٣١٢ ، الأعلام .

٢ ـ انظر شيوخه ومن لقيهم في رحلاته في نفح الطيب ٢١٥/٥ ـ ٢٥٤ .

وفي مكة لقي أبا عبدالله بن عبد الرحمن التوزري ، وأبا محمد عبد الوهاب الجبرلي ، وأبا العباس بن رضي الدين الشافعي .

وفي الشام لقي ابن قيم الجوزية ، وصدر الدين الغماري ، وأبا القاسم بن محمد اليماني .

وفي بيت المقدس لقي الأستاذ أبا عبدالله بن مثبت ، والقاضي شمس الدين بن سالم ، والفقيه أبا عبدالله بن عثمان .

أثنى عليه الكثير من الثقات ، فقال عنه الونشريسي : « القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبدالله محمد بن محمد المقَّري التلمساني المولد والمنشأ ، الفاسي المسكن ، كان رحمه الله تعالى عالمًا عاملاً ظريفاً نبيهاً ذكياً فهماً متيقظاً جزلاً محصلاً »(١) .

وللونشريسي كتاب عرَّف فيه بالقاضي المقَّري ، وكذلك ألف أبو عبدالله بن مرزوق فيه كتاباً سماه « النور البدري في التعريض بالمقري » .

وعرف به لسان الدين بن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ووصفه بقوله : « هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة »(٢) .

ويذكر العلوم التي برز فيها فيقول : « يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتهجر بحفظ التاريخ والأخبار والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين : الجدل والمنطق ، ويكتب الشعر مصيباً غرض الإجادة ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ،ويعتني بالتدوين فيها(٣) » .

---

١ - نفح الطيب ٥/٢٠٧ .

٢ - الإحاطة ٢/١٩٤ - ونفح الطيب ٥/٢٠٨ .

٣ - الإحاطة ٢/١٩٥ - نفح الطيب ٥/٢٠٨ .

أما عن رحلاته فيقول ابن الخطيب : « شرق وحج ولقي جِلَّة .. ثم عاد إلى بلده فأقرأ بها . وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان أبو عنان اجتذبه .. وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس »[1] .

مؤلفاته :

له جملة طيبة من المؤلفات وهي :

- القواعد اشتمل على ١٢٠٠ قاعدة في الفقه .
- الطرف والتحف .
- المحاضرات .
- عمل من طب لمن حب .
- شرح لغة قصائد المغربي الخطيب .
- إقامة المريد .
- رحلة المتبتل .
- الحقائق والرقائق .
- شرح التسهيل .
- النظائر .
- المحرك لدعاوى الشر من أبي عنان .

وله كتب لم يكملها منها :

- اختصار المحصل لم يكمله .
- شرح الجمل للخونجى لم يكمله .
- بلوغ الآراب في لطائف العتاب . وقد ذكرنا آنفاً السبب في عدم تكملة هذا الكتاب .

---

١ ـ الإحاطة ١٩٥/٢ .

وله شعر ورد في الإحاطة ونفح الطيب[1] وهو في مجمله يسير على أسلوب الفقهاء والقضاة ، ومن أطول قصائده لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض ، وتقع في مائة وسبعة وسبعين بيتاً ، ومطلعها :

رفضت السَّوى وهو الطهارة عندما   تلفَّعت في مِرطِ الهوى وهو زينتي

ومن نظمه وهي تقترب من أبياته الشعرية التي وردت في المخطوط ، قوله :

إليك بسطتُ الكفَّ استنزلُ الفضـــلا

ومنك قبضت الطرفَ استشعرُ الـــذُّلا

وهأنذا قد قمت يقدمني الرجـــــا

ويحجم بي الخوف الذي خامر العقلا

أقدّم رجلاً أن يضي برقُ مطمـــــع

وتظلم أرجائي فلا انقل الرجــــلا

ولي عثرات لستُ آمل إن هـــوت

بنفسي أن لأستقيل وأن أُصلـــى

فإن تدركني رحمةٌ انتعش بهـــــا

وإن الأخرى فأولـــى بـــي الأولـــى

ومن جيد نظمه قوله :

وَجْدٌ تسعِّره الضــــلُّو   عُ وما تبرِّدُه المدامــــع

هَمٌّ تحرِّكُـــه الصبــــا   بَهُ والمهابةُ لا تطـــاوع

أملٌ إذا وصـل الرجـــا   أسبابَهُ فالموتُ قاطـــع

بالله يا هـذا الهــــوى   ما أنتَ بالعشاق صانـــع

---

١ - ٥/٣٢٨-٣٣٩ .

ونختم بثناء الونشريسي عليه حيث قال :

إذا ذكرت مفاخرُ أهل فـــاس ذكرنا من أتى من تلمســـــانِ

وقلنا هل رأيتم فـــي قضـــاة شبيهاً للفقيه العـــدل ثانــــي

إلى أن قال :

ونفس العلم إن شانت لشخص فمـا للمَقَّري في العلـم شاني(١)

« تعريف بالمخطوطات المعتمـدة فـي التعليق علـى كتـاب المختـار وتحقيـق الجزء من بلوغ الآراب »

اعتمدت في نقد كتاب المختار من نوادر الأخبار والتعليق عليه ، وكذلك تحقيق الجزء من بلوغ الآراب في لطائف العتاب ست نسخ مخطوطة ، إلى جانب النظر في مخطوطات أخرى ، إما من خلال رؤيتهـا فـي بعـض المكتبات أو معرفة تصور عنها من خلال بعض فهارس المخطوطات . إذ عرفت لهـذا الكتـاب ثلاث عشرة مخطوطة ، وسأعـرّف بالمخطوطـات المعتمـدة بإيجاز شديد ، كمـا سأختار بعـض اللقـطات الدالة والمؤيدة لما ذكـرت ، لأن عـرض لقطـات لكـــل مخطـــوط سيضخـم العمـل فيما لا حاجة لنا به .

أولاً : نسخة تشستربتي من بلوغ الآراب برقم ٣١٩٥ وعنها مصورة بجامعة الإمام بالرقم نفسه ، كتبت بخط نسخي دقيق في القرن التاسع الهجري ، والصفحة الأولى ساقطة ، وعلى الورقة الأخيرة تملكات ومطالعات ، الناسخ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل ـ تقع في ٤٨ ل وقياسها ٢٧×١٨,٢سم في كل صفحة ١٥ سطراً .

١ - نفح الطيب ٥/٣٤٠ .

ثانياً : نسخة توبنجن وعنها مصورة بالجامعة الأردنية برقم ٦١٩ كتبت بخط نسخي جيد واضح سنة ٩٨٨هـ برسم أحمد بن الجمالي يوسف العدوي . تقع في ١١٢ ورقة من القطع الكبير في كل صفحة ١٤ سطراً .

ثالثاً : نسخة جامعة الإمام برقم ١٦٣٩ وهي نسخة أصلية ، كتبت بقلم نسخي سنة ١٠٢٠هـ ، وعليها تقييدات وتصحيح ، وبها آثار تلوث ورطوبة ، تنقص صفحة من المقدمة ، وينقصها الفصل الحادي عشر ، تقع في ١٦٣ ل في كل صفحة ١٨ سطراًومسطرتها ٢٠×١٤,٥سم .

رابعاً : نسخة دار الكتب الوطنية بتونس برقم ١٨٤٣٤ وعنها مصورة بجامعة الإمام برقم ٨٥٩٤ ، نسخة كتبت بخط مغربي سنة ١٢١٣هـ بخط محمد الطاوس ، كاملة ، تقع في ٦٧ لقطة في كل صفحة ١٩ سطراً .

خامساً : مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٤٩١ وعنه مصورة بمؤسسة الملك فيصل بالرقم نفسه ، كتبت بخط نسخي جيد كبير مشكول ، تامة ، تقع في ١٦٢ ورقة وفي الصفحة ١١سطراً .

سادساً : مخطوط المختار من نوادر الأخبار ، نسخة أصلية بجامعة الإمام ، كتبت بقلم نسخي على يد عمر بن عمر البدراوي الأزهري في السادس والعشرين من شوال سنة ١١٧٥هـ وبها آثار أرضة ظاهرة ، تامة وتقع في ١٠٨ورقات في كل صفحة ١٧ سطراً ، ومسطرتها ٢١,٥×١٦سم ورقم حفظها ٧٥٣٥ .

« رموز المخطوطات المعتمدة »

١ ـ مخطوط تشستربتي (ش)

٢ ـ مخطوط جامعة الإمام (ج)

٣ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس (و)

٤ ـ مخطوط توبنجن (ت)

٥ ـ مخطوط باريس (ب)

٦ ـ مخطوط نوادر الأخبار بجامعة الإمام (ن)

بعض اللقطات المختارة من المخطوطات المعتمدة

من صور المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله المنعم الكريم ذا الفضل العظيم وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها جنات النعيم وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادي إلى صراطه المستقيم صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأوفر تسليم وبعد فإني لما كنت مولعا بمطالعة كتب المتأدبين مشتغلا بقراءة أخبار المتقدمين وجدت أكثرها يشتمل على قسمين فرغبت أن أجمع منها كتابا مختصرا مشتملا على الحكايات المستجودة والروايات فجمعت هذا الكتاب وجنبته من الإكثار والأغيار وسميته المختار في نوادر الأخبار وجعلته [illegible] ولا مترادفة تشتمل على معان مختلفة

2

لتكون عونا على المذاكرة وتنبيها في حسن المفاكهة والمحاضرة

فليعلم من يطالع فصوله ويفهم أصوله أن يتخلق بخلق رضي أو

ينتمي بسبب زكي أو تشبه بفعل مرضي أو بأدب سني

قال العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد المقري الأنباري

رحمهما الله تعالى لما وقع لي هذا الكتاب أعجبني جدا ولم أعلم اسم

مؤلفه وكان عشر فصول فجعلته أحد عشر فصلا ختمت به

هذا الكتاب وهو أخبار الصالحين من السلف الماضين

رحمة الله عليهم أجمعين وابتدأت فصوله بذكر سيد الأولين

والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرجو بذلك خير

الدنيا والآخرة وبالله أستعين وعليه أتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول في نجابة الأبناء وحسن أجوبة الأذكياء

الورقة الأولى من مخطوط باريس رقم ٣٤٩١

الورقة الأخيرة من نسخة تشستربيتي من بلوغ الأرب برقم ٣١٩٥

[illegible]

الورقة الثانية من مخطوط تشستربتي رقم
٣١٩٥

من قنيته قال لما ملك ازدشير بلاد العجم واستوثق له الامر
وانقادت له ملوك الطوايف • حاصر ملك السودانية
وكان ملكا عظيما متحصنا في مدينة يقال لها اكم وهي من
مدن البرنامات فأقام ازدشير يحاصر المدينة زمانا طويلا
الا انه لم يقدر عليها فاشرفت ابنة الملك يوما تنظر
تنظر الى العسكر • وكان ازدشير شابا حسنا فرأته ابنة
الملك فوقع حبه في قلبها فأخذت نشابة وكتبت عليها
• ان انت شرطت على نفسك ان تتزوج بي دللتك على
موضع تأخذ منه المدينة بأيسر حيلة واخف كلفة ثم
رمت بالنشابة اليه فقراها ازدشير واخذ نشابة
وكتب عليها لك الوفاء بذلك ثم رمى بها اليها
فكتبت له ودلته على موضع في المدينة وعرفته كيف يأتي
اليها وكيف يفعل في دخولها فارسل عسكره الى المكان الذي
دلته عليه ففعل ما قالته ففتح المدينة ودخل اليها على
حين غفلة من اهلها فقتل اهلها وملك المدينة وقتل
الملك وتزوج ابنته كما شرطها وكانت ذا جمال فائق
فبينما هي ذات ليلة على فراشها اذ قلقت قلقا •
شديدا ولم تنم فقال لها ازدشير ما بالك لم تنامي

الليلة قالت تغير مرقدي • واحس بشي يولمني في فراشي

فنظر ازدشير في فراشها فاذا ورق قد اس قد اثر في جلدها

فتعجب ازدشير من رقة بشرتها ونعومة جسدها فقال

لها ازدشير ما كان ابوك يطعمك قالت كان يطعمني الزبد

والشهد والمخ قال لها ويلك فعل بك احد ابلغ من

الكرامة واللطف لك بهذا الحد وكان جزاؤه عندك ما

علمته منك فلست امنك على نفسي بعد اليوم ثم امر بان

يعقد شعرها في ذنب فرس شديد الجري ويطلق فتعلق بذلك

فلم يزل حتى تساقطت اعضاؤها • اخره والله اعلم

ق ف

الحقير العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد المقري

رحمه الله تعالى لما انتسخ هذا الكتاب لم اعرف اسم مؤلفه

وكان عشرة فصول في مسودة • فاحببت ان اختمه بفصل

من اخبار الصالحين وقد كنت عزمت ان اضع كتابا في ال

وبلوغ الارب • في الحكايات العجاب وشرعت في بعضه

فلما وقعت لي هذه المسودة استحسنتها واضفت اليه •

اخبار الصالحين وجعلته فصلا زائدا على العشرة فصول

لعل الله تعالى ينفعنا ببركاتهم • ويدخلنا في زمرتهم انه ولي ذلك

الصفحة الأخيرة من مخطوط جامعة الإمام
وفيها تظهر اعتراف محمد المقري بنسخه
لكتاب المخطوط المجهول المؤلف، وقد
وضعت خطوطا تحت هذا الاعتراف، ليتأكد القارئ
من صحة ما ذهبنا إليه.

الورقة الثانية من مخطوط جامعة الإمام

٢

[illegible] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة [illegible] عن أمارات الريب فيه وأشهد أن محمدًا
عبده ورسوله باسط الشرع وداعيه صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه [illegible] ومنتخبيه
كتاب العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد المغربي
[illegible] من جواهر كل كتاب سميته بلوغ الأرب
ولطائف [illegible] والله تعالى الملهم في ذلك
للصواب والمعين على طلب الثواب [illegible]
[illegible] أبينا آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
إني جاعل في الأرض خليفة [illegible]
[illegible] ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين [illegible] سبحانه لما أراد ظهور
[illegible] المستور أبرز الدر المكنون من الصدف [illegible]
والدر المكنون من قطرة النطفة التي [illegible]
قطرة إنا خلقنا الإنسان من نطفة [illegible]
[illegible]
الأرض خليفة لما أراد الله تعالى إظهار [illegible]
[illegible] بأمين الوحي [illegible] القدس [illegible] بسفير الرسل

هذا أدب جزء أبي محمد ١٦٢٩/

المقري وسميه ١٦٣٩

بلوغ الأرب

في لطايف

العتاب

١٠

نسخة جامعة الإمام برقم ١٦٣٩ف صفحة الغلاف

« مقدمة المؤلف »

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد[1] .

هذا كتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن أحمد المقَّري ابن الأنباري تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته بجاه محمد وآله وصحبه[2] .

الحمد لله الذي ليس له أول يبديه ، ولا آخر يفنيه ، الواحد الذي جل عن التعليل والتسبيب ، وتعالى عن التشبيه والشبيه[3] ، العزيز الذي لا مانع لما يعطيه ، ولا دافع لما يبليه ، ولا راد لما يقضيه ، ولا ناقض لما يمضيه ، ولا مشقي لمن أسعده ، ولا مسعد لمن يشقيه ، ولا مغوي لمن أرشده ، ولا مرشد لمن يغويه ، ولا زاوي لما بسطه ، ولا باسط لما يزويه ، ما تواضع أحد لعظمته إلا ارتفع بين ذويه ، ولم يخب عنده سؤال راجيه ، ولم ييأس من فضل نواله مجتهديه ، فسبحانه من ملك ضلّت الألباب في وصف جلاله ومعاليه ، وتحيَّرت الأفهام في بيداء عز ذاته وفيافيه ، فأصبح العقل متحيراً بين مقاطع الأمر ومباديه ، متردّدا بين خوافيه وبواديه ، فلا المقصود وجهه يريه ، ولا بحر الطلب من مائه يرويه ، ولا نسيم الصبا من سقامه يشفيه ، ولا يد اجتهاده عن سر اعتقاده تحييه .

---

١ - في (ت) بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة . والصفحة الأولى ساقطة من (ش) و(ج) وأثبتها من (و) و (ت) .

٢ - العبارة من : « هـذا كتاب بلوغ الآراب .. إلى وصحبه » من (و) وغير مثبتة في (ت) ولم يرد في نسب محمد بن أحمد المقري نسبة الأنباري .

٣ - في (ت) (الذي جل عن التعليل والتشبيه وتعالى عن النظير والشبيه) .

أحمده على ما يوليه ، وأشكره على ما يصونه ويقيه ، وأشهد[1] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صادرة عن إيمان لا ريب فيه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، باسط الشرع وداعيه ، صلى الله عليه وعلى (خلفائه الراشدين من بعده ، أبي بكر الصديق الذي لم يَنْنِ إلا على الحق ما كان يبينه ، وعلى عمر بن الخطاب ذي العزم الذي لا يهدمه شيء ولا يوهيه ، فالأمن أمن زمانه ، والخصب خصب بلاده ، والعدل عدل سنيه ، وعلى عثمان ذي النورين الذي لم يقترف سيئة ولا تشنيه ، وعلى علي بن أبي طالب سيف الله المسلول على من يناويه ، وعلى المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله ومحبيه[2]) .

قال العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد المقَّري : هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب ، وسميته : « بلوغ الآراب في لطائف العتاب » والله تعالى الملهم في ذلك للصواب والمعين على طلب الثواب .

---

١ ـ من هنا ينتهي السقط في مخطوط (ج) .

٢ ـ ما بين القوسين من (ت) وفي (و) (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والمهاجرين ومحبيه) .

(الفصل الأول

« ذكر آدم عليه السلام »)[1]

وأول ما نبدأ بـه ذكـر أبينـا آدم ﷺ . قال اللـه تعالـى : « إني جـاعل في الأرض خليفة »[2] .

الأحد القائم الصمد ، الكريم جل وعلا ، خلق الإنسان من سلالة من طين[3] ، ثم جعله نطفة في قرار مكين .

أخبر أنه سبحانه لما أراد ظهور هذا المستور ، أبرز الدر المكنون من الصدف المخزون ، والدر المكنون هو قطرة النطفة التي هي من مزرعة الفطرة « إنا خلقنا الإنسان من نطفة »[4] فإن قيل : ما الصدف المخزون ؟ فقل : مشيمة المشيمة .

« إني جاعل في الأرض خليفة » لما أراد الله عز وجل إظهار هذا الدر قال لجبريل : يا أمين الوحي ، يا طائر القدس ، يا سفير الرسـل ، يا عنقاء الوحي على قاف القرب ، يا هزار الفضل على فنن الوصل ، يا مطاعا في مملكتـي ، يا مقدّماً على ملائكتي ، يا أميناً في أداء كلمتي ، يا ناووس طارحة الفلك ، يا طاووس رياض الملك ، انزل إلى الخطة الغبراء ، اهبط إلى هذه النطفة السوداء ، طرْ فـي أطرافهـا ، سـر في أكنافها ، خض في بحارها وأنهارها ، افتح أبوابها ، واعقد أسبابها فـي قبابهـا ، اكشـف عن صحرائها جلبابها ، ميز طينها وطيبها ، برها وبحرها ، سهلها وجبلها ، خذ من ترابها

---

١ - ما بين المعقوفين وضعته لتنظيم الكتاب .

٢ - البقرة آية ٣٠ .

٣ - من هنا ينتهي السقط في (ش) .

٤ - الإنسان آية ٢ .

أحمرها وأصفرها وأسودها وأخضرها ، من كل صفة ذرة ، من كل وظيفة درة ، غربله بغربال الإنسان رش عليه ماء ورد الآمال ، خمّره بيد القدرة ، ثم غطه بغطاء الإرادة ، لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، فإذا بلغ عجين أعجوبة قدرتي حد البلوغ ، ظهر في إنسان له لسان ، « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان »[1] ينطق ببيان .

لو قيل لك : ما الرحمن ؟ قُلْ : الذي خلق الإنسان من ماء مهين ، وجعل نسله نطفة في قرار مكين ، ليعلم أن القدرة كاملة والنعمة شاملة ، خلق آدم بيده يد قدرة لا يد جارحة ، خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً ، ليس عند ربكم لا صباح ولا مساء ، ولا ظلمة ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تراب ولا ماء ، ولا عرش ولا فرش ، خمر طينة خليفته بيد كُنْ ، وأحياه ، وأحياه في صباح فيكون ، « إني جاعل في الأرض خليفة »[2] جعل التراب محراباً ، والصلصال وصالاً ، والسلالة دلالة ، والطينة سكينة ، فلما استوت الجوانب ، وعلت المراتب ، وتقوست الحواجب ، وكلت الآلات ، واستقرت الحالات ، ونجم نجم الإرادة ، وطلع طالع المشيئة وشرف بخلعة الاصطفا ، وتوِّج بتاج الاجتبا ، صار هو الأصل والباقون الفروع ، كلما نظر إبليس إلى جسده وجده أجوف أهيف ، وغدا يقول : ظفرت بهذا الشخص ، وصار لا يتماسك غض البصر عن لطافة قلبه ، نظر إلى كثافة قلبه ، (وقال بلسان كذوب ووجه قطوب : « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»[3]) فلما اجتباه الله واصطفاه صار الإنسي مليكاً ، والترابي فليكاً ، والأرضي سماوياً .

---

١ ـ الرحمن آية ١ ـ ٤ .

٢ ـ البقرة آية ٣٠ .

٣ ـ ما بين القوسين غير مثبت في (ج) . والآية ٥٢ من الأنبياء .

قال لخواص مملكته : « اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس »[1] فكان لمخالفته مطرود الحضرة ، مردود الإرادة ، ممقوت الإزال مخذول الأقوال ، رأس الأبالسة تكبّر واستكبر ، حسد وترصد حين رأى أعلام الخلافة راسخة ، وأوراق (نوريته له)[2] ناسخة ، ففسخ العهد ، وخالف الوعد ، وشمّر كُمَّ العداوة ، كمن في مكمن المكر ، وشهر سيف الشيطنة ، سكن في معالم الانتقام متعرضاً لآدم ، فقال : « أأسجد لمن خلقت طينا »[3] متعرضاً على القدم ، أهذا الذي كرمت علي ؟ صار بالتعريض فاجراً وبالإعراض كافراً ، والحسود لا يسود ، وكانت عينه برمد الحسد مغلولة ، رأت الشراب سراباً والزلال محالاً ، لا جرم أنه انخرط في سلك الفاجرين ، وكان من الكافرين .

فقيل : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة »[4] فلم يزل إبليس يتخيل بمكره ودواهيه إلى أن جرى ما جرى ، فلما مال آدم إلى الأغيار ، أُخرج من الدار ، وأُبْعد عن الجوار ، فتباعدت منه الأشجار ، وهربت منه الوحوش والأطيار ، ونودي :يا آدم بجلّتك وأكرمتك ، وبحوّى زوجتك ولما سواها[5] أبحتك ، صدَّقت إبليس في القسم وهو كذوب متهم ، ثم طاوعت حوّى ، وتركت ما أمرتك به ، فسوف نعلن عليك الندا إلى الأبد على ألسنة الورى[6] « وعصى آدم ربه فغوى »[7] (فناح)[8] آدم وبكى ، وصاح وشكى ،وقال: إلهي حوّى أمرتني ، ويمين إبليس أوقعتني ، ونفسي في الخلود أطمعتني .

---

١ ـ البقرة آية ٣٤ .

٢ ـ (نورقه به) في (ش) وما أثبتناه من (ج) .

٣ ـ الإسراء آية ٦١ .

٤ ـ البقرة آية ٣٥ .

٥ ـ (ولما في الجنة سواها) في (ج) .

٦ ـ (فسوف نعلن عليك على ألسنة الورى) العبارة في (ج) .

٧ ـ طه آية ١٢١ .

٨ ـ (وأعلن) في (ش) وما أثبتناه من (ج) .

فنودي يا آدم ، تم عليك تدليس إبليس ، ألم أخبرك بمكره ، ألم أزجرك من غدره ؟ ألم أقل لك اسكن ، أما علمت أن الساكن ينتظر النقلة ؟ فما هذه الغفلة ؟ يا آدم تركتني ، ونقضت عهدي ، ونسيتني وبالمخالفة كافأتني ، يا آدم ما أنصفتني ، يا آدم اخرج من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني ، يا آدم[1] اخرج من الدار والزم الحرث والبذار ، فنادى آدم واستجار : إلهي من بعد العز والوقار والصيانة والافتخار ، إلى الافتضاح والاشتهار .

يا آدم من مال إلى الأغيار يصلح لصحبة الأبقار ، فطوبى لمن ينظر بعين الاستبصار ، ويتنزه في رياض هذه الأخبار ، (وفرغ قلبه من التعلق بالآثار ، وواقعه علم محبة الملك الجبار)[2].

انظروا إلى آدم كيف خلقه بيده ، وأسكنه جنته وألبسه حلل كرامته لم يذنب إلا ذنباً واحداً أخرجه عرياناً محتاراً ، يستتر بالأشجار ، وهي تنادي : اخرج عنا يا من عصى الله ، فإنه لما عصى نودي بخطاب[3] الإنكار : أحببت حوّى ؟ سوف نفرق بينك وبينها ، وتناولت السنبلة سوف نتعبك في حرث طينها ، وقَبِلْت تدليس إبليس وقد وكلته بغوايتك ، وجعلتها سبباً لفتنتك ، والطاوس عروس فتنتك .

أتظنون أن آدم أخرج من الجنة وحده ؟ ولكن أخرجت معه جماعة ، ونصبت عليهم أعلام الشناعة ، آدم وحوى والحية والطاوس جاسوس البلاء ، فأما آدم فوقع في أرض الهند وجعل إبليس له أكبر ضد ، وحوّى بجدة تطول عليها الوحشة والوحدة ، والحية بسرنديب مقام الهوان والمحن والتعذيب ، والورق جعل لآدم ـ كالمرقعة ، فأما آدم

---

١ ـ (يا محروم) في (ج) .

٢ ـ ما بين القوسين ساقط من (ج) .

٣ ـ (بلسان) في (ج) .

فيبكي على خطيئته وينوح ويهيم في الأرض ويروح ، وحوّى تندب وتنادي ، وتهيم بكل وادي إلى أن اجتمعت بآدم بعرفة فتعارفا ، وذكرا ما فات ، فهبت الريح فجف الورق الذي على آدم ، فاجتمع عليه أربع : دودة ، وذبابة وبقرة وغزالة ، فجاء من الدود الحرير ومن الذباب العسل ، ومن البقر العنبر ومن الغزال المسك ، فالمسك والعنبر يسحقان بالأحجار ، والعسل لا يؤكل حتى يعرض على النار ،والحرير رمي بالإنكار ، وحرم لبسه على الرجال ، وأبيح لأرباب الحجال والنساء والأجناد والأبطال ليذوقوا وبال رشق النبال .

أما الحية فكانت خلقة عظيمة حسنة ، لها شعر كشعر النساء ، ذات حسن وبهاء ، فسلبها[1] الله حسنها وشعرها ورجليها ، وأما الطاووس فكان كالعروس لكنه كان لآدم جلوس فغير الله تعالى خلقة رجليه ، فكان كلما نظر إليهما صاح وذكر فعاله القباح .

وأما بقية السنبلة فعادت من الإكرام إلى أقبح منزلة ، مسجونة في الأرض - والطين ، معذبة بالطحين والعجين ، بعد أن تداس بأرجل الأبقار ولا بد لها بعد العجين من دخول النار .

قال : اصطفق موج بحر القدر عند هبوط (آدم أبي البشر)[2] وإبليس للقضاء والقدر ، فجمع بينهما بواد ممرع أخضر ، فقال آدم : يا إبليس أما كنت مقدم الأشياخ في الصحيفة[3] إلا عليّ وشيخ دويرة العارفين وإمام الملائكة ، تبسط سجادة عبادتك بين يدي قوائم العرش ، وتنظر بثقاب نظرك إلى تخوم الفرش ، شمس ظلالك مشرفة وأغصان عبادتك مورقة ، ونسائم سرورك فائحة عطرة ، فتسابيحك أرج ، وجاهك

١ - (فسخط) في (ج) .
٢ - مابين المعقوفين إضافة من (ج) .
٣ - (الصفيح) في (ش) .

دائما بهج ، السماء بحر أنت درته ، والفلك عقد أنت واسطته ، مطلق التصرف في جميع أقطار الجنة ، تسمع صرير القلم على صفى نقي صفحة اللوح الأعظم ، وأنت في الدلال منعم زمانك كله ، سعيد الظلال وأنت تتيه في خلع الوصال ، فما الذي حملك على إغوائي ، وضربك ظهر عصمتي ، حتى زلّت[1] قدمي ، وسلبت تقدمي ، وسقط تاج شرفي عن مفرقي ، وصديت مرآة جاهي بنفس فوسوس لها ، ويحك يا إبليس أكان بيني وبينك خيفة أثارها الحقد منك علي ، أم فرط رأي أوجب أن تسوقها إلي ، فوالله ما الإساءة بغير جرم إلا طبع اللؤم ، وما الحقد بغير سابقة إلا تعدي إلى الشؤم ، أما ذب خبث كأسك إليك ؟ أمرت بسجدة واحدة فعصيت ، وخرجت عن دائرة العبودية وتعديت ، فهلا جعلتها قطرة من غيث عبادتك المتقادمة ، أو نقطة من بحار طاعتك المتلاطمة ، وقبلت أمراً من أوامره مفترض على الحدود ، ودخلت مع الملائكة في دائرة السجود ؟

فقال إبليس : يا آدم ، أطلت المقال ، وأكثرت الجدال ، الكلام في الفائت شمع في الشمس ، وطلبُ مالا يمكن بدر في السباخ ، وما لا بد منه مستصعب الرد ، ولقد أحسن من قال : إذا نزل الحين عميت العين ، وللقضا أسباب تخترق الحجاب ، يا آدم أنا جوهر الأنوار ، خفاق البسيطة ، متصاعد اللهب ، أنا في كل الشرف لم أزل ، وأنت في الكون لم تكن ، فكان أن هب نسيم جودك من عين « إني جاعل في الأرض خليفة »[2] وتنسمت رائحة روحك « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي »[3] حككت ذهب عقلي ، وعلقته في لهب اختياري ، ورددته إلى كير[4] فضلي ، فتبهرج ذهب

---

١ ـ (أنزلت) في (ش) .

٢ ـ البقرة آية ٣٠ .

٣ ـ الحجر آية ٢٩ .

٤ ـ (كيس) في (ش) وما أثبتناه من (ج) موافق للمعنى .

شانك عندي فقلت : لا تقتضي الحكمة سجود الأعز للأذل وذا لا يليق ، ولم أعلم ما سترة الغيب عني ، ولا ما أراد منك ومني ، فدعني وخلّني من هذه الأفاريط الموجبة لكثرة التخاليط ، لم لا قال في القدم وأنا وأنت في العدم : « إني جاعل في الأرض خليفة »[1] فإن كنت أنت المعنو بالخلافة فكيف تبقى في الجنة ، وإن كنت أنا المعنو بها فكيف أقدر على الإقامة بالسما ، ولو أمكنني أن أجاوب حين قال لي : « ما منعك»[2] لقلت : قضاؤك وقدرك ، لكن يا آدم ، إن كان قد صور في ذهنك أني أكدت لك أسباب الخاطئين فمن أكد لي وكان من الكافرين ، وإن كنت أبلستك حتى وقعت في سهوات « نسي »[3] فمن أبلسني « وإن عليك لعنتي إلي يوم الدين »[4] .

لكن يا آدم قوله « اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما »[5] كان مكررا بقوله : « اهبطوا منها جميعاً »[6] يا آدم جفت الأقلام ، ونفذت الأحكام ، ووقع لقوم الوصال والإحسان ، ولآخرين الطرد والحرمان ، يا آدم من قرّبه السلطان ساعده الزمان ، ولولا السعادة ما رجع الذليل بعد ذله عزيزاً ، ولا عاد نحاس الطين ذهباً إبريزاً ، ومالي ولهذا المقال : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال »[7] .

---

١ ـ البقرة ٣٠ .

٢ ـ الآية « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » من الأعراف آية ١٢ .

٣ ـ الآية ١١٥ من سورة طه « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما » .

٤ ـ ص آية ٧٨ .

٥ ـ البقرة آية ٣٥ .

٦ ـ البقرة آية ٣٨ .

٧ ـ الرعد آية ١١ .

الفصل الحادي عشر

« في أخبار الصالحين وذكر المتقين رضي الله عنهم »

قال[1] العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد المَقَّري رحمهما الله تعالى : **لما نسخت[2] هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه** ، وكان عشرة أبواب ، فأحببت أن يكون[3] أحد عشر باباً ، فختمته بهذا « أخبار الصالحين من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين » ، لعل الله تعالى ينفعنا ببركاتهم ، ويدخلنا في زمرتهم ، إنه على ما يشاء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

وقد كنت عزمت أن أضع كتاباً يقال له :" بلوغ الآراب في لطائف العتاب " وشرعت في بعضه ، فلما وقع لي هذا الكتاب استحسنته ، وأضفت إليه الكراريس المكتتبة من الكتاب المذكور ، ختمت بها هذا الكتاب ، والله أسأل أن يجعل ما نحن فيه لوجهه الكريم ، وأن يجيرنا من العذاب الأليم ، ويهدينا إلى صراطه المستقيم ، إنه هو السميع العليم ، الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى أصحابه أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل[4] .

إشارة حسنة : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ارتدى برد الكفر واعتجر، ونشر أعلام الشرك وأظهر ، وقال : لأقتلن محمداً . والقدر يقول : بعد يا

---

١ ـ (قال الفقير) في (ب ، ن) .

٢ ـ (لما وقع لي هذا الكتاب) في (ب ، ن) .

٣ ـ فأحببت أن أختمه بحكايات الصالحين في (ب ، ن) .

٤ ـ أول خبر يبدأ في (ن) بعد مقدمة الباب الحادي عشر أخبرني أبو يزيد البسطامي .

عمر ، فقد هيئت لك خلع السعادة من ديوان الإرادة ، غلب عليه لجاج فساد المزاج ، وحكيم القدم طبيب الكرم يربى له : طِرْ في نيل الطاء في هاون الهاء[1] .

« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »[2] دخل عمر على أخته وهي تتلو سورة طه ، فقال : صبأت إلى دين محمد ، فاختطف السيف ليقتلها ، فقال : أسمعيني ما تقولين . فقالت : يا عمر ، لست أهلا للسماع ، هذا الكلام يحتاج إلى أهلية صفاء السمع عن كدر الشرك . قال : قولي وإلا قتلتك . قال : فبسملت أخته ، وافتتحت بسورة طه ، فوقع في شبكة « الطاء » لمعت أنوار الهداية من دائرة « الهاء » فخرج متوجهاً إلى المصطفى وقد هيئت له خلع للاصطفا .

طرق باب دار الخيزران ، وقد آن أوان الوصال وحان ، نهض سيد البشر قال : الله أكبر ، جاء عمر ، أكمل الله به الأربعين ، وتوّجه بتاج « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »[3] .

إشارة : لَمّا شرب يعقوب عليه السلام من يد الجهد بكاس البعد صرفا شراب الفراق الأليم ، وابيضت من الحزن فهو كظيم ، أوحى الله تبارك وتعالى إليه يا يعقوب : إن رجعت ذكرت يوسف محوتك من ديوان النبوة ، فعندها عظم حنينه ، وزاد أنينه على

---

١ - انظر إلى أسلوب محمد المقري في الحقائق والرقائق ، في قوله عن عمر بن الخطاب في نفح الطيب ٣٢١/٤ : « صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وأرضى الرحمن ، ففاز بسلامة ، ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك » والخبر من (ش ، ت) وغير مثبت في باقي المخطوطات .

٢ - طه آية ١ ، ٢ .

٣ - الأنفال آية ٦٤ .

ولده وقرة عينه وحبيبه وعونه ، فقال : إلهي وسيّدي . أسألك أن ترسل إليَّ ملك الموت ، فأرسله الله تبارك وتعالى إليه ، فلما مثل بين يديه قال له : يا ملك الموت ، المقتول بالسيف من يقبض روحه ؟ قال : أنا . قال : فالغريق من يقبض روحه ؟ فقال : يا يعقوب ، لعلك تبغي يوسف ، فلما سمع ذكر يوسف صاح : واشوقاه ، يا حسرتاه ،

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا يعقوب ، ما في أحد عشر ولداً مقنع لك عن يوسف ؟

فقال : إلهي ، لم خلقته أحسنهم ؟

قال : عناية به .

قال : إلهي ، أنا مشغوف بتلك العناية لا بتلك الصورة .

إشارة حسنة : اعلم أن موسى عليه السلام لما رفع له علم الأدنى بواسطة اقتباس النار ، وأفيضت عليه ملابس الاصطفا من خزائن الكلام ، شرب حميا كأس ـ التقريب في أرجاء رأس رياسته ، ودبّت عقار الاختيار في مفاصل نخوته ، وهب نسيم الانبساط من قطب صبا صبوته ، فرفع يد مؤانسته ، وطمح ينظر طمعه ، وقال بلسان حاله : انظر إليك . قيل : يا موسى ، الخطرة خطرة ، وإن كانت برائحة اللطف عطرة ، قبل أن تتقدم ، ما هذا الإقدام والإذلال ، وأنت مجبول من طينة الوصال ، يا موسى ، مالم تغسل عن أشلاء حالك درن الأغيار بماء التوبة ، ولم تنظف جثمان قلبك من السكون إلى الأجانب بيد الاستغفار فلست ممن يصل إلى مقصود . يا موسى ، انظر إليّ ، سنة أبيك آدم فاتبعها ، وإلى ملة إبراهيم فاقتد بها ، وما وصلوا إلا بعد الاغتسال بماء الاستغفار ، والتدرع بأثواب الإنابة ، والوقوف بباب التوبة .

فصحا موسى حينئذ من سكرة ، وسكر الخمار يقدح من شراب انبساطه ودالته ، فمرغ خد اقترافه في تراب اعترافه ، فنادى بلسان فاقته « سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين »[1] .

إشارة : يا إخواني ، أطيب الزمان الربيع ، ومن أحسن أزهاره الورد ، وزيارته زيارة ضيف في ليل صيف . لو علم الورد قصر مدته ما تبسم ، بينا هو يبشر من ريحه في شمال البكور نزهة الناظور ، فإذا به في زجاجة الزور . قيل له : لم اغتررَت بزور ؟ كلما أوقدت نار العتاب تحته سال دمعه على تفريطه ، فيا من يؤنسه الأمل ، عمرك كالورد ، واغترارك كضحكة ، فأسل بنار الخوف دمع الأسى على التفريط لتصلح نظرك لطيب الهلوك .

عين بكت من خشية الله لا تمسها النار أبداً . يا هذا ، احم حدة العزم في نار التخويف ، ثم اكو بها عرق حب الدنيا .

في باطن الطبع تجد طعم العافية . امدد يد المعاهدة على الوفا فمزّق بها ثوب الغدر . اجل بصرك ، فكر فيما جنت أيام الجفا يسيل الدمع .

أطيار البلاغة قد خرجت من برج القلب ، فوقفت على غصن اللسان تستريح إلى التغريد ، فأين الطروب ؟ ما كل قميص يردّ بصر يعقوب . انشق قلبك حراق التخويف ، وقد عطست ، أين قلبك يا مسكين ؟ أحسن الله عزاك فيه . ويحك : فِكْرُ القلب في المباحات يُحْدِث له ظلمة فكيف في تدبير الحرام ؟

إذا غير المسك الماء منع الوضوء فكيف ولو ولغ الكلب ؟ دخل موسى وغطى الحق مدينة قلبك ، فوجد فيها رجلين يقتتلان وهما القلب والنفس[2] ، هذا من شيعته وهو القلب .

---

١ ـ الأعراف آية ١٤٣ .

٢ ـ انظر تنازع القلب والنفس في نفح الطيب ٣٢٦/٥ حيث يظهر لك أسلوب محمد المشابه لهذا الأسلوب .

وهذا من عدوه وهو النفس ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه « فوكزه موسى فقضى عليه »(1) فكان قتل النفس سبباً للخروج من قصر مصر الهوى إلى شعب شعيب البقاء ، فحينئذ يعرض عليك العمل ، ويناديك لسان الشريعة : هل لك من بلوغ الأمل على أن تأجرني ، فإن وفيت انقلبت بأهلك إلى وطن الإقامة ،واسترجح في ميزان الفضل التكليم على طور المحبة ، وإن دخلت في حزب فرعون الهوى عرفت خبرك يوم اليم ، فمجلس الذكر ، موسم الربح ينادي النذير بصوت التذكير على سلع النجاة : من يشتري ثوب ثواب ، من يملأ إناء إنابة ، من يبيع دمعة عين بعين ، من يقدم على نقل قدم إلى قدام ، من يشتري معالم التوبة بترك هاوية الهوى ، فلا ينقضي موسم المعاملة حتى يفرغ كيس من كيس .

وأما الغافلون فإنهم يخرجون كما دخلوا فلا أثر ، لكن الشقي مغتر ، كم تعاتب فلا ترعوي ، كم تقوم ولا تستوي ، تتعلق بالتوفيق ولا تحرك قدماً إلى طريق ، تفعل المعاصي بالليل وتتحدث بها بالنهار ، فتكشف عورتك بيدك يا خسيس النفس إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، كم تعصي ويستر ، كم تجني وتغفل ، فقف بين القبور وتأمل كيف حيل بينهم وبين ما يشتهون ، ثم ناد بلسان الاعتبار : أيها القوم ، ما تتمنون ؟ فلو أُذِن لهم في المقال ، لتمنوا ساعة من عمرك ولسان حالهم ينادي : « ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين »(2) .

إشــارة لطيفـــة :

قيل : لما ذهب إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إلى نمرود لعنه الله يدعوه إلى الله عز وجل ، عظم ذلك عليه وجمع أهل مملكته وخواص رعيته ،

1 - القصص آية ١٥ .

2 - الأنعام آية ٢٧ .

وقال : ما تشيرون به في أمر هذا الرجل الذي تجرأ وكسر الأصنام ، وعطل دينها بين الأنام ؟ فقالوا : ما بدا لكم ، فإني راجع إلى أقوال القائلين : « قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين »[1] فعمدوا إلى فلاة من الأرض فاحتفروا فيها حفيراً متسعاً ونادى في أقطار مملكته : ألا من أطاع نمرود فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لإحراق إبراهيم .

فتبادرت إليه العباد من أقطار البلاد ، وأقاموا حولاً كاملاً يجمعون الأحطاب إلى أن غص ذلك الحفير بالأخشاب .

فقال قوم : نكبّله وندعّه في النار ونضرمها عليه ، فأتاهم إبليس لعنه الله ، فقال لهم : أضرموا فيها النيران فإذا أنار لهبها ربما يهوله ذلك فيرجع عن دينه الذي هو عليه ، وصنع لهم المنجنيق ، وقال لهم : إذا أبى فضعوه في كفة هذا المنجنيق وارموه ، فإنه يصعد ويقع في وسط النار وأنتم تنظرون ، فاتخذ النمرود مكاناً مرتفعاً من الأرض مبنياً بالجص وجلس عليه ينظر كيف يحترق إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه ، فلما أضرموا فيها النيران كاد أن يضيء لها مشارق الأرض ومغاربها ، وصعد لهبها الى أن طبّق ما بين الخافقين ، فأتي بإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فلما رأى ذلك نظر يميناً وشمالاً إلى الكفار ، قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »[2] فوضعوه في كفة المنجنيق ورموا به ، فلما صعد في الهواء ضجت ملائكة السموات ، فقالوا : إلهنا وسيدنا ومولانا ، هذا عدوك فعل بخليلك ما ترى .

قال الله تبارك وتعالى : يا ملائكتي أنا اللطيف الخبير ، كلٌّ بعيني ، وأنا على كل شيء قدير . قال الله تعالى: يا جبريل ، أدرك إبراهيم خليلي فسله ما يريد ، فأنا أقرب إليه من حبل الوريد ، فأدركه جبريل وهو صاعد في الهواء ، فقال : السلام عليك يا إبراهيم.

---

١ ـ الأنبياء آية ٦٨ .

٢ ـ الأنعام آية ٧٩ .

قال : وعليك السلام يا جبريل .

قال جبريل : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟

قال : أما إليك فلا .

قال : يا إبراهيم ، سل من إليه حوائجك .

قال : عِلمُه بحالي يغنيني عن سؤالي .

قال الله تعالى : « يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم »(١) فعادت تلك النار جنة نعيم ، وجرت فيها عين من تسنيم ، وفرش له فيها من مهاد الجنة بساط التنعيم ، ونودي بلسان التفهيم : « سلام قولاً من رب رحيم »(٢) وكان من أمره ما كان .

فلما كان ظهور المستور(٣) نوّر إشراق آفاق طلعة بهجة المصطفى سيد المرسلين محمد ﷺ وأينعت أغصان الإسلام ، وأثمرت وبزغت في ليل الشرك شمس الأنوار وظهرت ، ولد سيد البشر ، وشوهد بين البرية وظهر ، وبلغ أشده واستوى ، وقد رث سجل الطغيان وانطوى .

أتاه المطوّقُ بالنور جبريل ، وقال : يا محمد أجب الملك الجليل ، فقد أتيتك بالبراق لتعلو عليه ، وأنا في ركابك إلى السبع الطباق ، فقد دعاك إلى حضرته(٤) الملك الخلاق ، فوضع ﷺ قدماً بالمسجد الحرام والثاني بالمسجد الأقصى والثالث بأعنان(٥)

---

١ ـ الأنبياء آية ٦٩ .

٢ ـ يس آية ٥٨ .

٣ ـ (فلما كان أوان ظهور المستور) في (ب) .

٤ ـ (لحضرته) في (ب) .

٥ ـ (بعنان) في (ب) .

السماء ، فتقدم[1] وصلى بالأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم اخترق السموات[2] سماء بعد سماء حتى انتهى إلى عرش الاستوى ، فاخترق الحجب والأستار حتى سمع صرير القلم على نقي صفحة اللوح الأعظم ، فوقف جبريل عليه السلام ، فقال له سيد البشر محمد ﷺ : يا جبريل ، ما بالك تركتني ؟ فقال : يا سيد ولد آدم ، يا أكرم الخلق على الله ، تقدم وذرني فهذا مكاني ، متى تقدمت مقدار ذرة أحرقتني أنوار الهيبة وشعاع العظمة ، وما منا إلا له مقام معلوم يا من أدناه الملك القيوم .

فلما هم المصطفى ﷺ أن يتقدم ويترك جبريل ، نادى : يا جبريل ألك حاجة نيابة عن أبي إبراهيم الخليل ، يعني يا أمين الوحي . يا واسطة عقد الفلك ، يا سيد الملائكة المقربين ، أنت كنت نزلت إلى أبي إبراهيم حين رمته الأعداء وهو بين السماء والفضاء ، وأنت ناج من القضاء ، وقلت له : ألك حاجة ؟ قال : ألك أنت حاجة يا جبريل في هذا المقام الجليل ؟ .

فقال جبريل بلسان الاعتراف : نعم ، لي حاجة يا أحسن الأوصاف ومعدن الإنصاف .

قال : ما هي يا جبريل ؟

فقال : يا محمد تسأل ربك سبحانه وتعالى أن يأمني مكره ، فتركه سيد المرسلين وتقدم إلى مكان لم يصل اليه نبيّ مرسل ولا ملك مقرب ، فابتدأه بالتحية والسلام ذو الجلال والإكرام « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى »[3] .

---

١ - (عليه الصلاة والسلام) في (ب) .

٢ - (السبع) في (ب) .

٣ - النجم آية ٨، ٩، ١٠ ، وورد في (ب) فدنوت ثم تدليت حتى كنت كقاب قوسين أو أدنى « فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى » .

شعر لمحمد بن أحمدالمقري مؤلفه وناسخه :

سما سماءً جـــاز[1] حتى انتهــــــى
إلى حضرة تالله كان لها أهـــــــلا

وداس بساط العـــــز واخترق العـــلا
وما صعق الهادي ولا خلع النعـــــلا

وأقسم بالله العظيم لقــــد وعـــــا
من الله أسراراً يفوق بها المـــــــلا[2]

قال : يا رب ، أمتي

قال : يا حبيبي يا محمد ، اعلم أني قد مننت على أمتك بثمانية أشياء لم أمن بها على أحد مـن الأمـم :

أولهـــا : أني لم أخلق خلقاً في السماء ولا في الأرض أكرم عليَّ منك .

الثانـــي : أن مائة ألف نبي . وأربعة وعشرون ألف نبي مشتاقون إليك وإلى أمتك .

الثالـث : أني لم أعط أمتك الكثير من الأموال مثل من سبق من الأمم لئلا يطول عليهم الحساب يوم القيامة رحمة وشفقة .

الرابـع : أني لم أعط أمتك القوة مثل الأمم السالفة بالأموال والأولاد حتى كفروا وجحدوا نعمتي .

الخامـس : أني لم أطول أعمارهم فتجمع عليهم الذنوب .

---

١ ـ ساقطة من (ت) .

٢ ـ (الرسلا) في (ب ، ت) .

السـادس : أني لم أعاقب أمتك عند كل ذنب كما عاقبت بني إسرائيل .

السابـع : أني أخرجتهم في آخر الزمان وآخر الأمم حتى لا يطول مكثهم تحت التراب .

الثامـن : أني لم أفش سرهم وأخبارهم إلى أحد من الأمم السالفة كما أفشيت سر الأمم وأخبارهم إليك وإلى أمتك ، وأنه ليس بعدك نبي ولا قرآن ، وهذا كله رحمة لهذه الأمة ببركتك يا محمد صلى الله وسلم عليك .

قال : يا رب ، عبدك جبريل سألني أن أسألك أن تأمنه مكرك ، فلم يسمع جوابا . فلما رجع سيد البشر محمد ﷺ ، قال له جبريل : يا رسول الله ذكرت من أمري شيئاً ؟

قال : بلى يا جبريل ، سألت ربي في أمرك فلم أسمع جواباً .

فقال جبريل : يا رسول الله ارجع إلى الله عز وجل وعاوده في ذلك ، فما رأيت خلقاً أكرم على الله منك يا محمد ، فعندما رجع المصطفى إلى الملك الأعلى ، فقال : يا رب جبريل سألني أن أسألك أن تأمنه مكرك .

فقال الله عزوجل : يا محمد ، قد أمنته مكري .

فعاد رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه الصلاة والسلام فرحاً مسروراً فقال : يا جبريل ، قد أجابني ربي عزوجل وأمنك مكره .

فقال جبريل : يا رسول الله اعلم أنك لما رجعت المرة الثانية إلى الله عزوجل هبطت إلى الأرض في طرفة عين فوجدت الحسن والحسين نائمين ، فوضعت جناحي اليمين على الحسن والآخر على الحسين ، قلت : اللهم بحرمتهما عندك آمني مكرك ، فاستجاب الله لي ببركتك وبركة سبطيك صلى الله عليك (وللمؤلف بقية الأبيات)[1].

---

١ ـ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) .

شعـــــــر :

وعاد إلى أرض الحجاز وقد مضـــــــى

من الليل ساعات وما استغرق الكــــلا

وجاءت إليه الإنــس والجــن وانثنـــت

متابعة الشيطان في لهـــب تصلـــى

وأصبح والأكوان كلاً بحكمـــــــــه

أطاع له الآفاق والوعر والسهــــــــلا

وماذا عسى فيه أقـــــول وإنـــــــه

أجل ومن ذا يحصر القطر والرمـــــلا

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أتى يوماً لصلاة العصر مع رسول ﷺ ، فوجد النبي ﷺ قد صلّى ، فقعد حزيناً في آخر المسجد لما فاته صلاة العصر مع رسول الله ﷺ ، فبقي متفكراً ، وإذا بجبريل عليه الصلاة والسلام قد هبط على النبي ﷺ فقال : إن الله خلقني قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، وكنت في علم الله سبحانه أسبح الله تعالى وأقدسه ، فبينما أنا على تلك الحال إذ مرت قبه بيضاء من نور . فجعلت تمر من السحاب ، وإذا بصوت منها يقول : أحد أحد ، فقلت : يا رب ، ما هذا ؟ خلقاً خلقته قبلي أم خلقاً تخلقه بعدي ؟

قال الله تعالى : هو خلق أخلقه في آخر الزمان نبي اسمه محمد .

فقال : يا رب اجعلني سفيراً بينك وبينه .

قال الله تبارك وتعالى : قد جعلتك سفيراً بيني وبينه .

فبينما أنا كذلك ، وإذا بقبة تتلوها تمر مع السحاب ، وإذا بصوت منها يقول : صدق .

فقلت : من هذا يا رب ؟ أخلقاً خلقته قبلي أم خلقاً تخلقه بعدي ؟
قال الله تبارك وتعالى : هو خلق أخلقه في آخر الزمان .
فقلت : يا رب ، من هذا الخلق ؟
قال الله تبارك وتعالى : رجل من أمة هذا النبي ﷺ يكون أول من يصدقه ، اسميه الصديق .
فلما بعثك الله يا رسول الله ، أقام أبو بكر ينتظرك من قبل بعثتك بأربعين سنة ، فلما بادر إليك وصدقك ، فكان يستحق أن تصبر عليه ساعة حتى يصلي معك العصر ، وينال من فضلك وبركتك، صلى الله وسلم عليك .

ذكر أولياء الله تعالى رضي الله عنهم :

حدثنا عن الخضر عليه الصلاة والسلام أنه قال : كنت بصنعاء في مجلس عبد الرزاق[1] أسمع منه ، فنظرت إلى شاب منفرد ناحية فقلت له : لم لا تحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع ؟
قال : قد سمعت من الله عز وجل .
فقلت له : من (أنت)[2] .
قال : الخضر .
ثم غاب عني ، فلم أقدر أن أراه .
وقيل لأبي يزيد البسطامي[3] : بلغت جبل قاف ؟

---

١ - عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء ، له الجامع الكبير في الحديث ، توفي سنة ٢١١هـ .
انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠ ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٦ ونكت الهيمان ١٩١

٢ - (أنا) في (ش) .

٣ - هو طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، نسبته إلى بسطام بلده بين خراسان والعراق ووفاته بها سنة ٢٦١هـ .
انظر ترجمته في حلية الأولياء ١٠/ ٣٣ والأعلام ٣/ ٢٣٥ وطبقات الصوفية ٦٨ - ٧٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣١ .

فقال : بلغت جبل قاف وجبل هار وجبل عين ، وهذه جبال محيطة بالأرضين السفلى ، حول كل أرض ثانية وثالثة ورابعة جبل محيط بها لحيطة جبل قاف بهذه أرض الدنيا ، وهو أصغر الجبال . وهذه الأرض أصغر الأرضين ،وهو جبل من زمردة خضراء ، والسماء مقببة عليه ، ويقال : ليس بينه وبين السماء إلا أربعين فرسخاً ، وإن خضرة السماء من خضرته ، وإلا فهي بيضاء كالفضة ، ولكن لشدة صفائها وتلاليها واخضرار الجبل وقربه منها فتلألأت واخضرت .

وكان أبو محمد يخبر أنه صعد على جبل قاف ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه .

وقيل : كان لله عزوجل وليّ بالبصرة يرفع رجليه وهو قاعد فيضعها على جبل قاف ، فالدنيا كلها خطوة المؤمن .

وذكرأن ولياً من أولياء الله تعالى احتاج إلى مصباح ، فرفع يده إلى القمر فاستصبح منه نوراً في فتيلة كانت معه .

وبعضهم كوشف بالهلال في أول ليلة فرآه مستديراً كما تراه ليلة أربع عشرة ، فإنه رفع الغطاء المحجوب .

وبعضهم رأى الشمس نصف الليل وهي تسير في عرض الفلك ، لأنها تقطعه ليلاً عرضاً كما تقطعه نهاراً طولاً ، فسبحان الملك القدير .

قال يحيى بن معاذ[1] : صليت مع أبي يزيد رضي الله عنهما عشاء الأخرة فلما فرغ من صلاته استوى على صدر قدميه رافعاً اخمصهما مع عقبيه عن الأرض خارجاً بدنه على صدره ، شاخصاً بعينيه إلى السحر ، فسجد طويلاً عند الفجر ثم قعد ،

---

١ - يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، أبو زكريا ، واعظ زاهد ، من أهل الري ، مات في نيسابور سنة ٢٥٨هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١٨٣/٦ وتاريخ بغداد ٢٠٨/١٤ والأعلام ١٧٢/٨.

وقال : اللهم إن قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوى ، فرضوا بذلك ، وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم للأعيان ، فرضوا بذلك قال : حتى عدّ ستة وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ، ثم التفت فرآني فقال : يحيى ؟ قلت : نعم يا سيدي .

قال : مذ متى أنت ها هنا ؟

قلت : منذ حين .

فسكت .

فقلت : يا سيدي ، حدثني بشيء .

قال : أحدثك بشيء يصلح لك .

قلت : نعم .

قال : أدخلت في الفلك الأسفل وقد زوى الملكوت فأرني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ، ثم أدخلني الفلك الأعلى فطفت في السماوات ، وأراني فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه ، قال : سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك .

فقلت : يا سيدي ، ما رأيت شيئاً استحسنه فأسألك إياه .

فقال : أنت عبدي حقاً ، تعبدني لأجلي صدقاً ، لأفعلن بك ولأفعلن بك ، وذكر أشياء[1] .

فقال ابن معاذ : فهالني ذلك ، فامتلأت وعجبت منه ، فقلت : يا سيدي يقول لك ملك الملوك : سلني ما شئت . هلا سألته المعرفة به ؟

---

١ ـ انظر ما جاء في كرامات أبي يزيد في حلية الأولياء ١٠/٣٣ .

قال : فصاح بي صيحة ، قال : اسكت ، فإني غرْت عليه حتى لا أحب أن يعرفه سواي .

قال أبو طالب المكي[1] رحمه الله : روينا في أخبار وهب بن منبه اليماني[2] رحمه الله ، قال : أوحى الله عز وجل إلى داود أنك تكثر مسألتي ولا تسلني أن أهب لك الشوق .

قال : يا رب ، وما الشوق ؟

قال : إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني وأتممتها بنور وجهي ، فجعلت أسرارهم موضع نظري إلى الأرض ، وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إلى عجائب قدرتي ، فيزدادون في كل يوم شوقاً ، إني أدعو ملائكتي ، فإذا أتوني خَرُّوا لي سجداً ، فأقول : إني لم أدعكم لعبادتي ارفعوا رؤوسكم أريكم قلوب المشتاقين إلي ، فوعزتي وجلالي إن سماواتي لتضيء من نور قلوبهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا .

قال أبو طالب المكي رحمه الله : حدثونا أن رجلاً في بني إسرائيل عصى الله عز وجل مئتي سنة ، في كلها يتمرد ويتجرأ عليه ، فلما مات أخذ بنو إسرائيل برجله فألقوه على مزبلة ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن اغسله وكفنه وصل عليه في جميع بني إسرائيل ، ففعل ما أمر به ، فعجبت بنو إسرائيل من ذلك وأخبروه أنه لم يكن في بني إسرائيل أعتى على الله منه ، ولا أكثر معاصي منه ، فقال : قد علمت ، ولكن الله عزوجل أمرني بذلك .

قالوا : فسل ربك عز وجل .

---

١ - هو محمد بن علي بن عطية الحارثي ، واعظ زاهد فقيه ، من أهل الجبل ، نشأ واشتهر بمكة ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال ، له (قوت القلوب) في التصوف توفي سنة ٣٨٦ هـ .
انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٠٣/٤ تاريخ بغداد ٨٩/٣ الأعلام ٢٧٤/٦ .

٢ - انظر ترجمته : وهب بن منبه في حلية الأولياء ٢٣/٤ .

فسأل موسى ربه عز وجل ، فقال : يا رب قد علمت ما قالوا ، فأوحى الله عز وجل إليه أن قد صدقوا ، قال الله عز وجل : قد عصاني مئتي سنة إلا انه يوماً فتح التوراة فنظر إلى اسم محمد فقبّله ووضعه على عينيه ، فشكرت ذلك له ، فغفرت له ذنوب مئتي سنة .

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : كنت مؤاخياً لأبي لهب مصافياً له ، فلما مات وأخبر الله عز وجل عنه بما أخبر ، حزنت عليه ، وأهمّني أمره ، فسألت الله عز وجل حولاً (كاملاً)[1] أن يرينيه في المنام ، فرأيته جمرة تلتهب ناراً ، فسألته عن حاله ، فقال : صرت في النار في العذاب لا يخفف عني إلا ليلة الاثنين دون كل الليالي والأيام ، فإنه يرفع عني العذاب .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : ولد محمد ﷺ في تلك الليلة ، فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ، ففرحت بمولده ، وأعتقت وليدة لي فرحاً مني ، فأثابني الله عز وجل بذلك أن رفع عني العذاب في ليلة كل اثنين لأجله ﷺ .

وقال أبو كبشة الأنصاري[2] رضي الله عنه : الناس أربعة رجال : رجل أتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله ، فيقول رجل : لو أتاني الله عز وجل مثل ما أتاه الله عز وجل لعملت بعمله ، فهما في الأجر سواء ، ورجل أتاه الله عز وجل مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله ، فيقول رجل : لو آتاني الله عز وجل مثل ما أتاه لعملت كما يعمل ، فهما في الوزر سواء . ألا ترى كيف شركه بحسن النية في محاسن عمله ، وشركه الأخر بسيئ النية في مساوئ عمله .

---

١ - إضافة من (ب) .

٢ - مولى رسول ﷺ ، من أهل الصفة ، صحابي ، اسمه سليم من مولدي أرض دوس ، انظر ترجمته في حلية الأولياء ٢/٢٠ والطبقات الكبرى ٣/٤٩ .

وقال أنس بن مالك[1] رضي الله عنه : لما خرج رسول ﷺ في غزوة تبوك ، قال: إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطناً يغيظ الكفار ، ولا نفقنا نفقة ولا نصبنا منصباً إلا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة .

قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا .

قال : حسبهم العذر . فيشركونا[2] بحسن النية .

وحدثونا عن رجل رؤي بعد وفاته يُسأل : كيف رأيت أعمالك ؟

فقال : كل شيء عملته لله عز وجل وجدته ، حتى حبّة رمان التقطتها من طريق ، وحتى هرة ماتت لنا ، فرأيت ذلك كله في كفة الحسنات . قال : وكان قد مات لي حمار قيمته مئة دينار لم أرله ثواباً ، وفي قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات . (فقلت : أين ثواب حماري ؟)[3] .

فقيل : قد وجه بالحمار حيث بعثت به ، لأنك قلت ـ لما قيل لك : مات حمارك ـ إلى لعنة الله ، فبطل أجرك ، ولو قلت : في سبيل الله لوجدته في حسناتك .

وقال رسول ﷺ : إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ، الأخفياء الأتقياء ، الذين إن شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، تعرفهم بقاع الأرض ، وتحف بهم ملائكة السماء ، نعم الناس بالدنيا ، ونعموا

---

١ ـ خادم رسول الله ﷺ ، شهد بدراً صغيراً ، وشهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات فيها . انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ١١٢/١ رقم الترجمة (٢٧٥) وسير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣ وصفة الصفوة ٧١٠/١ .

٢ ـ (فشاركونا) في (ب) .

٣ ـ إضافة من (ب) .

بالآخرة ، افترش الناس الفرش ، وافترشوا الجباه والركب ، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم . تبكي عليهم الأرض إذا فقدتهم ، ويسخط الله عز وجل على بلدة ليس فيها منهم أحد ، لم تكالبوا على الدنيا تكالب[1] الكلاب على الجيف ، أكلوا الفلق ولبسوا الخرق ، شعثاً غبراً ، تراهم الناس بهم داء وما بهم داء ، ويقال : قد خولطوا وذهبت عقولهم ، وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر أذهب الله عنهم الدنيا ، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، عقلوا حين ذهبت عقول الناس ، لهم الشرف في الآخرة ، يا أسامة ، إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لتلك البلدة ، لا يعذب الله عز وجل قوماً هم فيهم ، الأرض بهم رخية ، والجبار عز وجل عنهم راض ، اتخذهم لنفسك إخواناً عسى أن تنجو بهم .

قيل : إن ملك الروم أهدى إلى أمير المؤمنين المنصور رضي الله عنه تحفاً ، فيها أنه وجه إليه صحبتها بفيلسوف طبيب ، فأنزله المنصور وأحسن إليه ، فلما دخل عليه قال الفيلسوف : قدجئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس فيها الملوك لا أصفها إلا لهم .

قال : وما هي ؟

قال : أخضب لحيتك بسواد لا تبيض أبداً ولا تتغير عن حالها .

قال : وما الخصلة الثانية ؟

قال : أُعالجك بعلاج تتسع معدتك فتأكل أي شيء ولا تتخم ولا يؤذيك الطعام .

قال : فما الثالثة ؟

قال : أُقوي صلبك بتقوية ينشط في الجماع فتجامع ما شئت فلا تمل .

---

١ - (لم ينكبوا على الدنيا انكباب) في (ب) .

فأطرق المنصور ثم رفع رأسه إليه ، وقال : قد كنت أظن أنك أعقل مما كنت ، أما ما ذكرت من السواد فلا حاجة لي به لأن ذلك غرور وزور ، والشيبة هيبة ووقار ، ولم أكن لأغيّر نوراً جعله الله عز وجل في وجهي بظلمة السواد ، وأما ما ذكرت في الأكل ، فوالله ما لي في الاستكثار من حاجة ، لأنه يثقل الجسم ، ويشغل عن الثواب ، وأقل شيء فيه اختلافي إلى الخلاء من الطعام[1] ، فإني أرى ما أكره ، وأسمع مالا أحب ، وأما ما ذكرت من الجماع فإن الجماع شعبة من الجنون ، وما أقبح بخليفة مثلي يحبو بين يدي صبية ، ارجع إلى صاحبك مذموماً مدحوراً .

قيل : إن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، استضاف به رجل مجوسي ، فقال له إبراهيم : ما أضيفك حتى تخرج عن دينك ، فتركه المجوسي وانصرف ، فأوحى الله عز وجل إليه ، يا إبراهيم ما تضيفه حتى يخرج عن دينه ؟ ما ضرّك لو أضفته هذه الليلة ؟ نحن لنا سبعون سنة نطعمه ونسقيه وهو يكفر بنا .

قال : فلما أصبح إبراهيم طلب المجوسي فوجده ، فحلف عليه ، فقال له المجوسي : ما أعجب من أمرك : بالأمس تطردني واليوم تطلبني ؟

فأخبره إبراهيم أن الله تبارك وتعالى أوحى إليّ في أمرك كذا وكذا .

فقال المجوسي : أوَ يعاملني ربُّ الأرباب بهذه المعاملة ؟ امدد يدك أنا أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، وتركه وانصرف .

---

١ - (وأقل شيء أن كثرة الأكل ترددني إلى الخلاء مراراً كثيرة) في (ب) .

حكايــة : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت في عسكر المسلمين نحارب الروم ، فبرزت للقتال ، فبرز إليَّ مشرك من الروم فتعاركنا طويلاً ، فقال لي : يا مسلم ، هذا وقت صلاتي أعاهدك لا تخن حتى أصلي وأحاربك .

قلت : نعم .

فنزل عن فرسه ، وسجد للشمس ، فهممت بقتله[1] ، وإذا بصوت أسمعه قال : يقول : «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »[2] فأمسكت عنه ، فلما فرغ من صلاته ، قال : ما منعك عن قتلي ؟

فقلت : إني هممت بقتلك فسمعت هاتفاً يقول كذا وكذا .

فقال : نعم هذا الرب يعاتب وليّه في عدوه ، أمدد يدك فأنا أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ورجع معي إلى عسكر المسلمين .

قيل : مرض سفيان الثوري[3] فأتى إليه الجنيد[4] يزوره فجلس عنده ساعة ، فلما أراد أن ينصرف ، وضع عند رأسه صرة فيها دراهم ، وقال : استعن بهذه ، ففتح سفيان عينيه وقال : لا يا أبا القاسم ، إنما أمرنا الله تعالى أن نستعين به لا نستعين بالدنيا ، ، فأخذها الجنيد وخرج ، فعوفي سفيان ومرض الجنيد ، فزاره سفيان ، فلما رآه وضع يده على جسده فعوفي لوقته ، فقال له : يا أبا القاسم إذا زرت مريضاً فاهد له بمثل هذه الهدية وأخذ بيده فخرجا جميعاً[5] .

---

١ ـ (فجئت من ورائه وهممت بقتله) في (ب) .

٢ ـ الإسراء آية ٣٤ .

٣ ـ سيد أهل زمانه في علوم الدين والحديث من مؤلفاته : الجامع الكبير والجامع الصغير توفي مختفياً من المهدي في البصرة سنة ١٦١هـ . انظر ترجمته في المعارف ٤٩٧ وحلية الأولياء ٣٠٦/٦ وتاريخ بغداد ١٥١/٩ ووفيات الأعيان ٣٨٦/٢ .

٤ ـ الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي صوفي من العلماء بالدين له رسائل ومواعظ توفي سنة ٢٩٧هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٧٣/١ وحلية الأولياء ٢٥٥/١٠ والأعلام ١٤١/٢ .

٥ ـ انظر ما جاء في زهد سفيان الثوري في حلية الأولياء ٧/٧-٩ .

قال أبو جعفر الحداد[1] أستاذ الجنيد رضي الله عنهم : كنت بمكة فطال شعري ، ولم يكن معي شيء أحلق به رأسي ، فتقدمت إلى مزين فتوسمت فيه الخير فقلت له : أتحلق شعري لله تعالى ؟

فقال : حباً وكرامة .

وكان بين يديه شاب من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني مكانه ، وحلق شعري فقلت في نفسي : لأدفع له أول فتوح يفتح عليّ به اليوم ، فدخلت المسجد ودخل بعض إخواني ، فقال : إن بعض أصحابنا قدم من البصرة ومعه صرة فيها ثلاثمئة دينار لتصرفها كيف تختار .

قال : فأخذت الصرة وحملتها ، وأتيت المزين وقلت له : هذه ثلاثمئة دينار تصرفها في حوائجك[2] ، فرفع رأسه إليّ وقال : يا شيخ ، أما تستحي ؟ تقول لي : احلق رأسي لله تعالى ثم تدفع إليّ أجرة ، انصرف عافاك الله .

كان أبو عبدالله التستري رضي الله عنه إذا كان أول يوم من شهر رمضان دخل بيتاً ، ويقول لامرأته : طيِّني عليَّ الباب ، وألقي كلّ ليلة من الكوة رغيفاً ، فتفعل . فإذا كان يوم العيد ، دخلت امرأته فتجد الثلاثين رغيفاً في البيت ، ولم يأكل ولم يشرب ولا ينام ولا فاتته صلاة قط .

---

١ ـ انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٣٩/١٠ .

٢ ـ (لتصرفها كيف تختار) في (ب) .

قال ذو النون المصري[1] رضي الله عنه : ركبت في سفينة ، فضاع فيها ضائع فاتهموا شاباً وأيقنوا أن ما سرقه إلا هو .

قال ذو النون : فقلت لهم : دعوه فأنا أكلمه برفق لعله يقر .

قال : فأتيته ، فإذا الشاب نائم في عباءة ، فأخرج رأسه فقال له ذو النون : ضاع كذا و كذا ونشتهي إن كان لك به علم فتدلنا عليه .

فقال الشاب : يا ذا النون أما تستحي ؟ ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللّهم لا تدع واحداً من حيتان هذا البحر إلا جاء بجوهرة .

وقال : فرأينا وجه الماء حيتاناً في فم كل حوت جوهرة ، ثم ألقى الفتى بنفسه في البحر ومشى على الماء حتى وصل إلى الساحل ، ومضى وتركنا[2] .

قال إبراهيم الخواص[3] رضي الله عنه : دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه زنار ، فسألني الصحبة ، فأجبته ، فمشينا سبعة أيام . فقال لي : يا راهب الحنيفية هات ما عندك من البرهان فقد جعنا .

فقلت : يا إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر ، فرأيت طبقاً عليه خبز وشوي ورطب وكوز ماء ، فأكلنا وشربنا ، ومشينا سبعة أيام فقلت له : يا راهب هات ما عندك من البرهان أيضاً ، قال : نعم ثم اتكأ على عصاته ودعا ، فاذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي ، قال : فتحيّرت وتغيّرت وامتنعت من الأكل .

---

١ - هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري ، أبو الفياض أو ابو الفيض ، أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر ، توفي سنة ٢٤٥هـ . انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٣١/٩ وفيات الأعيان ٣١٥/١ . والأعلام ١٠٢/٢ .

٢ - انظر الخبر في حلية الأولياء ٣٥٧/٩ .

٣ - هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص ، صوفي ، كان أوحد المشايخ في وقته من أقران الجنيد ، ولد في سر من رأى ومات في جامع الري .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/٦ ، وحلية الأولياء ٣٢٥/١٠ والأعلام ٢٨/١ .

فقال : كُلْ فإني أُبشرك ببشارتين : إحداهما أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقطع الزنار من وسطه . والثانية أني قلت : اللهم إن كان هذا المسلم على الحق فافتح عليّ ، ففتح علي بما ترى .

قال : فأكلنا وشربنا وحججنا ، وأقمنا بمكة سنة ، ثم مات ودفن بالأبطح[1] .

قال إبراهيم الأجري[2] رضي الله عنه : جاءني يهودي يتقاضاني ديناً كان له عليّ وأنا أوقد تحت الآجر .

فقال : يا إبراهيم ، أرني آية حتى أسلم .

فقلت له :أو تفعل ؟

قال : نعم

فقلت : انزع ثوبك فنزعه ، فلففته ولففت عليه ثوبي فطرحتهما في النار ساعة ، ثم دخلت الأتون فأخذت الثوبين وخرجت من الباب الآخر ، ففتحتهما فإذا ثوبي بحالها لم يصبها شيء ، وإذا ثوبه صارت فحمة سوداء . فقال : امدد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم تركني ومضى متعجباً[3] .

قال أبو بكر بن عبد الرحمن : كنا مع ذي النون المصري رضي الله عنه في البادية ، فنزلنا تحت شجرة من أم غيلان فقلنا : ما أطيب هذا الموضع لو كان على هذه الشجرة رطب ، فتبسم ذو النون ، وقال : تشتهون الرطب ؟

فقلنا: نعم .

---

١ ـ انظر الخبر بتغيير يسير في حلية الأولياء ٣٣٠/١٠ .

٢ ـ أبو إسحاق إبراهيم الجسري البغدادي ـ انظر ترجمته في حلية الأولياء ٢٢٣/١٠ وتاريخ بغداد ٢١١/٦.

٣ ـ حلية الأولياء ٢٢٣/١٠ وتاريخ بغداد ٢١٢/٦ .

فمسك الشجرة وقال : أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك وجعلك شجرة ألا ما تناثرت علينا رطباً جنياً ، وهز الشجرة فتساقط منها رطب كثير ، فأكلنا إلى أن فضل عنا ، ونمنا تحتها ، فانتبهنا فحركناها نحن ، فتناثرت شوكاً[1] .

قال أبو القاسم بن مروان النهاوندي[2] : كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الجزار نمشي على ساحل البحر نحو صيدا فرأى شخصاً من بعيد ، قال : لا يخلو هذا أن يكون ولياً من أولياء الله تعالى .

قال : فما لبثنا أن جاءنا شاب حسن ، وبيده ركوة فيها ماء ورغيف خبز ، وعليه مرقعة ، فالتفت إليه أبو سعيد منكراً عليه لحمله الماء والخبز .

فقال له : يا فتى ، كيف الطريق إلى الله تعالى ؟

فقال : يا أبا سعيد ، أعرف إلى الله طريقين : طريقاً خاصاً وطريقاً عاماً ، فأما الطريق العام فالذي أنت عليه وأصحابك ، والطريق الخاص فهذه ، ثم مشى على الماء حتى غاب عنا فبقينا متعجبين من أمره .

قال عطاء الأزرق : دفعت لي زوجتي درهمين أشتري بهما دقيقاً من ثمن غزلها فخرجت فوجدت جارية تبكي ، فقلت : مالك ؟ فقالت : دفع إليَّ مولاي درهمين أشترى بهما شيئاً ، فسقطا مني ، ولم يكن لي علم بهما ، وأخاف أن يضربني سيدي. فدفع لها عطاء الدرهمين ، ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج ، فذكر له قصته ، وما يخشى من سوء خلق زوجته وجوع عائلته .

فقال له صاحبه : خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون به لوقد التنور ، إذ ليس موجود في هذا الوقت غيرها .

---

١ ــ انظر كرامات ذي النون في حلية الأولياء ٩/٣٣ .

٢ ــ انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/٤٠٠ .

قال : فحمل عطاء النشارة في جرابه ، وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ، وهرب من زوجته ، فدخل المسجد فأقام فيه الليل للعشاء ، ثم دخل داره وهو خائف فوجدهم يخبزون الخبز فقال لهم : من أين لكم هذا ؟

فقالوا له : من الدقيق الذي كان في الجراب ، ولا ترجع تشتري لنا إلا من هذا الدقيق ، رضي الله عنه وعن النشار .

قال بعضهم : كنا في مركب ، فمات رجل معنا كان عليلاً ، فأخذنا في جهازه فلما جهزناه أردنا أن نلقيه في البحر ، فصار البحر جافاً كأن لم يكن بحر قط ، فنزلنا وحفرنا له قبراً ودفناه ، فلما فرغنا من دفنه نبع الماء وارتفع المركب وعصفت الرياح وسرنا .

قال عبدالله بن الجلاء[1] رضي الله عنه : اشتهت والدتي سمكاً ، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه ، فاشترى سمكة ، ووقف ينظر من يحملها ، فرأينا صبياً صغيراً واقفاً ، فقال : يا عم تريد من يحملها ؟

فقال والدي : نعم .

فحملها ومشى معنا ، فسمعنا أذان الظهر ، فقال الصبي : يا عم ، أذن المؤذن وأنا على وضوء ، وأريد أن أصلي فإن رضيت وإلا فاحمل سمكتك ، فوضعها الصبي ودخل المسجد .

قال أبي : فنحن أولى بهذا ، فتوضأنا ودخلنا المسجد ، وصلينا الظهر ، فلما خرجنا أخذ الصبي السمكة ، ومضى معنا إلى دارنا ، فذكرنا ذلك لوالدتي .

فقالت له : يا بني تقيم عندنا إلى أن تأكل من هذه السمكة .

فقال : أنا صائم .

---

١ ـ هو أحمد بن يحيى ، بغدادي سكن الرملة وصحب ذا النون ـ انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣١٤/١٠.

فقلنا : تعود إلينا عند العشاء .

فقال : مالي عادة أتردد إلى أحد .

فدخلنا به المسجد إلى العشاء ، فلما أمسى دخل إلينا فأكل من السمكة ، وكان لجيراننا بنت زمنة ، فأتت إلينا تمشي وجعلت تقبل رأس الصبي .

فقلنا : ما بالك ؟

قالت : قلت : يا رب بحرمة هذا الفتى ضيف جيراننا إلا عافيتني من هذا المرض الذي بي ، فقمت ومشيت كما ترون .

قال : ثم نظرنا إلى الصبي فلم نره بيننا ، ففتشنا الدار فلم نجده والباب مغلوق .

فقال أبي : فمنهم كبير ومنهم صغير .

قال أبو يعقوب السوسي : غسلت مريداً فأمسك إبهامي وهو على المغتسل .

فقلت : يا بني ، خلِّ يدي فأنا أدري أنك لست بميت ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار ، فخلّى يدي.

قال إبراهيم بن شيبان : صحبني شاب حسن فمات ، فاشتغل قلبي به جداً ، وتوليت غسله ، فلما أردت غسل يده ، بدأت بشماله من الدهشة ، فأخذها مني وناولني يمينه ، فقلت : صدقت يا بني ،إنما أنا غلطت .

قال المظفر كنت أنا ونصر الخراطي في موضع ليلة فتذاكرنا شيئاً من العلم ، فقال الخراطي : إن الذاكر لله تعالى فائدة في أول ذكره أن يعلم أن الله ذكره فيذكره الله ذكره . قال : فخالفته ، فقال : لو كان الخضر ها هنا تشهد بصحته . فإذا نحن بشيخ بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال : قد جاء .

صدق ، الذاكر لله بفضل ذكر الله تعالى ذكره ، فعلمت أنه الخضر عليه الصلاة والسلام .

قال الشبلي[1] رضي الله عنه : اعتقدت وقتاً ألا آكل إلا من حلال ، وكنت أدور في البوادي فوجدت شجرة ، فمددت يدي لآكل منها ، فنادتني الشجرة : احفظ عليك عقدك لا تأكل مني فإني ليهودي .

وقال أبو عبدالله التستري رضي الله عنه : غزا والدي سنة من السنين ، فلما كان بين الصفين ، وقع المهر الذي كان تحته فمات ، فقال : يا رب أعرناه حتى أرجع إلى قريتي ، وإذا بالمهر قائماً ، فلما غزا ورجع إلى قريته ، قال لولده : يا بني : خذ السرج عن المهر ، فقال ولده : يا أبت إنه عرقان حتى يستريح .

قال : يا بني ، إنه عارية .

فلما أخذ السرج وقع المهر ميتاً .

قال : كان بعضهم نباشاً ، فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها ، وصلى النباش معهم ليعرف مكان قبرها ، فلما جن عليه الليل نبش قبرها ، فقالت المرأة : سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها ؟

فقلت لها : هبي أن الله قد غفر لك ، فكيف غفر لي ؟

فقالت : إن الله تعالى غفر لي ولجميع من صلّى علي . ثم تاب الرجل وحسنت توبته .

قال أبو محمد بن نعمان بن موسى : رأيت شخصين يتقاتلان ، فعدا أحدهما على الآخر فكسر سنه ، فأخذها بيده ، وقال : بيني وبينك الأمير ، فجازوا بذي النون

---

١ - أبو بكر الشبلي الصوفي دلف بن جعفر أو ابن مجدر ، واختلف في اسمه ـ انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/٣٨٩ .

المصري ، فقال الناس : اصعدوا إلى الشيخ ، فصعدوا إليه ، فأخبروه بما جرى فأخذ السنَّ فبلّها بريقه وردها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه ، وحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله عز وجل ، فجعل الرجل يفتش فاه فوجد أسنانه كما كانت .

قال أحمد بن عطاء[1] : رأيت الجمال في طريق مكة وقد مدت أعناقها . فقلت سبحان الله من يحمل عنها ما هي فيه ؟ فالتفت إليّ جمل وقال : قل جلّ الله .

وقال أبو نصر[2] رضي الله عنه : حججت سنة من السنين فأصاب الناس حر عظيم وبإزاي شاب حسن قد تكلل بالعرق ، فرحمته ، فأخرجت له شيئاً من الحلوى كنت حملتها من مصر .

فقلت له : يا هذا ، سكِّنْ بهذه روعك ، فرفع رأسه إليّ وقال : يا أبا نصر في مثل هذا الوقت تتهادى الناس بشيء من أرض مصر ، ثم أدخل يده في مرقعته ، وأخرج لي ورداً طرياً كما قطف من بستان ، وقال : سكِّن أنت بهذا روعك ، وغاب عني فلم أره .

قال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينوري[3] رضي الله عنه ، واذا بفقير دخل علينا المسجد ، فسلم علينا فرددنا عليه السلام فقال : هنا مكان نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟

فقال له ممشاد : ذلك الموضع ، وإن كنت تحتاج إلى ماء فتلك العين .

قال : فتوضأ الفقير ، وصلّى ما شاء الله ، ومضى إلى ذلك الموضع ، وقال : هو هذا ؟ قلنا : نعم .

فامتد وتشهد ، فمات رضي الله عنه .

---

١ ـ هو أبو عبدالله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري من الزهاد العباد ، توفي بصور سنة ٣٥٩هـ . انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٨٣/١٠ .

٢ ـ هو أبو نصر الطوسي ـ انظر ترجمته في حلية الأولياء ٨٣/١٠ .

٣ ـ انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٥٣/١٠ .

قال أبو يعقوب النهرجوري[1] : كنت بمكة كرمها الله تعالى ، فجاءني فقير معه دينار ، فقال : خذ هذا .

فقلت : وما أصنع به ؟

فقال : إذا كان غداً فأنا أموت ، فأصلح لي بنصف هذا قبراً ، والنصف لجهازي .

فقلت في نفسي : دوخل الشاب من فرحه بالدينار .

فلما كان من الغد جاء ، ودخل الطواف ، ثم مضى وامتد على الأرض ، فقلت ها هو قد جاء يتماوت ،فذهبت إليه وحركته فإذا هو ميت ، ففعلت كما أمر .

قال أبو الحسن المزيِّن : لما مرض أبو يعقوب النهرجوري قلت له وهو في النزع : قل لا إله إلا الله ، فتبسم إليَّ وقال : وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة وانطفأ من ساعته ، فكان أبو الحسن المزين يأخذ بلحيته ويقول : واخجلتاه حجّام مثلي يلقن أولياء الله الشهادة ، ويبكي .

قال : لما مات سهل بن عبدالله انكب الناس على جنازته ، وكان في البلد يهودي قد نيف على السبعين ، فسمع الصيحة ، فخرج ينظر ما الخبر ، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال : ترون ما أرى ؟ قالوا : وما ترى ؟

قال : رأيت أقواماً ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ، ثم تشهد وأسلم وحسن إسلامه[2] .

---

١ - هو إسحاق بن محمد النهرجوري من علماء الصوفية توفي سنة ٣٣٠هـ - انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٥٦/١٠ والأعلام ٢٩٦/١ .

٢ - هذا الخبر غير مثبت في (ب) .

قال أبو الحسن القيرواني : زرت أبا الخير الشيباني فلما ودعته خرج معي إلى باب المسجد وقال : يا أبا الحسن ، أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً ، ولكن احمل معك هاتين التفاحتين ، فأخذتهما ، ووضعتهما في جيبي ، وسرت فلم يفتح علي بشيء ثلاثة أيام ، فأخرجت واحدة منهما وأكلتها ، ثم أردت أن أخرج الثانية فإذا هما جمعياً في جيبي ، فكنت آكل منهما كل يوم ويعودان كما كانا حتى قدمت الموصل ، فقلت في نفسي : إنهما يفسدان عليّ توكلي إذا صارتا معلوماً لي ، فأخرجتهما من جيبي ، فنظرت فإذا فقير ملفوف بعباءة يقول : اشتهي تفاحة ، فناولتهما له ومررت ثم فكرت وقلت في نفسي : قد يكون الشيخ بعث بهما إلى ذلك الفقير ، فرجعت إليه فلم أجده في مكانه .

قوله تعالى : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين »[١] وقوله تعالى : « لا يضيع أجر المحسنين »[٢] .

قيل : كان إحسان يوسف عليه الصلاة والسلام أنه ما أكل وحده قط ، وكان يحب الضيف فسماه الله تعالى محسناً .

وقال رسول الله ﷺ : ما من مؤمن يأتيه ضيف فينظر في وجهه إلا حرمت عيناه على النار .

الضيف إذا جاء جاء برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل البيت .

١ ـ النحل آية ٣٢ .

٢ ـ التوبة آية ١٢٠ .

وكان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يتغدى خرج ميلاً يطلب من يتغدى معه ، ومن لم يكرم ضيفه فليس من أمة محمد ﷺ[1] .

من أطعم ضيفاً ابتغاء مرضاة الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : جاءني ضيف ولم يكن عندي إلا ماء قراح وخبز يابس ، فقربت اليه ذلك ثم سألت رسول الله ﷺ عن فضل ذلك .

فقال : لو اجتمعت ملائكة السموات ما وصفوا ذلك .

من أراد أن يحبه الله تعالى فيأكل مع ضيفه .

فقال رجل لرسول الله : وما ثواب ذلك ؟

قال : ثواب ذلك كمن صام الدهر وحج إلى بيت الله الحرام واعتمر وجاهد في سبيل الله[2] .

من سمع بحس أقدام الضيف وفرح به كتب له أجر ألف شهيد .

المؤمن إذا أطعم ضيفه كتب الله له بكل لقمة حسنة ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه ومقعده من الجنة .

وقيل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أي الأشياء أحب إليك ؟

قال : إطعام الضيف ، والضرب بالسيف ، والصوم في الصيف .

---

١ - (برواية فليس من محمد ولا إبراهيم) في إكرام الضيف ص ١٢ . والحديث السابق لم أعثر عليه في كتب الحديث المشهورة .

٢ - لم أعثر على هذا الحديث .

وقال عاصم بن حمزة : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيته حزيناً ، فقلت له : ما دهاك[1] ؟ قال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام فأخاف أن الرب قد أهانني[2] .

نجز الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[3] .

---

١ - (ما بالك يا أمير المؤمنين) في (ب) .

٢ - وجاء في (ب) بعد الخبر مباشرة : « ما جاء في الغيبة » .

٣ - ورد في (ش) بعد نهاية الكتاب ثلاث ورقات فيها التداوي بالقرآن وأخبار عن أنس بن مالك وغيره .

« المصادر والمراجع »

أولاً : المخطوطات :

أ) مخطوطات بلوغ الآراب في لطائف العتاب .

١ ـ مخطوط تشستربتي رقم ٣١٩٥ .

٢ ـ مخطوط توبانجن وعنه مصورة بالجامعة الأردنية رقم ٦١٩ .

٣ ـ مخطوط جامعة الإمام رقم ١٦٣٩ .

٤ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٨٥٩٤ .

٥ ـ مخطوط مكتبة الإسكندرية وعنه مصورة بجامعة أم القرى برقم ٥٨٨ .

٦ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية رقم ٤٤٣٧ .

ب) مخطوطات المختار من نوادر الأخبار .

١ ـ مخطوط جامعة الإمام رقم ٧٥٣٥ .

٢ ـ مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٤٩١ .

٣ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية برقم ٧٨٤٢ .

ثانياً : المطبوعات :

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبدالله عنان مكتبة الخانجي .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، تحقيق الدكتور طه الزيني ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الكليات الأزهرية .

ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ـ دار العلوم للملايين ـ بيروت .

- إكرام الضيف للحافظ أبي إسحاق الحربي - مكتبة السلام العالمية - الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي - إستانبول ١٩٤٧م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن - الطبعة الاولى ١٣٢٦هـ.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٣م.
- حلية الأولياء للحافظ أحمد بن عبدالله - مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٢م.
- درة الحجال في أسماء الرجال لأحمد بن محمد المكناسي تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور - المكتبة العتيقة تونس - دار التراث القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي - تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- صفة الصفوة لابن الجوزي - دار المعرفة - بيروت - تحقيق محمود فاخوري.
- الطبقات الكبرى لابن سعد - دار صادر - بيروت.
- كشف الظنون لحاجي خليفة - دار الفكر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- المختار من نوادر الأخبار المنسوب خطأ لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد المقري تحقيق د. أنور أبو سويلم - مؤسسة الرسالة - دار عمار - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

- المعارف لابن قتيبة - دار المعارف بمصر .
- معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- نفح الطيب للمقري - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .
- نكت الهيمان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي ، وقف على طبعه أحمد زكي بك الطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .
- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي - إستانبول ١٩٥١م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس .

ثالثاً : تعليقات ومناقشات

ديوان الخنساء

بشـــرح أبي العبـاس ثعلـــب

ليس له

الدكتور

محمد جبار المعيبد

كلية التربية / جامعة البصرة

اطلعت بأَخَرَة على هذا الديوان المطبوع بعمّان سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف (١٩٨٨) للميلاد ، بتحقيق الدكتور أنور أبو سويلم من جامعة مؤتة ، وما أعرفه عن ديوان الخنساء أنه لم يطبع ، قبل هذه الطبعة ، طبعاً علمياً موثقاً ، لذلك فإن المعنيين بأدبنا العربي القديم يجدون ضالتهم في هذه الطبعة التي اتسمت بالإخراج الجميل وضبط أشعارها فضلاً عن فهارسها العامة العشرة الملحقة بالديوان .

وأبو العباس ثعلب ، أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١هـ ، من علماء اللغة والنحو الكبار ، نسبت إليه شروح على دواوين لشعراء جاهليين وإسلاميين طبعت ، منهم : الأعشى الكبير وزهير بن أبي سلمى وابن الدمينة ومزرد بن ضرار وذو الرمة ، وديوان الخنساء الذي بين أيدينا .

أقول : المعنيون بأدبنا العربي القديم يسرون كثيراً إذا ما طبع ديوان لشاعر عربي قد جمعت أشعاره من بطون كتب التراث ، بعد أن طالته يد الزمان ومحت أثره ، فكيف إذا طبع ديوان عن مخطوطة برواية ثعلب وشرحه ؟ .

بدأت أقرأ هذا الديوان أول الأمر قراءة مستفيد ، لعلي أجد فيه ما أزيد علمي ومعرفتي بالخنساء وشارح شعرها ، فوجدت شيئاً كثيراً من هذا الذي قصدت . وكلما ازددت ألفة مع الديوان ازددت شكّاً وريبة ، الألفة مع شعر الخنساء ، والريبة والشك بشارح شعرها .

وأعدت قراءة الديوان مرة ثانية قراءة ناقدٍ أحاط نفسه بمراجعه ومصادره . وإذا بالشك والريبة يجدان لهما في نفسي أساسا مكيناً آثرت ألا أنفرد بهما بل أشارك الآخرين ، ومنهم محقق الديوان الفاضل .

حاولت ، أولاً ، أن أعثر على ذكر لأبي العباس ثعلب في هذا الديوان فلم أجده. وثعلب في كتبه ، ولا سيما " المجالس " ، يتكرر اسمه وكنيته فيها على عادة الأقدمين . أما في هذا الكتاب فلم أعثر له على أي نمط من أنماط الذكر .

الخطوة هذه قادتني ، ثانياً ، إلى معرفة شيوخ ثعلب وما نقله عنهم في هذا الديوان من شروح وروايات . وشيوخ ثعلب ، كما يعرف الدارسون ، كثر نعرفهم لا من كتبه فقط وإنما من كتب اللغة والمعجمات وكتب التراجم . ومن هؤلاء : أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي وأبو الفضل الرياشي وأبو الحسن الأثرم وعمر بن شبة البصري وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن حبيب . وأبرز شيوخه وأبعدهم أثراً فيه : أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ[1] .

هؤلاء الشيوخ لم يرد لهم ذكر في هذا الديوان ، باستثناء ابن الأعرابي . فإن ذكره لم يرد على النمط الذي نجده في كتبه وكتب تلاميذه : قال أبو العباس ثعلب : حدثنا ابن الأعرابي ، وإنما على نمط : وروى ابن الأعرابي (ص٦٠) وقال ابن الأعرابي (ص٦٥) إلا في موضع واحد (ص١٨٢) قال فيه : (سمعت ابن الأعرابي وأبا عمرو يقولان ....) .

نعم ، المؤلف يروي هنا مباشرة عن شيخه ابن الأعرابي ، ولكن من هو شيخه الآخر ، أبو عمرو ؟ . ما أعرفه ويعرفه الدارسون أن هذه كنية لعالمين لغويين معروفين ، هما : أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ) وأبو عمرو الشيباني (المتوفي نحو ٢٠٦هـ) . هاتان الكنيتان قد تشتبهان على القارئ أحياناً ولكن الرواية عنهما ومتابعة النصوص قد توصلنا إلى تحديد صاحبها . وأبو عمرو بن العلاء ، بلا شك ، ليس هو المقصود بهذه الكنية ، لأننا لا نكاد نجد عالماً من علماء العربية أخذ عن ابن العلاء وابن الأعرابي معاً ، بل لا يصلح ابن العلاء أن يكون شيخاً لابن الأعرابي لأن هذا كان في الرابعة من عمره عند وفاة ابن العلاء[٢] . من هنا نقول : إن هذه الكنية لأبي عمرو الشيباني .

وهنا نتساءل : وهل عدّ أحد أبا عمرو الشيباني شيخاً من شيوخ ثعلب ؟ نقول : لا ، ويقول محقق الديوان الفاضل : نعم ، قالها (ص١١) حينما تحدث عن رواة ديوان الخنساء ، ومنهم أبو عمرو الشيباني ، قال (وروى عنه الأصمعي وثعلب) . وهذا لا يصح لان ثعلباً أرّخ لولادته بدقة متناهية ، قال : (رأيت المأمون لما قدم من خراسان ، وذلك سنة أربع ومائتين ... قال : فحملني أبي على يده ..... وقال لي : هذا المأمون ، وهذه سنة أربع ، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة . وكانت سنّي يومئذ أربع سنين)[٣] . ونقل الخطيب البغدادي[٤] : (طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين) . هذا الذي نقلناه يؤيد ما ذهبنا إليه من أن ثعلباً لم يرو عن أبي عمرو الشيباني .

عند هذا الحد صار الشك عندي يقيناً أن شارح الديوان ليس ثعلباً ، وإنما هو آخر سمع أبا عمرو الشيباني . ولكي أخلد إلى اليقين تماماً أبقيت الشك في داخلي ورحت أبحث عن أدلة أخرى تقوّي يقيني . فكان من هذه الأدلة :

أ ـ أن أبا العباس ثعلباً يذكر في كتبه ، ولا سيما المجالس ، أعراباً رواة عاصروه أو عاصروا شيوخه . ومن هؤلاء الأعراب المذكورين في المجالس : (أبو العميثل وأبو مجيب الربعي وأبو الخطاب البهدلي وأبو داود الأعرابي وأبو سليمان الأعرابي وأبو الجراح وغيرهم) . هؤلاء الأعراب لا نجد واحداً منهم يُذكر اسمه في شرح ديوان الخنساء ، وإنما نجد أعراباً آخرين غيرهم تتكرر أسماؤهم في هذا الكتاب ، ومنهم : (زائدة وشجاع السلمي وعرام بن الإصبغ ومبتكر التغلبي وغيرهم) . وهؤلاء الأعراب ، باستثناء عرّام بن الإصبغ ، مجهولون للمحقق الفاضل ، كما تشير هوامشه التي وضعها للتعريف بهم .

ب ـ تابعت كتب ثعلب في ما يتعلق بشعر الخنساء ، فوجدته يذكرها في كتابه (قواعد الشعر) فقط ، ولا يذكرها في (المجالس) و (الفصيح) . ذكرها في الأول في ثلاثة مواضع ذكراً يخالف ما نسب إليه في شرح هذا الديوان ، وهي :

١ ـ أن قصيدة الخنساء اللامية التي تحمل الرقم (٤) ص٧٨ ، صدّرها شارح الديوان بقوله : (وقالت لمعاوية أخيها ، وقتلته بنو مرة على غدير قلهي ..) ، ولكن ثعلباً في كتابه (قواعد الشعر ٩١) يقول عند ذكره بيتاً من أبيات هذه القصيدة : (وقالت الخنساء ترثي صخراً) ، وليس معاوية .

٢ ـ يذكر شارح الديوان (ص٣٨٦) بيتاً شهيراً للخنساء بهذه الرواية :

أغَرُّ أبْلَجُ تأتَمّ الهُداةُ بهِ
كأنّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

من غير أن يذكر الرواية الأخرى التي عليها طبعات الديوان وكتب اللغة والأدب ، بينما يذكر ثعلب في كتابه المذكور (ص٧٧) هذه الرواية ، وهي :

وإن صخـــراً لَتَأتمّ الهــــُدَاةُ بــــهِ

كأنـــــّهُ علَـــــمٌ فـــــي رأسـِه نَـارُ

ذكره عند حديثه عن (الأبيات الغرّ) .

٣ ـ ذكر شارح الديوان (ص١٥٤) بيتَ الخنساء التالي بهذه الرواية ، وهي :

فالحمـدُ خلّتُـه والجودُ عِلّتـــُه

والصــدقُ حَوزتُـه إن قِــرنُهُ هابـــا

بينما رواه ثعلب في قواعد الشعر (نص٨٧) : المجد حلّته .. (بالحاء المهملة) ، وهي رواية ذكرها المحقق في هامشه ونسبها إلى البحتري في حماسته .

أقول : هذه الأمور التي ذكرتها جعلتني أقتنع بأن شارح الديوان ليس ثعلباً . وحاولت أن أجد في هذا الديوان أدلّة تزيل هذه الشبهة أو الشبهات وتميل بنسبته إلى ثعلب ، ولو على ضعف ، فلم أجد .

بقي أن نسأل : لمن هذا الشرح ؟ ...... سؤال أردت به أن أتمم ما بدأت به من شك في نسبته إلى ثعلب . صاحب هذا الشرح لا بد أن يكون قد عـاش في زمن أبكـر من ثعلب ، وأن يكون قد عاصر ابن الأعرابيّ وأبا عمرو الشيبـاني وأخذ عنهما ، وأن تكون له معرفة بهؤلاء الأعراب المذكورين فـي الشـرح ... وجاء الجواب من شرح الديـوان نفسه ، قلت لنفسي : أيمكن أن يكون الشارح أبا سعيـد الضـرير أحمـد بـن (أبي)خالد ؟ ..

وأبو سعيد هذا لغويّ بغداديّ ، لم تذكر له المصادر سنة ولادة ولا سنة وفاة . ترجم له الأزهريّ بإيجاز في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة)[٥] ، كما ترجم له ياقوت في معجم الأدباء[٦] ترجمة مطوّلـة . أمّـا غيرهمــا مـن أصحــاب التراجـم كالقفطيّ[٧]

والصفديّ[٨] والسيوطيّ[٩] ، فكانوا عيالاً عليهما . قال الأزهري : (كان طاهر بن عبدالله بن طاهر استقدمه من بغداد ، فأقام بنيسابور وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر ... وكان لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني ، وحفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة ، وقدم عليه القتيبي (= ابن قتيبة) فأخذ عنه ...) . يفيدنا نص الأزهري عن أبي سعيد الضرير في كونه :

١ - (من بغداد) .

٢ - (استقدمه طاهر بن عبد الله إلى نيسابور) ، ويبدو أن صواب الاسم : عبدالله بن طاهر ، لا ابنه : طاهر بن عبدالله . ذلك أن الحادثة التي حدثت لأبي تمام مع أبي سعيد الضرير إنما كانت في عهد عبدالله بن طاهر[١٠] .

٣ - (لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني) .

٤ - (حفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة) .

والأمر الثالث في نصّ الأزهريّ - وهو أن أبا سعيد لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني - هو أول خيط يربطه بشارح ديوان الخنساء .

أما (حفظه عن الأعراب نكتاً كثيرة) ، فهو أن عبدالله بن طاهر استقدم معه إلى خراسان بعض العلماء وأعراباً ، أفاد منهم في مجالسه وخزانة كتبه . يقول ياقوت [١١] : (وكان أبو سعيد الضرير يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردهم ابن طاهر إلى نيسابور فيأخذ عنهم) . وسمّى منهم ياقوت[١٢] : عَرّاماً ، أحد الأعراب الذين أفاد منهم شارح ديوان الخنساء . أما الأعراب الآخرون المذكورون في الشرح ، وكانوا مجهولين لمحقق الديوان الفاضل ، وهم : زائدة وشجاع السلمي ومبتكر الثعلبي ، فكانوا معاصرين لعَرّام بن الإصبغ وأبي سعيد الضرير ، أي أنهم من أعراب منتصف القرن الثالث الهجري . وهذا بيان بأمرهم :

١ ــ زائدة ، سمّاه الأزهري : زائدة البكري ، ونقل من كتاب (الاعتقاب) لأبي تراب إسحاق بن الفرج ما يشير إلى معاصرته زائدة . قال الأزهري[١٣] : (قال أبو تراب : سمعت زائدة البكري يقول ....) . وأبو تراب هذا له روايته عن أبي سعيد . يقول الأزهري[١٤] ، (فأما أبو تراب فإنه شاهد أبا سعيد الضرير سنين كثيرة ، وسمع منه كتباً جَمّة) . وعرّف القفطي[١٥] بأبي تراب فقال : (خراسانيّ .. أملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء ، ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب) . نفهم مما تقدم أن زائدة الأعرابي كان معاصراً لأبي سعيد الضرير ومن أعراب نيسابور .

٢ ــ أما شجاع السلمي فنقل عنه سماعاً أبو تراب .قال الأزهري[١٦] (وقال أبو تراب: سمعت شجاعاً السلمي يقول ...) . وهو بهذا يكون معاصراً لزائدة البكري .

٣ ــ مبتكر الثعلبي ، وهذا الأعرابي ممن روى عنه أبو سعيد الضرير قال الأزهري[١٧] ، (وقال أبو سعيد : الزَّهَد : الزكاة ، بفتح الهاء ، حكاه عن مبتكر البدوي) ، كما نقل عنه أبو تراب[١٨] .

أخلص من هذا كله الى أن أبا سعيد الضرير أفاد من الأعراب الواقفين بباب عبدالله بن طاهر . وهؤلاء الأعراب لم ينقل عنهم علماء اللغة في العراق ، البصريون منهم والكوفيون ، وانما عُرفوا وشهروا في نيسابور بخراسان . وقد وجدت لهؤلاء الأعراب (عرّام وزائدة وشجاع ومبتكر وغيرهم) نقولاً وتعليقات على كتاب العين المطبوع ، وهذه الزيادات والتعليقات دخلت الكتاب وصارت جزءاً من نصه ، على الرغم من أن هؤلاء الأعراب لم يعاصروا الليث أو الخليل . وصار بعض الدارسين يظنون أن هؤلاء الأعراب ممن روى الخليل بن أحمد عنهم ، وأنهم من أعراب القرن الثاني الهجري وهو ظن لا صحة له كما رأينا.

وإذا عدنا إلى شرح ديوان الخنساء ، فإننا نجد ذكراً لأبي سعيد الضرير في الصفحة الثالثة من نص الديوان (= ص ٥٩) ، يُذكر بكنيته ولقبه . ثم ذكر بعد ذلك مرات كثيرة بكنيته فقط (أبي سعيد) ولكن المحقق كان يشير إليها في هوامشه على أنه الأصمعي ، مع أن الأصمعي يذكر في الكتاب بلقبه فقط (الأصمعي) ، ويذكر الضرير بكنيته : أبي سعيد . وإلا كيف يمكن تفسير ذكر الأصمعي مرتين في صفحة واحدة (ص ١٣٦) ، مرة بلقبه وأخرى بكنيته .

ذِكْرُ أبي سعيد الضرير مرات عديدة في شرح الديوان ، ونَقْلُه عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، ومعرفته لأعراب نيسابور ، تجعل الدارس يقف وقفة تأمل وتفكر ... قد لا يكون شرح الديوان لأبي سعيد ، ولكني مطمئن إلى أنه لمؤلف عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في بلاد فارس أو ممن تردد عليها .

ليست هذه الكلمة الأخيرة في هذا الديوان وشارحه ، فللدارسين والباحثين في أدبنا العربي كلمتهم ورأيهم في ما طرح ، والله من وراء القصد .

هوامـــــش البحـــــث :

١ ـ انظر حول شيوخ ثعلب : كتاب (أبو العباس ثعلب وجهوده في النحو) للسيد جمهور كريم الخماس ، ص ٦١ ـ ٧٣ ، رسالة ماجستير لم تطبع (جامعة البصرة) ، ومقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لكتاب (مجالس ثعلب) .

٢ ـ ولد ابن الأعرابي سنة ١٥٠هـ (انظر الفهرست لابن النديم ـ طبعة إيران ـ ص ٧٦ ، ومقدمة د.رمضان عبد التواب لكتاب البئر لابن الأعرابي ، ص ٨ ـ ٩) ، وتوفي أبو عمرو بن العلاء سنة ١٥٤هـ ، كما مرّ .

٣ ـ إنباه الرواة ١٥٠/١.

٤ ـ تاريخ بغداد ٢٠٥/٥ .

٥ ـ تهذيب اللغة ٢٤/١ .

٦ ـ معجم الأدباء ١٥/٣ـ٢٥ .

٧ ـ إنباه الرواة ٤١/١ .

٨ ـ في كتابيه : الوافي بالوفيات ٣٦٩/٦ ونكت الهيمان ٩٦ـ٩٨ .

٩ ـ بغية الوعاة ٣٠٥/١ .

١٠ـ انظر : ديوان أبي تمام (شرح الخطيب التبريزي) ٢١٧/١ وأخبار أبي تمام للصولي ٧٢ .

١١ـ معجم الأدباء ١٦/٣ .

١٢ـ المصدر نفسه ٢٧/٢ .

١٣ـ تهذيب اللغة ٢/٣٢١ .

١٤ـ المصدر نفسه ١/٣٤ .

١٥ـ إنباه الرواة ٤/٩٦ - ٩٧ .

١٦ـ تهذيب اللغة ١/٣١٥ .

١٧ـ المصدر نفسه ٦/١٤٦ .

١٨ـ المصدر نفسه ١/١٣٩ و ١٤٩ و ٢٣٢ .

رابعاً : أخبار مجمعية

مجمعيون في ذمة الله

١- الأستاذ محمد بهجة الأثري:

نعى المجمع العلمي العراقي عضوه العامل المربي الفاضل والأستاذ العلامة محمد بهجة الأثري الذي انتقل إلى رحمته تعالى يوم السبت الموافق ٢٣/٣/١٩٩٦م.

وقد بعث رئيس المجمع ببرقية تعزية إلى الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلمي رئيس المجمع العلمي العراقي، وفيما يلي نص البرقية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا، ببالغ الحزن وعظيم الأسى، نبأ وفاة الزميل العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري، وإنني لأبعث إليكم وإلى الزملاء أعضاء مجمعكم الموقر وإلى أسرة الفقيد باسمي واسم زملائكم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي وأعمق مشاعر الحزن والألم، وقد فقدت مجامع اللغة العربية عالماً جليلاً مبدعاً ولغوياً عميقاً، وباحثاً مجداً، رحم الله الفقيد رحمة واسعة وألهمكم وألهم ذويه بعده الصبر وحسن العزاء.

إنا لله وإنا إليه راجعون

رئيس المجمع
الدكتور عبدالكريم خليفة

- ولد الفقيد في بغداد سنة ١٩٠٤م ونشأ برعاية أسرته التي تميزت بمتانة الخلق واستقامة المعاملة والتمسك بأهداب الدين.

- تعلم القراءة والكتابة، والقرآن الكريم في الكتاب، ثم انتقل إلى المدارس الابتدائية وبعد اجتيازها انتمى إلى "الرشدية العسكرية" ثم انتقل إلى المدرسة السلطانية، وهناك تعلم التركية، والفارسية، والفرنسية، ولما أغلق الاحتلال الإنجليزي هذه المدرسة انتقل إلى مدرسة "الأليانس" وهي خاصة بالطائفة اليهودية ولكنه تركها بعد سنة من التحاقه بها.
- درس العربية في ثانوية "التفيض" الأهلية سنة واحدة (١٩٢٤-١٩٢٥) ثم اختارته وزارة المعارف للتدريس في "الثانوية المركزية" فعلم اللغة العربية وتاريخ الأدب العربي فيها عشرة أعوام.
- في عام ١٩٣٦م أوفده رئيس الوزراء الزعيم ياسين باشا الهاشمي، إلى مصر لدراسة أوضاع الأوقاف، والتعرف إلى أحوال الأزهر، ومعاهده.
- ثم عمل مفتشا للغة العربية بديوان وزارة المعارف، وعندما قامت ثورة الجيش والشعب على الإنجليز، تعرض للبطش والتنكيل كغيره من الأحرار، وفصل عن وظيفته مدة خمس سنوات ونفي إلى معتقل "الفاو"، وتنقل بين "معتقل سامراء" "ومعتقل العمارة" فقضى فيها ثلاث سنوات.
- في عام ١٩٢٨م أسس جمعية الشبان المسلمين.
- في عام ١٩٣١م انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق.
- في عام ١٩٤٧م، عين عضوا في لجنة التأليف والترجمة والنشر، ثم حولت اللجنة إلى مجمع علمي، فانتخب عضوا في المجمع.
- في عام ١٩٤٨م صدرت الإرادة الملكية بإعادته إلى وظيفته السابقة في ديوان وزارة المعارف، وفي السنة نفسها انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم صدر في سنة ١٩٦١م مرسوم جمهوري بتعيينه عضوا عاملا فيه.
- وفي عام ١٩٤٩م انتخب نائبا لرئيس المجمع العلمي العراقي، ثم في سنة ١٩٥٥ نائبا أول له وأشرف على تحرير مجلته سبع سنوات، وشارك في وضع جميع المصطلحات العلمية، والفنية،

والحضارية التي انصرف المجمع إلى الاشتغال بها حتى سنة ١٩٦٣م.

- في عام ١٩٥١م درّس الفلسفة والأخلاق في كلية الشرطة، ومنح درجة الأستاذية وانتخب في هذه السنة عضواً في مجلس شورى الأوقاف.
- في عام ١٩٥٨م عين مديراً عاماً للأوقاف، وبقي في هذا المنصب حتى أوائل عام ١٩٦٣م.
- في عام ١٩٧٩م، أنشىء المجمع الموحد، وعين فيه عضواً عاملاً، ومقرراً للجنة اللغة العربية وعضواً في لجنة المجلة، وعضواً في لجنة التاريخ.
- في عام ١٩٨٠م أصبح عضواً موازراً في مجمع اللغة العربية الأردني.
- وقد شارك في أربعة عشر مؤتمراً عربياً وأدبياً.

مؤلفاته:

١. أعلام العراق، وهو أول كتاب ألفه سنة ١٣٤٤هـ، وقد نشرته المطبعة السلفية بالقاهرة.
٢. المجمل في تاريخ الأدب العربي، طبع في بغداد سنة ١٩٢٧م.
٣. المدخل في تاريخ الأدب العربي: طبع في بغداد سنة ١٩٣١م.
٤. مهذب تاريخ مساجد بغداد وآثارها: طبع في بغداد سنة ١٩٢٧م.
٥. مأساة الشاعر وضاح اليمن: طبع في بغداد سنة ١٩٣٥م.
٦. محمود شكري الألوسي: حياته وآراؤه اللغوية: طبعه معهد الدراسات العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٨م.
٧. الخطاط البغدادي: ابن البواب، ترجمة تركية، طبعه المجمع العلمي العراقي.

٨. ملاحم... وأزهار... ديوان شعر، نشره المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.
٩. ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب، نشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨١م.
١٠. إضافة إلى بعض المؤلفات التي ألفها لوزارة المعارف بالمشاركة ومنها:
١. سلسلة القراءة العربية للمدراس الابتدائية أربعة أجزاء.
٢. المطالعة العربية ثلاثة أجزاء.
٣. ديوان الأدب ستة أجزاء.

الكتب التي حققها، وشرحها:

١. المختصر من مناقب بغداد لابن الجوزي، طبع في بغداد عام ١٣٤٢هـ.
٢. أدب الكتاب للوزير أبي بكر الصولي: طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة.
٣. بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي، ثلاثة أجزاء: طبع بالقاهرة.
٤. الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، للألوسي، طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة.
٥. تاريخ نجد، للألوسي: طبع بالمطبعة السلفية مرتين.
٦. رسالة المسواك، للألوسي: نشرته مجلة الحرية في بغداد.
٧. خريدة القصر وجريدة العصر/ قسم شعراء العراق، للعماد الأصفهاني الكاتب، ستة أجزاء كبار: نشر المجمع العلمي العراقي منها ١، ٢ ووزارة الثقافة والأعلام ٣، ٤، ٥، ٦، والمجمع العلمي العراقي تكملته التي كانت مفقودة.
٨. صورة الأرض للشريف الإدريسي، طبعها المجمع العلمي العراقي، وهي غير موثوقة وقد حققها مجددا في كتابه معجم الأقاليم، ومختصره معجم خارطة الإدريسي.

٢- الأستاذ أكرم زعيتر:

نعى مجمع اللغة العربية الأردني عضو الشرف المربي الفاضل والعالم الجليل المرحوم الأستاذ أكرم زعيتر الذي انتقل إلى رحمته تعالى يوم الخميس الموافق ١١/٤/١٩٩٦م.

- ولد الفقيد في نابلس، بفلسطين، عام ١٩٠٩م، وأكمل دراسته الثانوية فيها، ثم انتسب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، فكلية الحقوق بالقدس وتخرج فيها، وهو يحمل دبلوم المعلمين الأعلى وقد زاول التعليم في بعض ثانويات فلسطين.
- في عام ١٩٢٩م تولى رئاسة تحرير جريدة "مرآة الشرق" المقدسية.
- في عام ١٩٣١م تولى تحرير جريدة "الحياة" المقدسية.
- اشترك في تأسيس "عصبة العمل القومي" في سوريا، وكان نائبا لرئيس مؤتمرها التأسيسي في قرنايل، بلبنان، عام ١٩٣٣م.
- وكان عضواً في نادي القلم ما بين عامي ١٩٣٩-١٩٤١م، واختير وزيرا للمعارف في حكومة عموم فلسطين سنة ١٩٤٨م ثم استقال.
- عمل مفتشا للمعارف، وأستاذا في دار المعلمين العليا، ومسؤولا عن التوجيه القومي في وزارة المعارف العراقية.
- اختير المرحوم سنة ١٩٥٦م عضواً في لجنة تيسير الحروف العربية التي دعت إليها الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، وعقدت جلساتها في المجمع اللغوي بالقاهرة وقد مثله فيها الأساتذة المرحومون: الزيات وتيمور وإبراهيم مصطفى.
- اشترك في معظم المؤتمرات الوطنية والإسلامية التي عقدت في الشرق العربي وتولى أمانة سر الندوة الإسلامية في دوراتها الثلاث في بيت المقدس (١٩٥٩م-١٩٦٢م).

- مثل الأردن في الدورة السادسة عشرة للأمم المتحدة، ودافع عن فلسطين في لجنتها السياسية عام ١٩٦٢م.
- في عام ١٩٦٣م عين سفيرا للأردن في سورية، ثم سفيرا للأردن في طهران/ إيران وكابل/ أفغانستان.
- في عام ١٩٦٦ عين وزيرا للخارجية الأردنية.
- واختير عضوا في اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر سنة ١٩٦٧م واستقال منها لتعيينه سفيرا للمملكة الأردنية الهاشمية لدى لبنان.
- في عام ١٩٦٧م عين عضوا في مجلس الأعيان الأردني، فوزيرا للبلاط، ولما كان وزيرا للبلاط، وعلى أثر نكبة فلسطين عام ١٩٦٧م، طاف على الأقطار الإسلامية وحمل رسائل ملكية إلى ملوك ورؤساء إيران وأفغانستان وماليزيا وأندونيسيا والصومال تدعو إلى موقف إسلامي موحد إزاء العدوان الإسرائيلي ولا سيما بالنسبة إلى القدس.
- قام سنة ١٩٦٦ بجولات رسمية بوصفه وزيرا للخارجية الأردنية في المغرب والجزائر وتونس وليبيا للقاء رؤسائها.
- اشترك سنة ١٩٦٧ في مؤتمر القمة في الخرطوم.
- في ٦٩/١/٢٠ انتخبه مجلس الأعيان عضوا في اللجنة القانونية.
- في عام ١٩٧١م عين سفيرا للأردن في لبنان واليونان حتى سنة ١٩٧٥م.
- رئيس اللجنة الملكية لشؤون القدس.
- وعين عضوا في مجلس الأعيان الأردني.
- وعضوا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت).
- وعضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٧٩م.
- وترأس المركز الثقافي الإسلامي ببيروت سنة ١٩٧٨-١٩٨٠م.

مؤلفاته:

١. تاريخنا: طبع عام ١٩٣٥م بالاشتراك مع الأستاذ درويش المقدادي.
٢. المطالعة العربية: جزءان طبع عام ١٩٣٩م، بالاشتراك مع الأساتذة: محمد ناصر، وعبد الرزاق محيي الدين، وعز الدين آل ياسين.
٣. التاريخ للصفوف الابتدائية: طبع في عام ١٩٤٠م، بالاشتراك مع الأستاذين علي الشرقي، وصدقي حمدي.
٤. التاريخ الحديث/ طبع عام ١٩٤٠م، بالاشتراك مع الدكتور مجيد خدوي.
٥. مهمة في قارة: طبع عام ١٩٥١م.
٦. رسالة في الاتحاد: طبع عام ١٩٥٤م، بالاشتراك مع الأستاذين ساطع الحصري، وكامل مروة.
٧. القضية الفلسطينية: طبع عام ١٩٥٦م، ونقله الدكتور موسى خدري إلى الإنجليزية عام ١٩٥٨م، كما نقله أكبر هاشمي إلى الفارسية عام ١٩٦٥م، وترجمه الدكتور شمس إلى اللغة الأوردية.
٨. يوميات أكرم زعيتر.
٩. وثائق الحركة الوطنية/ من أوراق أكرم زعيتر.

تحت الطبع:

١. المفصل في القضية الفلسطينية.
٢. ذكريات في الحركة الوطنية.
٣. دراسات عن جمال الدين الأفغاني.
٤. في السياسة والأدب "مجموعة مقالات".

مخطوطات:

١. كتب قدم لها، وكتب نقدها (وهي نحو مئة كتاب).
٢. ومضات قومية.
٣. شعراء شهداء.

٤. الشاعر الفارس/ الأمير "عادل أرسلان".
٥. "السابقون" مجموعة خطب ومقالات في رثاء خمسين شخصية عربية عرفها المؤلف.
٦. محاضرت في الأدب والاجتماع.
٧. مختارات أكرم زعيتر.
٨. يوميات الثورة الكبرى والإضراب العظيم (١٩٣٦/١٩٣٩م).
٩. من المذكرات.

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والستين ، التي انعقدت في المدة من الثامن عشر من آذار إلى الأول من نيسان سنة ١٩٩٦م، (١٨/٣-١/٤/١٩٩٦م) ، ببحث عنوانه (الأردن وفلسطين عند الجغرافيين والرحالة العرب " المقدسي وابن جبير وابن بطوطة ") .

وقد صدرت عن المؤتمر التوصيات التالية:

١. يوصي مؤتمر المجمع وزراء التعليم في الأقطار العربية **بتعريب التعليم الجامعي** واتخاذ الخطة الكفيلة لتحقيق ذلك.

٢. يوصي المؤتمر بأن تعنى الدولة بإنشاء **هيئة عامة للترجمة** لنقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية.

٣. يوصي المؤتمر بضرورة الاهتمام الفائق باللغة العربية من حيث مادتها ومناهجها وأساليب تقديمها وأوقاتها المخصصة لها مع الاهتمام **بإعداد المعلم القائم** عليها ورعايته.

٤. يوصي المؤتمر الحكومات العربية بضرورة الإسراع باستصدار **تشريع يحظر كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية.**

٥. يوصي المؤتمر بتدريس اللغة العربية في جميع الكليات الجامعية والمعاهد العليا وأن تكون مادة أساسية.

٦. يوصي المؤتمر **وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية** بالتزام اللغة العربية الصحيحة.

٧. يوصي المؤتمر وزارات الإعلام في الأقطار العربية **بإعداد العاملين بها إعداداً لغويا صحيحاً.**

٨. يوصي المؤتمر باستعمال الأعلام الجغرافية العربية الأصيلة, وضبطها والنطق بها نطقا صحيحا في الدوائر التعليمية والإعلامية, مع العناية بتحقيق ذلك على الخرائط المعدة له.
٩. يوصي المؤتمر **رجال الدولة وجميع المسؤولين في البلدان العربية أن يلتزموا اللغة العربية الصحيحة** في جميع خطبهم وبياناتهم.
١٠. تبلغ هذه التوصيات إلى جميع وزراء التعليم والإعلام والثقافة في مصر والأقطار العربية للأخذ بها وتنفيذها.

وقد صدرت عن جلسة مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية المنعقدة في ١٩٩٦/٣/٢٦م بالقاهرة, القرارات التالية:
١. وافق مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالإجماع على انتخاب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف - رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة - رئيسا للاتحاد خلفا للمرحوم الدكتور إبراهيم مدكور.
٢. وافق مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالإجماع على انتخاب الأستاذ إبراهيم الترزي - الأمين العام لمجمع القاهرة - أمينا عاماً للاتحاد.
٣. وافق مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالإجماع على انتخاب الأستاذ الدكتور شاكر الفحام - رئيس مجمع دمشق - أميناً عاماً مساعداً خلفاً للمرحوم الدكتور عدنان الخطيب.
٤. وافق مجلس إدارة الاتحاد على أن ترسل عشر نسخ من المعاجم التي أصدرها مجمع القاهرة إلى جميع المجامع أعضاء الاتحاد.
٥. قرر مجلس إدارة الاتحاد إرسال معجم الأحياء والزراعة (في جزئين) إلى جميع المجامع لدراسته وإعداد المقابل الفرنسي لمصطلحاته وإعداد ملاحظاتهم عليه, وقد أبدى الدكتور شاكر

الفحام الاستعداد لاستضافة الندوة في دمشق على أن تكون بعد شهر.

الموسم الثقافي الرابع عشر

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي الرابع عشر في الفترة الواقعة بين ٤ أيار – ٢٢ حزيران ودار محوره الرئيسي حول "الحاسوب في خدمة اللغة العربية".

وقد كانت المحاضرات على النحو التالي:

١. محاضرة بعنوان "اللغة والثقافة العربية في عصر إنترنت" ألقاها الدكتور خلدون طبازة من مجلة الشرق الأوسط – عمان.

٢. محاضرة بعنوان "المعجمات العلمية العربية المتخصصة ودور الحاسوب" ألقاها الأستاذ الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس تحرير مجلة المعجمية بتونس.

٣. محاضرة بعنوان "التحليل الصرفي للغة العربية باستخدام الحاسوب" ألقاها الأستاذ مأمون الحطاب المدير العام لدار حوسبة النص العربي وذلك بالتعاون مع الأستاذ حسان عبد المنان.

٤. محاضرة بعنوان "التقنيات الحديثة وآفاقية العربية" ألقاها الأستاذ إسحق علي حبيبي، مهندس ميكانيك وتصاميم من بومبي/ الهند.

٥. محاضرة بعنوان "الحاسوب والنحو العربي" ألقاها الدكتور نبيل علي، نائب رئيس مجلس الإدارة ومدير البحوث في مؤسسة "صخر".

٦. محاضرة بعنوان "الحرف العربي والحاسوب" ألقاها الدكتور محمد زكي خضر، كلية الهندسة/ الجامعة الأردنية.

انتخاب الدكتور عبد الله واثق أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور عبدالله واثق أمينا عاما للمجمع في ٣٠/١١/١٩٩٥م.

رسائل الماجستير والدكتوراة

حرصا من المجمع على التعاون والتنسيق بينه وبين المؤسسات العلمية والأكاديمية الأردنية بعامة والجامعة الأردنية بخاصة، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

١- رسالة دكتوراة بعنوان "دراسة حول صيغ التمويل الزراعي في التشريع الإسلامي وإمكانيات تطبيقها" مقدمة من الطالب عبدالله محمد فوزي الديرشوي، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور ياسين درادكة المشرف رئيسا وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حسن أبو يحيى والأستاذ الدكتور محمد أحمد صقر والدكتور محمد عثمان اشبير. وذلك يوم الأربعاء السادس عشر من شوال سنة ١٤١٦هـ الموافق السادس من آذار ١٩٩٦م.

٢- رسالة دكتوراة بعنوان "العدل في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في الفقه الإسلامي" مقدمة من الطالب محمد مهدي قطناني، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد فتحي الدريني المشرف رئيسا وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود السرطاوي والأستاذ الدكتور أبو اليقظان الجبوري من جامعة اليرموك، والدكتور علي محمد الصوا. وذلك يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال ١٤١٦هـ الموافق الثالث عشر من آذار ١٩٩٦م.

٣- رسالة دكتوراة بعنوان "مجاز القرآن وسنن العرب في كلامها" مقدمة من الطالب أيمن محمد سليم الأحمد، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور هاشم ياغي المشرف رئيسا وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود المسرة والأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، وذلك يوم الأربعاء الخامس عشر من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق الثالث من نيسان ١٩٩٦م.

٤- رسالة دكتوراة بعنوان "شعر النازحين من الأندلس إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثر والتأثير" مقدمة من الطالبة آمنة سلمان محمد البدوي، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم المشرف رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة والأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي والأستاذ الدكتور صلاح جرار، وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق السابع من أيار ١٩٩٦م.

٥- رسالة دكتوراة بعنوان "قضايا النقد الأدبي والبلاغة بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين" مقدمة من الطالب شريف راغب شريف علاونة، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة المشرف رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة والأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي والأستاذ الدكتور صلاح جرار، وذلك يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق الثامن من أيار ١٩٩٦م.

٦- رسالة دكتوراة بعنوان "مديونية الدولة ومعالجة الإسلام لها - دراسة مقارنة" مقدمة من الطالب محمد فريد بن شيخ الحاج أحمد، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد حسن أبو يحيى المشرف رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور قحطان الدوري من جامعة آل البيت، والأستاذ الدكتور زياد رمضان، والدكتور علي الصوا، وذلك يوم السبت الثالث والعشرين من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق الحادي عشر من أيار ١٩٩٦م.

٧- رسالة دكتوراة بعنوان "ميزان الترجيح في المصالح والمفاسد المتعارضة" مقدمة من الطالب يونس محيي الدين الأسطل، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور علي محمد الصوا المشرف رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور فتحي الدريني والأستاذ الدكتور أبو اليقظان الجبوري من جامعة اليرموك والدكتور العبد خليل أبو عيد، وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق الثاني عشر من أيار ١٩٩٦م.

٨- رسالة دكتوراة بعنوان "إحكام الإسقاط في الشريعة الإسلامية" مقدمة من الطالب أحمد الصويعي شليبك، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور ياسين أحمد درادكة المشرف رئيسا، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حسن أبو يحيى والأستاذ الدكتور ماجد أبو رخية والدكتور عارف أبو عيد، وذلك يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق الرابع عشر من أيار ١٩٩٦م.

٩- رسالة دكتوراة بعنوان "النظرية العامة للنظام العام وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي" مقدمة من الطالب أحمد ياسين القرالة وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور ماجد أبو رخية المشرف رئيسا، وعضوية الأساتذة: الأستاذ الدكتور ياسين درادكة، والأستاذ الدكتور محمود السرطاوي والدكتور محمد جبر الألفي من جامعة اليرموك. وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق الخامس عشر من أيار ١٩٩٦م.

١٠- رسالة ماجستير بعنوان "أبو هلال العسكري ناقدا" مقدمة من الطالبة أمل عطا الله عبدالكريم المشايخ، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور محمد علي أبو حمدة المشرف رئيسا وعضوية الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي والدكتور عبدالكريم الحياري وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شعبان ١٤١٦هـ الموافق التاسع من كانون الثاني ١٩٩٦م.

١١- رسالة ماجستير بعنوان "تحقيق سور إبراهيم والحجر والنحل والإسراء من تفسير ابن كمال باشا" مقدمة من الطالبة تغريد عبدالفتاح التايه، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور أحمد فريد أبو هزيم المشرف رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور فضل عباس والدكتور أحمد خالد شكري. وذلك يوم الأحد الخامس من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق الرابع والعشرين من آذار ١٩٩٦م.

١٢- رسالة ماجستير بعنوان "الأسطورة في الشعر الأردني الحديث" مقدمة من الطالب أحمد داود عبد خليفة، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور سمير قطامي المشرف رئيسا وعضوية الأستاذين الدكتور

خالد الكركي والدكتور وليد سيف. وذلك يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق السادس من أيار ١٩٩٦م.

إلى الأخوة الكتّاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

١ ـ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية ، والتراث العربي الإسلامي : العلمي والأدبي والفني ، وشؤون التعريب ، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها ، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .

٢ ـ أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم ، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر .

٣ ـ أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ ، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلّف أو الباحث .

٤ ـ أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية ، وخاصة بالمجلّة .

رئيس التحرير



JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic

No. 50

Jumada 1 1416 H - Shawal 1416 H

VOL XX

January - June 1996